المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

تحقيق كتاب شعب الإيمان

تأليف الشيخ الإمام أبي محمد
عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري المتوفى سنة ٦٠٨
"الجزء الأول"

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية لنيل
درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية

للطالب أحمد بن مرعي بن عبد الهادي العمري



إشراف الأستاذ الدكتور
عبد العزيز عبد الله عبيد

المجلد الأول

للعام الدراسي ١٤٠٣ / ١٤٠٤هـ



" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ":

" الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان ... "

رواية صحيح مسلم

شكـــر وتقديـــر

الحمد للـه والصلاة على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلـــم

أما بعد :

فأنني إشكـر الله تعالى على نعمه الكثيـرة التي لا تحصى وهـــو القائـل سبحانه :

(واذ تأذن ربكـم لئن شكرتم لأزيدنكـم ....) ابراهيم من آية (٧)

فاشكره تعالى أن وفقني لسلوك طريق أشرف علم اذ شرف العلم بشرف المعلوم ، وأسأله تعالى ان يعصمني – وكل مسلم من الزلل والخطأ وأن يرشدنـا الى ما ينفعنا علما وعملا ..

ثم أنني ارى لزاما على ان اعترف بالفضـل لأهلـه

فاقدم شكري لجامعة ام القرى ممثلة في القائمين عليها من المسئوليـن على ما بذلوه ويبذلونه من جهد وخدمة في سبيل العلم وطلابه وأخص معالـي مديرها ثم عميد كلية الشريعة ووكيلـه والقائمين على قسم الدراسات العليـا .

ثم اشكر جامعتي الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة حيث أتاحـت لي – ولزملائي – فرصة التفرغ لمواصلة الدراسة وطلب العلم .

وشكري العميـق والجزيل أقدمه مقرونا بالاحترام الى استاذي ومشرفـي فضيلة الدكتور عبد العزيز عبد الله عبيد الذي كان نعم العون والناصح والحافـز فأهدى الى كل نصح وبذل معي كل جهد ووقت في سبيـل انجاز رسالتـي هذه على أكمل وجـه – مع ما التزم به تجاه فرع العقيدة الذي يرأسه فضيلتـه من المسئوليات – فجزاه الله خير الجزاء وأمده بالصحة والعافية .

كما أوجـه شكري الى كل من له مشاركة في انجاز رسالتي هذه بنصـح أو ارشاد أو كتاب أعاره لي أو دلني عليه .

ثم لا أنسى كل دعوة صادقة الى الله تعالى لي من عزيز .

فشكر الله للجميـع وجزاهم خير الجزاء .

والحمد لله أولا وآخـرا .


المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

=====

المقدمـــــة :

========

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شــــــرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضـــل له ومن يضلـــــل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهـــــد أن محمدا عبده ورسولـــه .

أما بعد :

فقد ورد فى صحيحي البخارى ومسلم وغيرهما من كتب السنة المطهـرة عن الصحابى الجليـل أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى اللـــه عليه وسلم انه قال :

((الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها أو فأرفعهـــــا أو فأفضلها ـ على اختلاف الروايات ـ قول لا الــه الا اللــه وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان .))

ولا شك أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عن صحابته هم خير من علم وعمل بمقتضى هذا الحديث عند تلقيهم اياه من رســول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا رضوان الله عليهم يسارعون ويحرصون على التلقى والامتثال وصف ذلك الآجرى فى الشريعة بقوله :

اعلموا ـ رحمنا الله تعالى واياكم ـ ان الله عز وجل بعث نبيه محمـــدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ليقروا بتوحيده فيقولوا : " لا الـــــه الا اللـــه محمد رسول الله " فكان من قال هذا موقنا من قلبه ناطقـــا بلسانه أجزاه ومن مات على هذا فالى الجنة فلما آمنوا بذلك وأخلصهـــا توحيدهم فرض عليهم الصلاة بمكة فصدقوا بذلك وآمنوا وصلوا .

ثم فرض عليهم الهجرة فهاجروا وفارقوا الأهل والاوطان .

ثم فرض عليهم بالمدينة الصيام فآمنوا وصدقوا وصاموا شهر رمضان ثم فرض عليهم الزكاة فآمنوا وصدقوا وأدوا ذلك كما امروا .

ثم فرض عليهم الجهاد فجاهدوا البعيد والقريب وصبروا وصدقوا ثم فرض عليهم الحج فحجوا وآمنوا به .

فلما آمنوا بهذه الفرائض وعملوا بها تصديقا بقلوبهم وقولا بالسنتهم وعملا بجوارحهم قال الله عز وجل : ٥/٣ :

(..... اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

وقال عز وجل ٣/ ٨٥ :

(ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

وقال عز وجل : ٣/ ١٩ :

(ان الدين عند الله الاسلام ...)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

" بني الاسلام على خمس : شهادة الا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاه وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا " .

ثم بين صلى الله عليه وسلم لامته شرائع الاسلام حالا بعد حال ..

وهذا رحمكم الله تعالى طريق المسلمين . اهـ (١)

وساروا على نهج نبيهم ممتثلين ومقتدين ومترسمين معالم هديه وارشاده صلى الله عليه وسلم فقال علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما :

لا ينفع قول الا بعمل ولا عمل الا بقول ولا قول وعمل الا بنية ولا نية الا بموافقة السنة) (٢)

---

(١) الشريعة للأجري ص ١٠٠

(٢) الشريعة للأجري ص ١٣١

ثم سار على هذا النهج الذى سار عليه الصحابة رضوان الله عليهم سلف هذه الأمة من التابعين وتابعيهم واستقر عليه علماء السلف ذكر ذلك أيضا الأجرى بقوله :

(اعلموا رحمنا الله واياكم ان الذى عليه علماء المسلمين : ان الايمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح ثم اعلموا انه لا تجزى المعرفة بالقلب والتصديق الا ان يكون معه الايمان باللسان نطقا ولا تجزى معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح فاذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمنا دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين .... (١)) .

وقد اكد على ذلك أيضا مؤلف هذا الكتاب الشيخ عبد الجليل القصرى بقوله :

وجب على كل مؤمن ان يعمل جميع اعمال الاسلام بالكتاب والسنة فان الايمان عمل بالجوارح وتصديق بالقلب ونطق باللسان ويجعل الانسان امام عمله الكتاب والسنة وما تفرع منهما وشهد اله أنه منهما ويجتنب الاراء والاقوال الفاسدة الضعيفه فهذا من الايمان بالوحى (٢) ويؤكد ذلك فى كل شعبة من شعب الايمان التى اوردها .

هذا ما علمه سلفنا وعملوا به

وما اشد الحاجة اليوم الى تعميق ذلك المفهوم للايمان وشعبه فى نفوس المسلمين وترسيخه فالحاجة ماسة فى هذا الزمن الذى انتشر فيه سلطان العلم المادى ماسة الى معرفة الترابط الوثيق لكل شعبة من شعب الايمان بحياة المسلم هذا الترابط الذى يصل الانسان بربه وبدينه وبنفسه وبمجتمعه الذى يعيش فيه وبولاة أمره وباخوانه المسلمين فى كل مكان بل بجميع المخلوقات فان الاسلام نور

---

(١) الشريعة للأجرى ١١٩

(٢) ذكر ذلك فى الشعبة الخامسة والثلاثين

وهداية يجب ان يستخدمه المسلم في كل مجال وان يزن به كل أمر من أموره دنيا ودين فهو كل لا يقبل التجزئه لايجوز أخذ جانب منه وترك جانب وان محاولة تعميم فكرة جعل الدين علاقة خاصة محصورة في جانب وعزله عن الجوانب الأخرى كما هو الحال في الديانة النصرانية واليهودية المحرفه حيث يجعلون الشعائر الدينية شعائر خاصة بالكنيسة ثم لا علاقة للدين بأي شيء خارج الكنيسة ولا سلطان له ان هذه المحاولة أخذت سمومها تنتشر بين أوساط المسلمين فيقولون ـ مثلا ـ للمسلم باسلوب أو بآخر أحصر علاقتك بالدين داخل المسجد وتحرر عن سلطانه خارجه وعلاقتك بالآخرين يجب ان تكون للمصلحة المادية فقط والأخلاق أخلاق تجارية وكذا محاولة قصر تطبيق الشريعة الاسلامية على جانب أو جوانب كتطبيقه في الأحوال الشخصية دون غيرها كل ذلك مما ينافي الترابط والتكامل لشعب الايمان ، يقول الاستاذ الشيخ محمد الغزالي في كتابه :هذا ديننا :

في عصرنا الحاضر يظن كثير من الناس ان الدين علاقة خاصة بين الانسان وربه أو علاقة ما بين البشر وقوى الغيب التي لا تدركها الحواس وتتمثل هذه العلاقة غالبا في مراسم العبادة التي يقوم بها الفرد ويصطبغ بها ضميره لكن هذا الظن ان صح على اطلاقه في بعض الديانات فهو غير صحيح بتة بالنسبة الى الاسلام. فان ديننا متسع الدائرة متشعب التعاليم وهو يتناول العلاقة بين الانسان والله وبين الانسان والانسان وبين الانسان والحياة كلها .

أو تستطيع أن تقول : ان العلاقة بين الانسان وربه كما يشرحها الاسلام تتعدى الحياة الداخلية للنفس الانسانية لتؤثر في صلة المرء بغيره من الأشياء فهو يتعامل مع هذه وتلك على هدى من ارتباطه بالله وولائه له واستمساكه بوصاياه واخضاعه حركاته وسكناته لأمره ونهيه ، والوحي الالهي الذى يقوم عليه هذا الدين تعرض لشتى الشئون التى تلقى الانسان من المهد الى اللحد وأوضح السلوك المناسب بأزائها . (١)

---

(١) هذا ديننا لمحمد الغزالي ص ٧٠ ـ ٧١ الطبعة الثالثة

هذا ما كان عليه فهم السلف ويجب أن نكون عليه نحن في فهم معنى وترابط شعب الايمان .

أما فيما يتعلق بحصر هذه الشعب :

فقد جرت محاولات من جماعة من السلف لحصر هذه الشعب التي ورد الحديث بذكرها ، فذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم :

ان الكلام في تعيين هذه الشعب يطول ، وقد صنف في ذلك مصنفات ومن أغزرها فوائد كتاب المنهاج لأبي عبد الله الحليمي امام الشافعيين ببخارى وكان من رفعاء أئمة المسلمين ، وحذا حذوة الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه الجليل الحفيل كتاب شعب الايمان اهـ . (١)

وقد اختصر الامام ابو القاسم عمر بن عبد الرحمن القزويني كتاب البيهقي وهذه الكتب الثلاثة أورد كل منها سبعا وسبعين شعبة

واتماما لكلام النووي أقول ان محاولة القصرى هذه في هذا الكتاب هي من تلك المحاولات لحصر هذه الشعب وقد أورد في كتابه هذا اربعا وسبعين شعبة .

كذلك وجدت اثناء بحثي عن مخطوطات هذا الكتاب مؤلفات اخرى في حصر شعب الايمان منها في كشف الظنون الجزء الثاني ،على سبيل الأمثلة لا الحصر :

وشعب الايمان لمحمد بن محمد الأنصارى المالقي المتوفى سنه ٧٥٤

- ترجمان شعب الايمان للشيخ الامام سراج الدين عمر المتوفى سنه ٦٣٨ وسماه تحرير البيان في تقرير شعب الايمان .

ومنها في دار الكتب المصريه :

- افادة الأصحاب والخلان بشرح شعب الايمان

للشيخ عبد المعطي بن سالم السملاوى مخطوط برقم ٢٢١

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٢٠٩ جـ ١

= مواهب الرحمن فى أمور الدين وشعب الايمان للشيخ عبد الملك المكى

= منظومة شعب الايمان مع شرحها للشيخ محمد نووى .

وقد قال القاضى عياض رحمه الله :

تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد وفى الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل فى الايمان اهـ .

وقال ابن حجر رحمه الله :

لم يتفق من عد الشعب على نمط واحد وأقربها الى الصواب طريقة ابن حبان لكن لم نقف على بيانها من كلامه ، ثم قال وقد لخصت مما أوردوه ما اذكره وهو ان هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب واعمال اللسان واعمال البدن ثم ذكر رحمه الله ما يتعلق بكل منها (١) اجمالا وهى جميعها قد ذكرها القصرى تفصيلا فى هذا الكتاب.

ويجدر هنا ان اورد هذا النص لاستاذنا محمد الغزالى فى هذا المجال قال :

قد قرأت رسالة أحصت هذه الشعب واحدة واحدة وبلغت بها تسعا وسبعين شعبة جمعت معاقد الشريعة وأصول الاخلاق وأركان الدين وما ينضم اليها من آداب ونوافل يبلغ الاسلام بها تمامه . ثم قال :

والذى ارجحه ان العدد غير مقصود وان الشارع الحكيم انما يريد ايقاظنا الى ان طبيعة الايمان الهيمنة على النفس والمجتمع والدولة . . اى توجيه الحياة الخاصة والعامة على سواء وتسييرها باسم الله وفق مراده بحيث يكون أمر الله ملحوظا فى البيت والشارع بين الانسان ونفسه وبين الانسان والناس أجمعين فلا تفلت وجهة للمسلم من قصد الله واعلاء كلمته ، ولا يفلت ميدان للحياة من الانطباع بصبغة الدين والاتساق مع مبادئه وأهدافه .

---

(١) راجع فتح البارى جـ ١ ص ٥٢

أما في ما يتعلق بهذا الكتاب واختياري له :

فانه بعد حصولي على درجة الماجستير من هذه الكلية وترشحي لمواصلة الدكتوراه وكنت في مرحلة " الماجستير" قد كتبت عن موضوع خصائص الرسالة المحمدية " وأحببت أن أطرق مجال التحقيق لما في ذلك من تنويع المعلومات الضرورية والتعرف على طرق التحقيق ومناهجه والوقوف على التراث الاسلامي ودأب اسلافنا في خدمة العلم وخدمة ذلك التراث خاصة وان العمل في هذا المجال في هذه المرحلة يتم تحت اشراف مشرف يفيد الطالب ويوجهه في ذلك ، لهذا كله أخذت في البحث في تراثنا الاسلامي عن مخطوط له علاقة بالتخصص " العقيده" وشاء الله تعالى ان اعثر على صورة بمكتبة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة لاصل مخطوط بعنوان شعب الايمان تصنيف الشيخ عبد الجليل القصري موجوده بخزانة الأوقاف العامة بالرباط بالمملكة المغربيه فوقع على هذه المخطوطة الإختيار وتمت موافقة القسم على قبولها لتكون موضوعا للحصول على درجة الدكتوراه .

ثم سافرت للبحث عن بقية النسخ لهذه المخطوطة في كل من مصر والمغرب وشرعت في نسخها وبعد النسخ والتعرف على كامل نصها وجدتها طويلة جدا بحيث يتعذر تحقيقها جميعا في المدة المحددة للدراسة فطلبت من القسم الموافقة على الاقتصار على الجزء الاول منها وبدأت في العمل في ذلك مستعينا بالله تعالى ثم بارشادات وتوجيهات المشرف .

وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب : " شعب الايمان" في مضمونه جميع مسائل العقيدة وعرض نصوصا كثيرة من الكتاب والسنة واستدل على كل شعبة منهما الا انه قد غلبت عليه صبغة عصره الذي عاش فيه وهو النصف الثاني من القرن السادس الهجري في المغرب وكان غالبية علماء تلك الفتره على المذهب الأشعري حيث يعدونه مذهب أهل السنة والجماعة وكانت كتب الغزالي هي السائدة

---

(١) هذا دينا محمد الغزالي ص ٧١ — ٧٢

والرائجة لهذا المذهب لما كان لسلطان الموحدين من تشجيع ونشر لكتب الغزالي ولذا فان صبغة التأثر بكتب الغزالي ظاهرة على مؤلف هذا الكتاب في كثير من مسائل العقيدة التي وافق فيها ما عليه الأشاعرة وخالفوا فيها مذهب السلف .
وقد جعلت من مهمة تحقيقي التنبيه أو الرد على هذه المسائل في مواضعها .

وقد نهج المؤلف في ترتيبه للكتاب منهجا متميزا عن غيره من الكتب التي ألفت في الشعب وهو أنه سار على وفق لفظ الحديث "الايمان بضع وسبعون شعبة" فتناول في مقابلة كلمة "الايمان" الايمان بوجود الله تعالى وبأسمائه وبصفاته . . وتناول في ذلك أقسام التوحيد كما يراه المؤلف ثم بعد ذلك شرع في ذكر الشعب شعبة شعبة ـ الشعبة الأولى الشعبة الثانية . . . الى نهاية الشعبة الأربعين في هذا الجزء المحقق وانهاها في الجزء الثاني بالشعبة الرابعة والسبعين "اماطة الاذى عن الطريق . . . " .

ويمكن ان الخص هنا أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار تحقيق هذا الكتاب وهي :

(١) الرغبة الشديدة التي أجدها في نفسي للاطلاع على التراث الاسلامي المكتوب والمشاركة في ابراز شيء منه .

(٢) قيمة هذا الكتاب العلمية فهو يُذكر الى جانب كتابَي الحليمي والبيهقي في ابرازها لشعب الايمان مستمدة لذلك من نصوص الكتاب والسنة المطهرة .

(٣) أن المؤلف قد تناول مسائل كثيرة وجديرة ان يقف الطالب المتخصص في العقيدة امامها بالبحث والتمحيص والمقابلة وان يجلي الحقيقة والصواب فيها مما يعود بالفائدة على المتخصص اولا ثم ليكون القارئ بعد ذلك على بينة من أمره .

(٤) ثناء كتب التراجم التي تحدثت عن المؤلف عليه بما يغري ويحفز الى معرفة شيء من كتبه وعلمه .

(٥) تنوع المعرفة والثقافة فى هذا الكتاب ففيه المواعظ والحكم ومسائل الفقه . . . . الخ .

(٦) وجوهر هذه الأمور أنه بعد قرآتى وادراكي للحقيقة فى عقيدة المؤلف وجدته — عفا الله عنه — يحث ويرشد ويوصى دائماً الى الأخذ بنصوص الكتاب والسنة وربما اورد ذكر اسماء اعلام السلف كمالك والشافعى واحمد ابن حنبل والبخارى . . كأعلام هدى يجب الاقتداء بهم — كما سترى فى عقيدة المؤلف — ثم هو يخالف أولئك فى مسائل مهمة من العقيدة طالما كثر الكلام من اولئك الاعلام للرد على مثل ما ذهب اليه المؤلف فيها فلو خرج الكتاب على حاله دون التنبيه على تلك المسائل فى العقيدة لظن القارىء البسيط ان ذلك هو الصواب الذى يجب اعتقاده فى الامر خاصة وان الحركة النشيطة التى يشهدها عالمنا الاسلامي فى احياء التراث لابد أن تأتى على مثل هذا الكتاب . خاصة وان الكتاب محل نظر تخصصات متعددة غير العقيدة ففيه المسائل الفقهيه وفيه الآيات الكثيرة مفسرة " وغيرمفسرة ، وفيه الأحاديث غير المخرّجه . . الخ فتحقيقه بتغليب جانب من التخصصات على حساب التقصير فى جانب العقيدة فى ذلك جناية على عقيدة السلف ، فتحقيق الكتاب على اساس الرد على ما يخالف فيه السلف مطلب أساسي فى نظرى .

اما المنهج الذى سرت عليه فى تحقيق هذا الكتاب فهو :

قسمت عملى فى تحقيق الكتاب الى قسمين :

القسم الأول :

ويشتمل على : المقدمة وبابين :

= **الباب الأول** : ضمنته دراسة عن حياة المؤلف وعن الكتاب ويشتمل على :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن عصر المؤلف واشتمل على :—

تمهيد : الحالة السياسية والاجتماعية ، ثم الحالة الدينية والثقافية

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن حياة المؤلف الشخصية واشتمل على

مباحث :

اسم المؤلف وكنيته ولقبه ؛

موطن نشأته

وفاته

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن حياة المؤلف العلميه واشتمل على

مباحث :

طلبه للعلم

شيوخه وتلاميذه

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

مؤلفاته

عقيدته ومذهبه .

الباب الثاني :

اشتمل على دراسة للتعريف بالكتاب وبالمخطوطات واشتمل على :

الفصل الأول : التعريف بالكتاب واشتمل على :

عنوان الكتاب ، وتوثيقه ، وموضوعه ، وأجزائه ، والمآخذ عليه

الفصل الثاني : التعريف بالمخطوطات لهذا الكتاب واشتمل على :

عدد مخطوطات الكتاب الموجوده ، المخطوطات التى لم

اتمكن من تصويرها ، المخطوطات المصوره ورموزها

النسخة الاصل وسبب اختيارها نماذج لهذه المخطوطات.

القسم الثانى : الكتاب المحقق والتحقيق والتعليق وعملي فى ذلك :

(١) المقارنة بين النسخ :

وضعت نص المؤلف معتمدا فى ذلك على نص النسخة التى اعتمدتها اصلا ورمزت لها بالحرف (ع) وما ترجح لى صوابه من غيرها وضعته بين قوسين ونبهت على ذلك فى الهامش ، وقارنت النسخ الخمس بالأصل ورمزت لكل نسخة بحرف فاذا خالفت احدى هذه النسخ ما عليه الأصل ذكرت ذلك فى الهامش ثم ان كان المعنى واحدا اكتفيت بذكر ذلك فى الهامش وان كان يختلف بترجح لفظ على آخر اشرت الى الراجح بقولى : هو أصح وان كان خطأ بينت ذلك وكذا " السقط " فى احدى النسخ أو " الطمس" اشرت الى ذلك فى موضعه وبهذا ظهر الكتاب والحمد لله سليما من اى نقص مع انه لم تخل نسخة من ذلك .

والرموز التى استعملتها هنا :

ع : : يرمز الى نسخة علم الكلام

خ : يرمز الى نسخة الخزانة العامة بالرباط

أ : يرمز الى نسخة أخلاق تيمور بدار الكتب المصريه

ظ : يرمز الى نسخة المكتبة الظاهرية

ت : يرمز الى نسخة " التوحيد " بدار الكتب المصريه

(٢) عزوت الآيات القرآنية الى مكانها من القرآن الكريم بعد أن ميزتها فى الصلب بوضعها بين قوسين فان كانت آية كاملة قلت : الآية كذا وان كانت بعض آية قلت من الآية كذا .. وقد وقع أخطاء فى بعض النسخ فى الآيات فنبهت على ذلك .

(٣) تخريج وعزو الأحاديث :

ذكر المؤلف في كتابه هذا كثيرا من الأحاديث فمنها ما هو في الصحيح ومنها الضعيف ومنها الموضوع ومنها ما هو من الاسرائيليات واشار المؤلف عند ايراده لبعض الأحاديث انه ورد في الصحيح أو في احدى السنن أو انه لم يرد في الصحيح أو انه من الاسرائيليات ولكن ذلك قليل بمقارنته بما لم يذكر والكثير هو انه يذكر الحديث أو بعضه غير مسند فاضطررت الى البحث عنها في كتب السنة وعزوتها الى أماكنها بقدر المستطاع وما وجدت للعلماء من تخريج لما لم يرد في الصحيح ذكرت ذلك التخريج وما لم أجده بواسطة المعاجم والبحث في مضانه نبهت الى أني لم أجده .

(٤) كذلك أورد المؤلف أثارا كثيرة من أقوال الصحابة أو التابعين أو غيرهم فما وجدت لذلك مصدرا ذكرته .

(٥) التعليق :

خالف المؤلف في كتابه هذا السلف فيما ذهبوا اليه في مسائل من العقيدة فعلقت على ذلك مستعينا بكتب السلف وخاصة من كتب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وأشرت في نهايات التعليق الى مراجع البحث ليتمكن القارئ من الرجوع اليها بسهوله .

كذا أورد المؤلف بعض الآراء المرجوحة فنبهت على الراجح ومراجعه .

(٦) الترجمة أورد المؤلف أسماء علماء كثيرين من الصحابة والتابعين والسلف وهم من الشهرة بحيث لم أر ان أورد لهم ترجمة لكن بعض العلماء قد يجهل القارئ معرفتهم فعرفت لهم وذكرت مصادر الترجمة وقد يستلزم ذكر ترجمه لبعض المشهورين لأمر ما .

(٧) ذكر المؤلف بعض الالفاظ الغريبه والتى قد يصعب فهمها على القارى فرجعت فى ذلك الى كتب اللغة وبينتها .

(٨) قد يستلزم النص زيادة حرف أو كلمة فجعلتها بين قوسين ونبهت على ذلك وهى قليلة .

(٩) فى آخر الكتاب وضعت فهارس للاحاديث والتراجم وللمراجع ولمواضيع الكتاب ليسهل للقارىء الرجوع الى النص فى الكتاب .

وأخيرا اسأل الله تعالى أن يهدينا الى الحق وأن يثبت قلوبنا عليه وأن يعصمنا من الزلل والخطأ . انه هو القادر على كل شيء وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ...

========


القسم الأول
التعريف بالمؤلف وبالكتاب



التعريف بالمؤلف

البـــــاب الأول

التعريـــف بالمؤلـــف

ويشتمل على :

* تمهيد

الفصل الأول :

عصر المؤلـف

أولا : الحاله السياسيه والاجتماعيه

ثانيا : الحاله الثقافيه والدينيـــه

الفصل الثاني :

حياة المؤلف الشخصيه

أولا : اسم المؤلف وكنيته وشهرته

ثانيا : موطن نشأته وطلبه للعلم

ثالثا : وفاتـــه

الفصل الثالث :

شيوخ المؤلف وتلاميـذه

أولا : شيوخـــه

ثانيا : تلاميـذه

الفصل الرابع :

مكانته العلمية ووصف المترجمين له

الفصل الخامس :

مؤلفاتـــه

الفصل السادس :

عقيدتـــه

تمهيـــــد :

سيأتى أن وفاة المؤلف كانت فى سنة ٦٠٨ من الهجرة أى فى اوائـــــل القرن السابع الهجـرى ،

ومعنى هذا ان المؤلف قد عاش النصف الأخير من القرن السادس الهجـرى وهذه الحقبة من الزمن مليئة بالأحداث البارزه فى التاريخ الاسلامـــــي سواء كان فى المشرق الاسلامي أو فى مغربه وقد نشطت فيه الحركة العلميـة وكثر فيه العلماء ، فالتحدث عن اى جانب من النشاطات السياسيه او العلمية قد لا يعوز الباحث أن يعثر على المراجع الكافية لذلك الجانب ، وعلى الرغـم من ذلك فان المؤلف القصرى "لم يحـظ بالقسط الأوفر من ابراز نشـــــاطه العلمى ورحلاته والمناصب التى قد يكون تولاها فى كتب التراجم التى بحثت فيها حتى الآن فلم تتحدث الا عن النزر اليسير من ترجمته ـ كما سنرى ـ . غير ان مؤلفات القصرى وثناء المترجمين عليه يجعلنى أقدر وارجح انه حظـى من تلاميذه والمعجبين به ـ على الأقل ـ بتراجم وافية ولكنها لم تظهـــر للنور حتى الآن ولم تزل دفينة مع الآف المخطوطات التى يزخر بها تراثنـــا الاسلامي . ومع ذلك فقد وصلت فى بحثى فى كتب التراجم التى تمكنـــــت من الوصول اليها الى معرفة الجوانب المهمة عن المؤلف من حيث وجـــوده الزمنى والمكانى ونسبة الكتاب اليه . . . كما سيرى القارىء فى الفصـــــول التالية .

والـلــه الموفـــــق . .

الفصـــل الأول

عصـــر المؤلـــــــف

أولا : الحالة السياسية والاجتماعيه :

عاش المؤلف حياته كلها فى ظـــل دولة الموحدين ،

وهذه الدولة قامت على انقاض دولة المرابطين ، ويعتبر ابن تومرت أبوعبد الله (١) أول مؤسس لهذه الدولة فقد قام أول أمره بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم أخذت دعوته طابعا سياسيا وعسكريا فقاوم دولة المرابطين وأطلق علـــى نفسه وأصحابه لقب الموحدين ولكن ما لبث أن مات سنة ٥٢٤ هـ قبل تمكنـــه من اخضاع المرابطين فأوصى بالأمر من بعده الى تلميذه عبد المؤمن بن على الذى سبق له ان أعده لهذه المهمة فانفق سنوات فى حرب المرابطيـــــن فتمكن من الدخول الى مدينه فاس سنه ٥٤٠ هـ ثم مراكش سنه ٥٤١ هـ واتخذهـــا عاصمة لدولته " دولة الموحدين " وقضى على بقية المرابطين ، فانتشر نفـــوذ الموحدين وعم صيتهم .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله ويعرف بابن تومرت من قبيلة المصامدة من المغرب العربى طلب العلم فرحل الى قرطبة ثم رحل الى المشرق سنه ٥٠٠ هـ فانتهى الى العراق وحج واقام بمكة زمنا ثم رجع الى المغرب وقام بدعوتـــه الى الاصلاح سنه ٥١٥ هـ وصار له اتباع فادعى المهديه وأسس دولة الموحدين وعاجلته الوفاة بعد أن قرر قواعد دعوته ومهدها سنه ٥٢٤ هـ وقد أعـــــــد لمواصلت دعوتـــه صديقه وتلميذه عبد المومن بن على ، وقد عرف ابن تومرت بمهدى الموحدين .

انظر ترجمته ومراجعها فى الأعلام للزركلى جـ ٧ ص ١٠٤ ط ٣ وفى شجرة النور الطبقة الحاديه عشره رقم الترجمه ٤١٠ .

وقد توالت عليه وفود الاقطار ومنها وفد اشبيلية برئاسة القاضي أبو بكــــر ابن العربى ومعه عدد من علماء اشبيليه وقدموا له البيعة عام ٥٤٢ هـ عليها واهتم عبد المؤمن فى حكمه بالانشاءات العامة فبنى جامع مراكش ومدينة الرباط وأمر ببناء مدينة فى جبل طارق وعبر اليها بعد تمام البناء سنه ٥٥٥ وأمضى بالأندلس مدة يرعى مصالحها ويسير جيوشها ويرعى شئونها وعاد الى المغرب بعد أن وفر بالأندلس حامية قوية من المسلمين ضد غزوات الافرنج ،

وبعد عودته أخذ يعد العدة لقوة كبيره لغزو الافرنج ولكن وافاه الأجــــل سنه ٥٥٨ هـ فبويع لابنه :

ابى يعقوب يوسف فوقعت فى عهده حروب طاحنه بينه وبين الأفرنج تكللـــت بالنصر والنجاح للمسلمين وعبر الى الاندلس سنه ٥٦٦ بجيوشــه للجهـــاد وبقى خمس سنوات ثم عاد الى عاصمته مراكش وأعد حملة اخرى وعبر بها سنــه ٥٨٠ هـ لرد ملوك النصارى واستشهد فى ذلك العام .

فبويع لابنه المنصور أبو يوسف يعقوب فقام بنفس الدور الذى قام به سلفـــــه فى واجب الجهاد ولقد سارع رغم ما يلاقيه من تحديات الافرنج فى أسبانيـا سارع بامداد صلاح الدين الايوبى فى المشرق اثناء جهاده الصليبيــــــن بقوة كبيرة لاسترداد بيت المقدس .

وقامت بينه وبين الافرنج حروب وأحداث تمخضت بابرام معاهدة هدنـــــــه سنه ٥٨٦ هـ لمدة خمس سنوات .

ولكن ملك قشتاله بادر بنقضها سنه ٥٩٠ وهاجم المسلمين فى الأندلس فأعـد الموحدون للقائه ووقعت معركة " الأرك " وهزمت جيوش الافرنج وقام الموحدون بعد ذلك بجولات جهاديه فى الأندلس وأقام المسلمون بعض الانشاءات ـــ العمرانية والتحصينية والتنظيميه وعاد الخليفة الى مراكش سنه ٥٩٤ وما لبـــث أن وافاه الأجل فى العام الذى يليه بمراكش وخلفه ابنه :

ابو عبد الله محمد الملقب بالناصر لدين اللـه .

فسار على نهج سلفه فى الجهاد وعبر الى الاندلس سنه ٦٠٧ حيث وقعت معركة " العقاب " سنه ٦٠٩ وهزم فيها المسلمون رغم كثرتهم عددا وعدة وتشتت قوة الموحدين بسبب هذه الموقعة وعدت نذيرا بانحلال دولة الموحدين حيث لم تدم بعدها كثيرا وواضح ان وفاة المؤلف كانت فى الفترة اثناء الاعداد لهذه المعركة ووقوعها .

فمن هذه العجالة التاريخية لتلك الفترة نرى أن الحال الغالبة هى الحرب او الاعداد لها ولكن رغم هذه الحال لا نجدها تعوق الدولة عن القيام بدورها الاجتماعى فالأمن الداخلي والازدهار قائم حتى لقد وصف عهد المنصور بالعهد الذهبى للمغرب لعموم الأمن والعدل فبقدر ما كان للحاكم من الاستعداد لمنافحة الأعداء ورد العدو ان كانت له جهود فى البناء والتعمير ونشر العدل والأمن وانشاء المصحات والمدارس ولقد كان لهذه العوامل الأمنية والاستقرار رد فعله القوى على حالة الدولة المادية فالمادة عصب الحرب والسلم ولقد كانت الدولة فى هذا المجال قوية ولا أدل على ذلك الى جانب الانشاءات فقد أقدم صلاح الدين الايوبى الى طلب المساعدة والعون المادي من المنصور فأمده المنصور باسطول بحرى قوى تكون من مائه وثمانين سفينه .

ثم انه لولا القوه الماديه لما تمكن المنصور نفسه عندما وصله كتاب ملك الافرنج يتهدده ويتوعده فيه من أن يمزقه ويكتب له على ظهر قطعة منه : الجواب ما ترى لا ما تسمع ويخرج اليه ويوقع به وبجيشه وقيعة لم يسمع بمثلها .

ونستطيع ان نعلل لهذه القوة المادية رغم كثرة الحروب أن هذه المعارك والحروب كانت تقع بعيدا عن العاصمة ومركز الدولة فلم يكن لتلك الحروب

تأثير مباشر على الحياة الاجتماعيه بشتى جوانبها من زراعه وتجـــــارة وصناعة فأى فرد لم يخـرج للجهاد يستطيع ان يقوم بعمله من زراعـــه او تجارة او حرفه أو طلب للعلم ....الخ .. "(١).

(١) من مراجع هذا البحث :

١ ـ التاريخ الاندلسي للدكتور على الحجى ص ٤٥٧ ـ ٤٦٧
٢ ـ رحلة الى المغرب العربى لاحمد حسين شرف الدين ٢١ـ٢٤
٣ ـ تاريخ الفكر العربى، الى ايام ابن خلدون عمر فروخ ٥٧٣ ـ ٥٧٧
٤ ـ تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٢٥ ـ ٢٤٦
٥ ـ شذرات الذهب ج ٤ تراجم ذلك العصـــر.

ثانيا : الحالة الدينية والثقافيــة :

لو رجعنا الى الجذور التاريخيه للحالتين الدينية والثقافية للعصر الـذى عاش فيه المؤلف لطال بنا الحديث عن ذلك، خاصة وأنه قد ارتبط تاريـــخ المغرب فى تلك الفترة بتاريخ الاسلام فى الأندلس، فما كان من أفكــــار واعتقادات فى أى منهما انتقل الى الآخر وكان هناك وجود لكل طائفة وفرقه وجدت فى التاريخ الاسلامى من خوارج ومعتزله وشيعة وتصوف فكل ما وجـد من ذلك فى المشرق انتقل الى المغرب .

وحيث ان الغرض هو اعطاء صورة لهاتين الحالتين عن عصر المؤلف فسيتضـح المراد اذا تحدثنا عن هاتين الحالتين من واقع دولة الموحدين التى شب المؤلف وشاب فى ظلها كما اقتصرنا على تلك الفترة فى الحديث السابـــق على الحالتين السياسية والاجتماعية اذ لا يخفـى ما للحالة السياسيـــة واتجاهات الحكام على مختلف شئون الحياة .

ولقد أنشأ واسس دولة الموحدين ـ كما اسلفنا ـ محمد بن تومـــرت والذى رحل اثناء طلبه للعلم الى المشرق والتقى فى العراق بالشيـــخ الغزالى ولازمـــه ثلاث سنوات وأخذ عنه طريقته فى التربية والتفـــرغ للعلم والدعوة اليه وتلقى عنه علم الكلام على مذهب الأشاعرة ، وكان يحـدث نفسه بالقيام على دولة المرابطين ويعلن ذلك فى المجالس ثم انه حيـــن بلغ الغزالـــى أن حكام المرابطين حرقوا كتابه " الاحياء " غضب ودعا عليهم وكان ابن تومرت حاضرا مجلسه ذلك، انتهزها ابن تومرت فرصة ورجا الغزالـي فى الدعاء له ان يكون خراب دولة المرابطين على يديه (١) .

---

(١) راجع : فاس عاصمة الادارسه بحث الغزالى والمغرب لمحمد الكتاني ص ١٧٣ وكذا شجرة النور الزكيه الطبقة الحادية عشره الترجمة رقم ٤١٠

وعاد ابن تومرت الى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين كما وصفه ابن خلدون (١) .

وذكر ابن خلدون : ان ابن تومرت قد لقى بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم فى الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقليه الدافعة في صدور أهل البدعة وذهب الى رأيهم فى تأويل المتشابه من الآى والاحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم فى التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف فى ترك التأويل واقرار المتشابهات كما جاءت ففطن أهل المغرب فى ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية فى كافة العقائد واعلن بامامتهم ووجوب تقليدهم والف العقائد على رأيهم مثل : المرشدة فى التوحيد " ٢"

وكان من رأيه القول بعصمة الامام على رأى الامامية من الشيعة والف فى ذلك كتابه فى الامامه الذى افتتحه بقوله " أعز ما يطلب " وصار هذا المفتتح لقبا على ذلك الكتاب . . . (٣)

وقال ابن خلدون بعد ذلك :

ولم تحفظ عنه فلتة فى البدعة الا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة فى القول بالامام المعصوم والله تعالى اعلم (٤) .

---

(١) راجع تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٢٦
(٢) انظر فتاوى ابن تيميه ج ١١ ص ٤٧٦ فى جوابه عن " المرشده " كيف كان أصلها وتأليفها وهل تجوز قراءتها ام لا ؟
(٣) تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٢٦
(٤) المراجع السابق ص ٢٢٩

ولكن الشاطبي في كتابه : الاعتصام لا يوافق ابن خلدون فيما زعمه من أنـــه لم تحفظ لابن تومرت فلتة في البدعة . . . فقد قال

وكل من اتبع المهدي المغربي المنسوب اليه كثير من بدع المغرب هو فـــي الاثم والتسمية مع من اتبع اذا انتصب ناصرا لها ومحتجا عليها . . (١)

ثم انه بين في موضع آخر كثيرا من بدعه ويجدر نقل ما ذكره الشاطبي رحمه الله اذ في ذلك تصوير لما كان عليه الوضع الديني في ذلك الوقت ، قال رحمه الله :

(وتصور المذهب (اي مذهب) كاف في ظهور بطلانه الا أنه مع ظهـــور فساده وبعده عن الشرع قد اعتمده طوائف وبنوا عليه بدعا فاحشة منها :

مذهب المهدي المغربي فانه عد نفسه الامام المنتظر وأنه معصوم حتى ان من شك في عصمته أوفي أنه المهدي المنتظر كافـــر .

وقد زعم ذووه أنه الف في الامامة كتابا ذكر فيه ان الله استخلف آدم ونوحــا وابراهيم وموسى وعيسى ومحمدا عليهم السلام وأن مدة الخلافة ثلاثون سنـــة وبعد ذلك فرق وأهواء وشح مطاع وهوى متبع واعجاب كل ذي رأي برأيـــه فلم يزل الأمر على ذلك والباطل ظاهر والحق كامن والعلم مرفوع كما أخبـــر عليه الصلاة والسلام والجهل ظاهر ولم يبق من الدين الا اسمه ولا مـــن القرآن الا رسمه حتى جاء الله بالامام فاعاد الله به الدين . . . . . وقـــال : ان طائفته هم الغرباء .

وأول اظهاره لذلك أنه قام في أصحابه خطيبا فقال :

---

(١) الاعتصام للشاطبي ج ١ ص ١٦٦

الحمد لله الفعال لما يريد القاضي لما يشاء لا راد لأمره ولا معقب لحكمه وصلى الله على النبي المبشر بالمهدى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يبعثه الله اذا نسخ الحق بالباطل وازيل العدل بالجور مكانه بالمغرب الأقصى وزمانه آخر الأزمان واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام ونسبه نسب النبي صلى الله عليه وسلم وقد ظهر جور الأمراء وامتلأت الأرض بالفساد وهذا آخر الزمان والاسم الاسم والنسب النسب و . . . . . .

يشير الى ما جاء في أحاديث القاطمي ، فلما فرغ بادر اليه من أصحابه عشرة فقالوا : هذه الصفة لا توجد الا فيك فأنت المهدى فبايعوه على ذلك .

وأحدث في دين الله احداثا كثيرة زيادة الى الاقرار بأنه المهدى المعلوم والتخصيص بالعصمة ، ثم وضع ذلك في الخطب وضرب في السكك بل كانت تلك الكلمة عندهم ثالثة الشهادة فمن لم يؤمن بها أوشك فيها فهو كافر كسائر الكفار ، وشرع القتل في مواضع لم يضعه الشرع فيها وهي نحو من ثمانية عشر موضعا كترك امتثال أمر من يستمع أمره وترك حضور مواعظه ثلاث مرات والمداهنة اذا ظهرت في أحد قتل واشياء كثيرة .

وابتدع أشياء كوجوه من التثويب اذ كانوا ينادون عند الصلاة :

" بتا صاليت الاسلام " و " بقيام تاصاليت " . . . واصبح ولله الحمد وغيره فجرى العمل في زمان الموحدين وبقى اكثرها بعد ما انقرضت دولتهم حتى اني — الكلام للشاطبي — أدركت بنفسي في جامع غرناطه :

الرضاء عن الامام المعصوم المهدى المعلوم الى ان ازيلت وبقيت أشياء كثيره غفل عنها او اغفلت . . . ا هـ (١)

---

(١) راجع الاعتصام للشاطبي ج ١ ص ٢٥٥ — ٢٥٦

ويخبر الشاطبي أيضا ان بعض سلاطين الموحدين ظهر له قبح ما كان عليه سلفه في السلطة من البدعة ويأمر بازالة جميع البدع ويكتب بذلك الى الأقطار ويؤيده ما ورد في شذرات الذهب من ان المنصور كان قد عزم على علماء زمانه ان لا يقلدوا أحدا من الائمة الماضين بل تكون أحكامهم بما ينتهي اليه اجتهادهم (١) .

ولكن لم يدم ذلك الخروج على البدع فخرجت طائفة ممن أشربوا حب تلك البدع على السلطان واستصدروا وعدا منه باعادة تلك البدع والسماح لها بالظهور ويصف المؤرخ الفرح الشديد الذى عم أولئك البدعية بسبب عودة البدعه الى الظهور فيقول الشاطبي :

فيا لله : ماذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح بسماع تلك الأمور وانطلقت السنتهم بالدعاء لخليفتهم بالنصر والتأييد وشملت الأفراح فيهم الكبير والصغير وهذا شأن صاحب البدعه فلن يسر بأعظم من انتشار بدعته واظهارها (٢) .

وقد استغل المهدى وجود الاتجاهات المذهبيه التى كانت سائدة في المغرب قبل قيامه بدعوته ، فالى جانب المذهب السنى الذى كان يميل اليه المرابطون كما تقدم في كلام ابن خلدون كان يوجد مذهب الخوارج . والتشيع قد وصل ايضا الى المغرب قبل دعوة المهدى (٣) .

ولعل ابن تومرت أراد ان يضمن مساندة جميع الطوائف لدعوته فأخذ من كل منها ما يضمن له سلطته .

---

(١) شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٢

(٢) انظر الاعتصام ص ٢٥٧ — ٢٥٨ ج ١

(٣) انظر الخوارج في المغرب الاسلامي ص ٢٢٠ — ٢٢١

ففي تشيعه لم يحذوا حذو طائفة معينة من طوائف الشيعه بل اخذ بجميعها وكذا اخذ عن الخوارج تكفيرهم لمخالفيهم واستحلالهم وماءهم ليتمكن من محاربة مخالفيه وقتلهم وكذا تجويز الخوارج ان يكون الامام من غير قريش يلائم وضع ابن تومرت ونسبه .

والى جانب ما تقدم مما يوضح لنا اختلاف وتضارب الناحية العقديه وشيوع كثير من البدع فانه يجدر ان نعرف ان امراء الدوله الموحدية كانوا في جهادهم وحروبهم التى لم تهدأ ضد النصارى والافرنج فى الاندلس كانوا يصطحبون معهم العلماء لمناظرة علماء النصارى ومناقشتهم ونتج عن ذلك تلاقح الاراء والأفكار وانتقالها من بلد الي بلد في جميع النواحي الفكرية من كلامية وفلسفية واراء فقهيه .

ولقد وجد فى هذه الحقبة من الزمن علماء كثيرون في جميع النواحي حتى لقد وصفت هذه الفترة من الزمن بأنها من أشهر وأخصب الفترات فى الحياة الفكرية للمغرب العربى وحظيت الفلسفه بالنصيب الأكبر حتى قيل :

ان الفلسفه لم تزدهر في الاندلس وتلقى نصيبها من الحرية والتقدير الا فى فترتين .. ثانيتهما تبتدىء بتأسيس دولة الموحدين وتنتهى بموت ابن رشد حوالى سنه ٥٩٥ هـ (١) .

ولا أدل على ثراء هذه الحقبة من الزمن بالعلم والثقافة مما يحفظه التاريخ في هذه الفترة من أسماء أعلام للعلم أثروا التراث الاسلامي بكثير من مؤلفاتهم وعلومهم كالقاضي عياض الذى توفى ٥٤٤ هـ والقاضي ابى بكر ابن العربى صاحب العواصم المتوفى ٥٤٣ هـ وابن رشد صاحب بداية المجتهد الذى توفى سنه ٥٩٥ هـ ؛

---

(١) انظر : فى فلسفه ابن رشد محمد بيصار ص ٣٨

الفصـــل الثانـــــي :

حيــاة المؤلف الشخصيـــــة

أولا : اسم المؤلف وكنيته وشهرته (١) :

---

(١) وردت ترجمة المؤلف فى الكتاب التالية :

١ ـ صله الصلة :

احمد بن الزبير رقم الترجمه ٤٤ مخطوط

٢ ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائه السابعه ببجايه

لابى العباس الغبرينى مطبوع

٣ ـ تاريخ الذهبى

محمد أحمد الذهبي المجلد ٢٩ من سنه ٦٠٤ـ٦١٤ مخطوط

٤ ـ سير أعلام النبلاء

محمد أحمد الذهبى ج ١٣ ص٢٣٧ ـ ٢٣٨ مخطوط

٥ ـ طبقات المفسرين

جلال الدين السيوطى رقم الترجمة ٣٨ مطبوع

٦ ـ طبقات المفسرين

شمس الدين محمد على الداودى رقم الترجمة "٢٥٠" مطبوع

٧ ـ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج .

لأحمد بابا التنبكتى " ترجمة عبد الجليل بن موسى " مخطوط

٨ ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج

لأحمد بابا التنبكتى مطبوع بهامش كتاب الديباج والترجمه فى ص ١٨٤

٩ ـ التشوف الى رجال التصوف :

لأبى يعقوب يوسف بن يحى المشهور بابن الزيات والترجمة مخطوط ص ١٧٦

ومن الكتب الحديثه :

١٠ ـ معجم المؤلفين عمر رضا كحاله جـ ٥ ـ ٦ ص ٨٤

١١ ـ الاعلام للزركلى جـ ٣ ص ٢٧٦ من الطبعه الخامسة .

اسم المؤلف :

عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل ، الأنصارى ، الأوسى ، القرطبـــى الاندلسى ، المالكى ، القصـــرى .

وكنيتـه :

أبو محمـــد

ويعرف بـ :

" القصـــــرى "

وعرف بذلك لنزولـــه بالقصـــر وسكناه بـــه .

ولكن اختلفت كتب التراجم فى تعيين هذا القصـــر :

فذكر الذهبى :

أنه اشتهر بالقصرى لنزوله بقصر عبد الكريم وهو قصر كتامه بلد بالمغرب الأقصى وبقية المراجع تذكر أن نسبته هى : الى قصر كتامه ولم تذكر انه ـ أى قصـر كتامه ـ هو قصر عبد الكريم فيفهم منها أن قصر كتامـة هو قصر عبد الكريـــم لولا ان صاحب كتاب : مراصد الاطلاع ذكران :

قصر عبد الكريم مدينة على ساحل بحر المغرب قرب سبته مقابل الجزيرة الخضراء من الأندلس ،

وان قصر " كتامة " مدينه بالجزيرة الخضراء من الاندلس (١) ومن هذا النص من المراصد يظهر أن الموضعين يختلفان ولكن الذى يترجح لدى أنهمـــا اسمان لموضع واحد اذ قبيلة كتامه من قبائل البربر ونسب الموضع اليها .

وقد صرح الزركلى بذلك فقال عن نسبة المؤلف .

ونسبته الى قصر كتامه ويسمى الآن بالقصر مدينة فى المغرب (٢) .

---

(١) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفى الدين عن المؤمن البغدادى ج ٣ ص ١٠٩٩ و ١١٠٠

(٢) الاعلام للزركلى ج ٣ ص ٢٧٦ ط ٥

ثانيا : موطن نشأته وطلبه للعلم :

لم تذكر كتب التراجم التى وجدت فيها ترجمة للمؤلف أى تفصيل عن تاريخ ولادته ولا مكانها ولا مراحل تنقله فى طلب العلم .

ولكن مما جاء فى تلك التراجم نستطيع ان نستنتج مايلى :

أن مكان ولادته على الأرجح كانت ، فى الأندلس وفى مدينة قرطبة لما يظهر من نسبته اليها ولما يفهم من قول كتاب صلة الصلة :

" هو من أهل حصن " فرنجولش " من أحواز " قرطبة " "

ثم كعادة طلاب العلم فى زمانه رحل فى طلب العلم ولكن لم تشر المراجع الى أى رحلة له خارج أرض الأندلس والمغرب

فنجده يأخذ الموطأ على يد أبى الحسن الكتانى فى مدينة فاس (١)

وربما اقام بمدينة طنجه كما نفهم من نص فى عنوان الدراية فى ترجمته لأبى عبد الله بن شعيب فذكر المؤلف أن القصرى روى ان ابن شعيب هذا كان اذا زار أصدقاءه فى طنجه لا يبيت الا فى المساجد فدل على مشاهدة القصرى لذلك .

ثم ان القصرى يختار القصر أى قصر عبد الكريم للاقامة وطلب العلم فيه وملازمة بعض مشائخه ويمكث فيه مدة حتى أنه نسب اليه لكثرة الاقامة به .

ويبدو أنه خرج من القصر مرغما الى مدينه سبته بسبب ما لقيه من الأذى اثناء مناوشة المرنيين للموحدين كما اشار الى ذلك صاحب التشوف الى رجال التصوف حيث قال :

وكان بقصر كتامه . . . فنالته محنته من بلده فاستقر أخيرا بمدينة سبته وذكر أبياتا من الشعر لم استطع قراءتها ويفهم منه حنينه الى القصر واصدقاءه فيه وبسببه تكون وفاته كما سيأتى والله أعلم.

---

(١) وصف المراكشى صاحب المعجب وصف فاس فى القرن السادس فقال : ومدينة فاس هى حاضرة المغرب فى وقتنا هذا وموضع العلم فيه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة وما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب .

راجع : فاس عاصمة الأدارسة . . الاستاذ محمد المنتصر الكتانى ص٢ ٥

ثالثا : وفاتـــــه :

جميع مصادر ترجمته ذكرت أن وفاته كانت سنة ٦٠٨ هـ ما عدا كتـــاب التشوف فقد ورد فيه قول مؤلفه :

قيل انه مات بمدينه سبته عام ثلاثه عشر وستمائه وجميع المراجـــــع اتفقت على أن وفاتـــه كانت بمدينة سبتـــه .

الفصل الثالـــث

شيوخ المؤلف وتلاميــذه

أولا : شيوخــــه :

لم يرد في كتاب المؤلف الذى نحن بصدد تحقيقه ذكر أحد من شيوخ المؤلف الذين روى عنهم أو تلقى على أيديهم ، وانما أوردت كتب التراجم التـــــى ترجمت له بعضا من هؤلاء :

١ ــ أبو الحسن على بن حنين الكنانى الحاج محدث فاس (١) أخـــذ عنه القصرى الموطأ بمدينة فاس .

٢ ــ أبو نصر فتح بن محمد المقرىء (٢)

٣ ــ أبو الحسن على بن خلف بن غالب (٣)

٤ ــ أبو الحسن بن غالب الأنصارى (٤)

٥ ــ أبو محمد بن عبد اللــــه .

---

(١) هو أبو الحسن على بن أحمد بن حنين الكنانى القرطبى نزيل فاس سمـــع الموطأ من أبى عبد الله بن الطلاع وأخذ القراءات من أبى الحسن العبســى وسمع من حازم بن محمد وحج سنه خمسمائه وعمر دهرا ولد سنة ست وسبعين وأربعمائه وتصدر للاقراء وتوفى سنه ٥٦٦ .

راجع : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ج٤ ص ٢٣٤

وذكر الاستاذ محمد المنتصر الكتانى : أن الكنانى تلميذ للغزالي .

راجع كتاب / فاس عاصمة الادارسه ورسائل اخرى ص ١٠٤

(٢) انظر الحلل السندسية ج ٣ ص ٢٨

(٣) كذا ورد في طبقات المفسرين للداودى

وانظر نيل الابتهاج المطبوع بهامش الديباج ص ١٩٨

(٤) كذا فى صله الصلة : وقال عنه : .. الجليل شيخ الصوفية فى وقته ولازمه بقصر كتامه وفتح له على يديه .

ويلاحظ : أن المؤلف لم يشتهر بلقبه " القصرى " الا بعد مكثه واقامتـــه الطويلة بالقصر وكان قبل ذلك ــ فيما يظهر لى ــ يعـــرف بأبى محمد القرطبى ويكثر ورود هذا الاسم فى كثير من تراجـــم علماء زمانه وقت طلبه للعلم فتذكر أن ممن أخذ عنه أو حدث عنه أبو محمد القرطبى وذلك كما فى الديباج ص ٣٠٢ فى ترجمـــة : أبو محمد القرطبى الحافـــظ وكما فى شجرة النور الزكية ص ١٥٩ فى ترجمة ابى عبدالله محمد بن ابراهيم بن خلف الانصارى .

ثانيا : تلاميـــذه :

وممن ذكر فى ترجمته ممن أخذ عنه :

١ ــ أبو الحسن على بن محمد الغافقى (١)

٢ ــ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأزدى (٢)

٣ ــ أبو محمد عبدالله بن حوط الله (٣)

---

(١) ذكره صاحب صلة الصلة والسيوطى فى الطبقات وغيرهما انظر ما قال عنه وعن ابيه صاحب الحلل السندسيه ج ٣ ص ١٨٤

(٢) ذكره فى كتاب الصله وفى كفاية المحتاج والذهبى فى التاريخ .

(٣) ترجم له أبو الحسن النباهى فى تاريخ قضاه الاندلس ص ١١٢ وقال : ومن صدور القضاه وأعلام الفقهاء الحافظ أبو محمد عبدالله بن سليمان بن داود .... بن حوط الله الأنصارى .. كان اماما فى العلوم عارفا بالأحكـــام متقدما فى علم الحديث وما يتعلق به من التاريخ والانساب وأسماء الرجـــال .... ولى القضاء بكور كثيرة ... وتوفى بمدينه غرناطه سنه ٦١٢ وفى شجرة النور الزكية الطبقه ١٣ ص ١٧٣ ترجم له وذكر أنه الف كتابا فى تسمية شيـــوخ البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى والترمذى لم يكمله وقال الذهبى فـــى ترجمته للمؤلف أنه أجاز لأبى محمد بن حوط الله سنه احدى وست مائه .

الفصـــل الرابـــــــع

مكانته العلميه ووصف المترجميه لــه

لم أعثر فى كتب التراجم على ترجمة تتناوله من حيث التفصيل والبيان لمكانته العلميه ، وكل الذى ذكرته عنه انما هى شهادات منهم بفضل هـــــذا الشيخ وورعه وزهده .

واستطيع القول على ضوء قرأتى لكتابه " شعب الايمان " أنه كان عالما واسـع الاطلاع قرأ كثيرا من كتب السلف والخلف وتأثر بهما جميعا وكان فيما كتـب يعتمد على حفظه وذاكرته فيما يورده من نصوص واقتصرهنا على ذكر ماأوردته كتب التراجم فى حد يشها عن علم الرجل وزهده :

١ ــ فقال ابن الزبير فى كتابه : صلة الصلة : (١)

كان أبو محمد عبد الجليل من العلماء العاملين وأحد أئمه المتقين أثر التفرد والانقطاع عن الناس ، وجد فى العمل وما عرج على شىء من الدنيا ، ولا على أحد من أهلها . وتواليفه كلها جليلة مفيدة فى بابها لم يسبق اليها ، وكلامه فى طريق التصوف سهل محرر مضبوط بظواهر الكتاب والسنة .

وكانت له رحمه الله مشاركة فى علوم شتى وتصرف فى الأدب واللغـــة والنحو وغير ذلك .

---

(١) ابن الزبير هو : أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفى الغرناطى أبو جعفـــر محدث مؤرخ من أبناء العرب الداخلين الى الاندلس انتهت اليه الرياســـه بها فى العربيه ورواية الحديث والتفسير والاصول أقام وتوفى بغرناطه لــــه مؤلفات منها صله الصله البشكواليه ولد ٦٢٧ ومات ٧٠٨
راجع : الأعلام للزركلى والديباج ص ٤٢

٢ – ووصفه جلال الدين السيوطى فى طبقات المفسرين فقال :

... شيخ الاسلام كان متقدما فى الكلام مشاركا فى فنون رأسا فى العلم والعمل منقطع القرين متصوفا زاهدا ورعا عن الدنيا ... كان له من الصيت والذكر الجميل ما ليس لغيره وختم به بالمغرب التصوف على طريقة أهل السنة ..

٣ – وكذا وصفه الداوودى فى طبقات المفسرين أيضاً .

٤ – وفى كتاب التشوف الى رجال التصوف لأبى يعقوب يوسف بن يحى (١) قال :

كان عبدا صالحا كثير الاجتهاد فى العمل دائم العبره .. وذكر له أبياتالم أتمكن من قراءتها لرداءت المخطوطة ويدلنا ذلك على ان المؤلف كان يقول الشعر .

٥ – وذكره الذهبى فى كتابيه : التاريخ والسير وقال :

الشيخ الامام العلامة العارف القدوة شيخ الاسلام ....

ساد فى العلم والعمل وكان منقطع القرين ... واشار الى ثناء ابن الزبير ثم قال فى السير :

وكلامه فى الحقائق رفيع بديع منوط بالأثر فى اكثر أموره

---

(١) هو يوسف بن يحى بن عيسى التادلى أبو الحجاج المعروف بابن الزيات ، لغوى أديب من قضاه المالكية لقى ابن حوط الله – وهو من تلاميذ القصرى – مات سنه ٦٢٧ او التى بعدها :

راجع : نيل الابتهاج بهامش الديباج ص ٣٥٢

وشجرة النور ص ١٨٥ الطبقه الثالثه عشره

وربما قال أشياء باجتهاده وذوقه والله يغفر له . . .

٦ ــ وقال : احمد بابا التنبكتي (١) في كتابيه : كفاية المحتاج ونيل الابتهاج : كان متقدما في علم الكلام مشاركا في العربية وغيرها متصوفا وكان صاحب أحوال ومقامات وعلم ومعاملات وزهد وتبتل .

(١) احمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني أبو العباس مؤرخ اصله من صنهاجه من بيت علم وفضل وصلاح وكان عالما بالحديث والفقه له مؤلفات كثيرة توفى ف تنبكت سنه ١٠٣٦ هـ

راجع الأعلام للزركلي جـ١ ص ٩٨ ط ٣

الفصل الخامس

مؤلفاته

لم يشر المؤلف فى كتابه " شعب الايمان" هذا الى أى من كتبه ومؤلفاته التى ذكرتها كتب التراجم له كما هى عادة غالب المؤلفين فى الاحالة والاشاره الى كتبهم ومؤلفاتهم وربما كان سبب ذلك، أن كتابه" شعب الايمان" كان أول كتبه .

ومن مؤلفاته التى ذكرتها له كتب المراجع :

١ ـ تفسير القرآن العظيم (١)

٢ ـ شعب الايمان وهو هذا الكتاب الذى أقوم بتحقيقه .

وقد ذكره بروكلمان (٢) وزعم انه مختصر لكتاب شعب الايمان للحليمى ، وسأتحدث عن هذا الخطأ الذى وقع فيه بروكلمان وغيره عند حديثى عن الكتاب ـ ان شاء الله .

---

(١) لم توضح هذه المراجع اسم هذا التفسير ،
ففى صلة الصلة قال : والف تفسير الكتاب العزيز
وعند الذهبى : صنف التفسير .
ولعله يعرف بتفسير ابن موسى فقد ذكر الاستاذ محمد المنتصر الكتانى فى بحثه بعنوان : تراثنا الاندلسى المغربى ضـ تنبيهه على التفاسير الموجوده مخطوطه بالمغرب فقال . . . تفاسير كتاب الله الكريم للغرناطى ، وابن جابر . . . وابن موسى .

(٢) تاريخ الادب العربى لبروكلمان ج ٦ ص ١٩٢

٣ ــ المسائل والأجوبـــه

٤ ــ تنبيه الأنام فى مشكل حديث النبى صلى الله عليه وسلم (١)

٥ ـ اليقين ولم يذكر هذا الكتاب الا التنبكتى فى كتابيـــه :

نيل الابتهاج ، وكفاية المحتاج . واشار الى أن له غير هـــذه

الكتب المذكوره .

---

(١) ذكره بروكلمان فى الجزء السادس ص ١٩٢ بعنوان

بيان مشكل الأحاديث النبويـــة .

الفصل السادس

عقيدة المؤلف

رأينا في الحالة الدينية والثقافية ما كان يوجد في عصر المؤلف من اتجاهات مختلفه في العقيدة كانت تدعمها الدولة الموحديه التي كان المؤلف يعيش فيها وكان مؤسسها محمد بن تومرت أقام دعوته بدعواه انه الامام المنتظر والمهدي الذي أخبرعنه الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وبمقارنه تلك الاتجاهات المختلفه وعرضها على عقيدة المؤلف التي ليس لنا فيها مرجع سوى كتابه " شعب الايمان " فهو السبيل الوحيد الذي يمكننا به معرفة اتجاه المؤلف الفكري ونهجه العقائدي يظهر لنا أن المؤلف سلك فيما يتعلق بمسائل العقيده مذهب الأشاعرة والذي كان يمثلها في ذلك العصر وذلك القطر فكر الغزالي حيث كانت الدوله حريصة على نشر فكره وتعميمه وأول ما نرى هذا الاتجاه للمؤلف في مقدمة كتابه الطويله والتي كان يشير اليها في بقية الكتاب بباب التوحيد وأراد بهذه المقدمة بيان ما يتعلق بذات الله تعالى من حيث اثبات وجود الله تعالى ووحدانيته واسمائه وصفاته وما يتعلق بكل منها فقد سلك في ذلك طرق المتكلمين من الاستدلال بحدوث العالم وما يترتب على ذلك من الاستدلال بحدوث الاعراض والاعراض صفات للاجسام . . . . . . الخ .
ونقد السلف لذلك الطريق لكونها ليست طريقة الرسل واتباعهم ولا سلف الامة ولما يترتب عليها من مفاسد وأمور تعارض النصوص الشرعيه .
ويرى القارىء ذلك أيضا في نفيه للجسم والعرض والحيز . . . مما لم يرد الشرع باثباته ولا بنفيه في حق الله تعالى فقد يستلزم اثباته على الاطلاق محذورا او يستلزم نفيه نفي شيء ثبات لله تعالى .

وكتأويله بعض الصفات كالجهة والاستواء والكلام وهى من مهمات المسائل في العقيده

وأقرب ما يمكن وصف المؤلف به فى العقيده أنه مع الأشاعرة فيما استقلوا به عن السلف من المسائل وان كان يصرح بالتزامه بمنهج أهل السنه والحديث ويقول فى ذلك فى الشعبة الثانيه والثلاثين :

(واهل السنة والحديث قد نقلوا الينا اخبار الصفات ونطقوا بالصفات فلو كذبناهم فيما نقلوا من ذلك ونطقوا به وجب تكذيبهم فى كل مانقلوا من الشريعه وكان ذلك هدما للاسلام فنعوذ بالله من الضلال .

ويعرف من هم أهل السنه كما فى ص ٥٣٦ فيقول :

وأهل السنة هم : أهل الحديث وأهل الفقه والمتصوفه

ثم قال :كمالك وأشياخه وأتباعه ، وأبى حنيفه وشيوخه واتباعه

وأحمد بن حنبل والبخارى وسفيان والأوزاعى وشيوخهم وأتباعهم

وابراهيم بن أدهم وسهل والعارفين بالله واشياخهم واتباعهم

والعامه فى المعقود أيضا لانهم تابعون لاهل العلم.

ثم قال : ومن سوى هؤلاء ممن ليس على طريقهم زائغ . .

ويؤكد فى موضع آخر ص ٥٢٢ أن منهجهم هو الورع والايمان بالأخبار كما وردت مع نفى التشبيه والتعطيل ثم قال :

وعليه درج :

مالك والشافعى رضى الله عنهم وسفيان وابن عيينه وابن المبارك والبخارى والترمذى وجميع المحدثين من السلف والخلف فى فتواهم رضوان الله عليهم . .

ويحذر من مخالفة أهل السنه بقوله ص ٥٣٤

(... وينظر فى الكتاب والسنة ويكون ورعا كافا عن الاقدام بغير بيان وبرهان كتابى وعقلى لئيلا يقع العبد فيما وقع فيه الزائغون الذين يقولون بنفى الصفات والذين يقولون بخلق القرآن والذين يقولون بالتشبيه والذين يقولون بحدوث الصفات وغير ذلك من ارائهم المجانبه لاعتقاد أهل السنة وإنما وقعوا فى ذلك لقلة الورع .

أما بقية المذاهب والفرق والبدع التى كانت سائده فى زمان ومكان المؤلف فلا ارى لها اثرا فى اسلوب ومنهج المؤلف او عقيدته .

وجميع الاعلام الذين استشهد لهم فى كتابه كلها اسماء علماء أجله من علماء المشرق لهم اتجاههم السلفى الواضح .

وقد تناول بعض المسائل التى قال بها الفلاسفه ورد عليها وهى عين المسائل التى كفر بها الغزالى الفلاسفة كما فى ص ١٠٠

أما موقفه من جميع الفرق وتعريفه بها فيتضح ذلك من شرحه لحديث :

" وأن هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ... " ص ٣٤٨

وعرف من هم الروافض ، والخوارج والمعتزله ..... الخ .

وقد جعلت من مهمتى فى تخريج الكتاب الاشارة أو التنبيه أو التوضيح لما يقع فيه المؤلف فى جانب العقيدة من أقوال تخالف ما استقر عليه رأى السلف فى ذلك وهى مهمة صعبة بذلت فيها المستطاع .

أما عن تصوف المؤلف فقد وصف ـ كما تقدم فى ترجمته ـ بأنه متصوف وختم به فى المغرب التصوف على طريقة أهل السنة : وظهر اثر هذا التصوف فى مواضع كثيره من كتابه ،

فلقد كثر الحديث من العلماء عن التصوف والمتصوفه بين مؤيد ومعارض ولا شك ان التصوف فى الصورة التى ظهر عليها فى العصور المتأخره والذى يتمثل بطرق ويتميز بطقوس تخص المتصوفه ان ذلك مرفوض ومردود فى العقيده الاسلاميه الصافيه .

أما عن التصوف القديم والذى يرى ابن تيمية رحمه الله أن نشأته كانت في أوائل القرن الثاني وكان منشأه بالبصره (١) فان هذا التصوف لم يشتهر الكلام به الا بعد القرون الثلاثه الأولى ونقل التكلم به من غير واحد من الأئمة والشيوخ — كما ذكر ذلك ابن تيميه كالامام احمد بن حنبل وأبى سليمان الدارانى (٢).

وعن هذا التصوف قال ابن تيميه رحمه الله :

تنازع الناس فى طريقهم :

فطائفه ذمت الصوفية والتصوف وقالوا انهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الائمة فى ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام .

وطائفة غلت فيهم وادعوا انهم افضل الخلق واكملهم بعد الأنبياء

ثم قال رحمه الله

وكلا طرفى هذه الأمور ذميم

والصواب :

انهم مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ،

ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده

وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين

---

(١) انظر فتاوى ابن تيميه جـ ١١ ص ٦–٧ ، ١١ — ١٦

(٢) المصدر السابق ص ٥

وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب اولا يتوب ومن المنتسبين اليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربـــه . . .

وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة لكن عند المحققيـــــن من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج وابن عربى (١)

والذى يترجح لى فى تصوف القصرى أنه من النوع الأول المقبول عند ابن تيمية فالقصرى كما سبق يؤكد سلوكه سبيل أهل السنة ويؤكد على ذلك فى مواضـع كثيره من كتابه فهو يقول مثلا فى الشعبة الخامسة والعشرين .

وأما أمور الخير الدينيه فالكلام فيها بالسؤال عن العلم والجواب فيـــــه فلا يتكلم الا بعلم حق ولا يتكلم فى الدين بأهواء المبتدعة والمتعمقيـــن ويتمذهب به فان ذلك جناية على الدين والصمت عن ذلك فرض واجب الا أن يتكلم العالم والمتعلم فيه بمعنى الحكاية او على وجه البيان لفساده .

وبقى ان نتعرف هل التزم القصرى بهذا الطريق ونهج منهج الكتـــاب والسنه فى تصوفه ام غالى الى درجة اولئك الذين وصفهم ابن تيميـــــة بأنهم غلوا وحادوا عن الطريق ، ولولا وجود بعض العبارات التى أدخلهـا فى كتابــه .

لكنا نرجو أن يكون ممن التزم منهج الكتاب والسنه ولكنه قد انطبق عليـــه وصف الذهبى له حقيقة حين قال عنه :

(وكلامه فى الحقائق رفيع بديع منوط بالأثر فى اكثر أموره وربما قال أشيـــاء باجتهاده وذوقه والله يغفر له)

وقد نبهت على اكثر هذه العبارات بما يلزم فى مواضعها .

---

(١) انظر الفتاوى ج ١١ ص ١٨ وج ١٠ ص ٨٢ — ٨٣ و ٣٦٩ — ٣٧٠

مذهبه في الفروع :

أما مذهبه في الفروع فهو على مذهب الامام مالك رضي الله عنـــــه
ويفهم ذلك من تتلمذه وأخذه الموطأ عن شيوخه ومن تصريـــــــح
كتاب " عنوان الدراية بذلك، فقال في ترجمته للقصري : المالكـــي
ويفهم ذلك من ايراده لرأي الامام مالك في كثير من مواضع كتابـــه
والتمذهب على مذهب مالك رحمه الله تكاد تكون الصفة الغاليـــة
على علماء المغرب حتى اليوم .



التعريف بالكتاب والمخطوطة

الباب الثانــــي

التعريــف بالكتاب وبالمخطــوطـه

الفصل الأول :

التعريف بالكتــــاب

أولا : عنوان الكتاب

ثانيا : اجزاء الكتاب

ثالثا : موضوع الكتاب

رابعا : نقد الكتاب

الفصـــــل الأول

التعريـف بالكتـاب

أولا : عنوان الكتاب :

عنوان الكتاب هو " شعب الايمان "

ففي غلاف نسخة " أخلاق تيمور " والتي رمزت لها بالحرف " أ " ورد الاســم هكذا :

" شعب الايمان "

تصنيف الشيخ الفقيه الامام العالم الورع الزاهد الحبر الفاضـــــل أبي محمد عبد الجليل رحمــه الله .

وفي آخرها كمل . . . . شعب الايمان .

وفي غلاف نسخة الخزانة العامة بالرباط والتي رمزت لها بالحرف " خ " ورد العنوان هكــذا :

كتاب شعب الايمان

تأليف الشيخ الامام العالم العارف الفاضل الزكي العلامة أبــــــي محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري . . . .

وفي آخر الجزء الأول قال :

كمل الجزء الأول من كتاب الشعب . والحمد للــــه

وفي آخرها :

تمت الشعب بحمد الله وعونـــــه . . . .

أما نسخة دار الكتب المصريه — وهى النسخة "ع" كما سيأتى التعريف بها — فقد سقط منها الصفحة الأولى والأخيره والتى يفترض ذكر اسم الكتاب فيهما غير أنه ذكر فى آخر الجزء الأول قوله :

(انتهى النصف الأول من كتاب الشعب بعون الله . . .)

وقال فى أول الجزء الثانى :

الجزء الثانى من كتاب شعب الايمان

وقال فى آخر الجزء الأول من نسخة المكتبة الظاهرية والمرموز لها بـ " ظ " قال :

(تم الجزء الأول من كتاب شعب الايمان . . .

فيتضح من ذلك كله أن عنوان الكتاب هو :

" شعب الايمـــان "

غير أنه ورد فى غلاف النسخة الموجوده بدار الكتب تحت رقم ١٧٣ ورمزت لها بـ " ت " ورد عنوانه هكذا

" مختصر شعب الايمان "

ثم قال : وقف وحبس . . . . . . — وذكر جملة طويله لم اتمكن من قراءتها حتى قال :

من مختصر شعب الايمان للحليمى رحمـه اللـــه . . .

وكذا عن النسخة " ع " التى سقطت الورقه الأولى والأخيره منها اشار الـــى رقمها ١١٠ علم الكلام بعنوان :

مختصر شعب الايمان لابى عبد الله المعروف بالحليمى اختصار عبد الجليل بن موسى القصرى .

فواضح التعارض فى العنوانين فالنصوص الأولى تفيد أن الكتاب مستقل من تأليف القصرى بعنوان " شعب الايمان"

والنصان الأخيران يفيدان أن الكتاب بعنوان مختصر شعب الايمان .

لكن وبعد البحث وقرأة الكتاب ومقارنته بكتاب الحليمي أتضح لي ان الكتاب بعنوان" شعب الايمان" وأنه تأليف مستقل للقصرى .

وأما تسميته" مختصر شعب الايمان" فذلك لبس وخطأ من وجهين

الخطأ الأول :

من حيث تسميته بمختصر شعب الايمان

والخط الثاني :

من حيث نسبته عند من سماه بالمختصر الى أنه مختصر لشعب الايمان للحليمي .

أما الخطأ الأول : فلو تلمسنا له سببا لوجدنا ما يأتي :

١ ــ فيظهر أن النسخ التي وقع فيها هذا الخطأ لها أصل واحد وذلك الأصل قد سقط منه الورقة الأولى التي تحمل العنوان فتلمس مالكها أو المسئول عنها اسمها داخل النسخة فوجد المؤلف يصرح بأن غرضه من تأليف الشعب الاختصار فظن ان عنوانها كذلك والمؤلف رحمه الله كثيرا ما صرح في كتابه أن غرضه الاختصار فيقول : وانما غرضنا الاختصار.. وهذا المختصر . وذلك مثل ما ورد في :

ص ٣٨٠ قال ... وخرج عن حد الاختصار الذى قصدت له في تأليف هذه الشعب .

وفي ص ٣٨٥ قال : ... وغرضنا الاختصار .

٢ ــ وهناك احتمال آخر لهذه التسمية وهو أن اكثر المؤلفات التي الفت في شعب الايمان بعد الحليمي انما كان مؤلفها يتبع الحليمي ولو في ناحية من النواحي ، فالبيهقي مثلا سلك مسلكه في عدد الشعب ومسمياتها وترتيبها وزاد عليه بذكر سند الحديث وقد صرح البيهقي بذلك حيث يقول في مقدمة كتابه :

(. . فوجدت أبا عبد الله الحسن الحليمي . . . أورد في كتابه . .
الى أن قال :

فاقتديت به في تقسيم الأحاديث على الأبواب . . .الخ .

ثم أتى القزويني فاختصر كتاب البيهقي وسماه / مختصر شعب الايمان .
فلعل أحدا ظن ان القصري قصد بكتابه اختصار كتاب الحليمي تبعا لأولئك .

أما الخطأ الثاني والجواب عنه :

فقد وقع فيه اضافة الى ما ورد في النسختين : ت ،ع كل من :

١ ـ بروكلمان فذكر في ج ٤ ص ٢٠٥ من تاريخ الأدب العربي " الترجمة العربيه"
في الكتاب التاسع : العقائد وفي آخره ترجم لأبي عبد الله بن الحسن الحليمي وذكر كتابه " شعب الايمان" ثم قال :

وله مختصر آخر لابي محمد عبد الجليل بن موسى القصري القاهره ثان ٢٠٦/١

وأورد في الباب السادس " علم الحديث " ترجمة القصري فقال :

أبو محمد عبد الجليل بن موسى الأنصاري . . ثم ذكر مؤلفاته ومنها :
مختصر شعب الايمان بالقاهره ١ / ٢٠٦

٢ ـ صاحب كتاب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفه محمد الكتاني حيث قال في ص ٤٤ من كتابه هذا :

وشعب الايمان لابي بكر البيهقي في نحو ستة أسفار ولأبي عبد اللـه الحسين بن الحسن الحليمي سماها منهاج الدين في ثلاث مجلدات
ثم قال :

وقد اختصرها أبو محمد عبد الجليل بن موسى القصري وغيره

٣ ـ محقق معاصر هو حلمى محمد فوده محقق كتاب المنهاج فى شعب الايمان لابن الحسن الحليمى حيث قال فى مقدمته جـ١ ص ٣٤ مانصه :

(... غير اننى عثرت على مختصر آخر لكتاب المنهاج موجود فى دار الكتب القومية بالقاهرة تحت رقم ١١٠ علم الكلام اختصره أبو محمد عبد الجليل بن موسى القصرى يقع فى ٤١٨ صفحة وقد حصلت على هذا المخطوط كنسخة ثالثه وهى مكتوبة بخط نسخي جيد وواضح ومقروء) اهـ

ثم ذكر فى الفروق بين النسخ قوله :

(لا يوجد فروق كبيرة بين النسخ الثلاث غير ما حصل من جراء النسخ من تحريف وتصحيف والأمثله على ذلك كثيره نورد منها مايلى ..) اهـ

ولكنه فيما أورده من أمثله لم يورد من نسخة " علم الكلام ١١٠" التى اعتبرها نسخة ثالثة لكتابه أى مثال . ولم يذكرها ضمن مخطوطات كتاب المنهاج قبل ذلك، ولو أنه القى أدنى مقارنه بينهما وبين كتاب المنهاج للحليمى لعلم ان لا علاقة بينهما . وقد اكتفى فى الحكم عليها بذلك بما كتب على غلافها بغيرخط ناسخها .

ولمزيد العلم فان هذه النسخة التى اعتبرها حلمى محمد فوده نسخة ثالثة لكتاب المنهاج للحليمى هى عينها التى اعتمدتها فى تحقيقى لكتابى هذا ورمزت لها بالحرف " ع" وهى جزآن فى مجلد واحد مصورة عن أصل مخطوط فى دار الكتب المصرية علم الكلام رقم ١١٠ وعدد صفحاتها ٤١٨ مع نقص الورقه الأولى التى كتب عليها اسم الكتاب والورقة الأخيره التى فيها ذكر نهاية الكتاب بخط الناسخ .

...

ومما ذكره هؤلاء الذين ذكرت انهم وقعوا فى هذا الخطأ المشترك بينهم يظن القارئ لأى منهم ان هذا الكتاب " شعب الايمان " للشيخ القصرى هو مختصر لكتاب " المنهاج فى شعب الايمان للحليمى .

ويهمنى هنا دفع هذا اللبس واثبات أنه لا ارتباط لكتاب القصرى بكتاب المنهاج للحليمى .

ويتضح ذلك من وجوه كثيره منها :

أولا : نقل الاستاذ حلمى محمد فوده فى مقدمة (تحقيقه لكتاب المنهاج للحليمى عن كشف الظنون حيث قال :

(جاء فى كشف الظنون (حاجى خليفه ج ٢ ص ١٨٧١) أن لكتاب المنهاج مختصرات فقد اختصره القاضى علاء الدين أبو الحسن على بن اسماعيل التبريزى القونوى المتوفى سنه ٧٢٩ هـ ونظمه .... الخ) .

فلم يذكر كتاب القصرى ضمن مختصرات المنهاج (١)

وقد جاء فى ذيل كشف الظنون للبغدادى قوله :

شعب الايمان للشيخ عبد الجليل بن موسى عبد الجليل القصرى الاندلسى المالكى ....

ثم قال : ملكته فى مجلدين تاريخ كتابته سنه ٦٧٢ هـ

فلم يذكر انه مختصر للمنهاج

---

(١) المنهاج ط ١ ص ٣٣ – ٣٤ من المقدمه

ثانيا : جميع النسخ ما عدا ت ،ع ـ فيما كتب على غلافهما بغير خط ناسخهما جميع تلك المخطوطات تصرح أن عنوان الكتاب هو :

شعب الايمان وليس مختصر شعب الايمان .

ثالثا : جميع الكتب التى ترجمت للمؤلف صرحت أن كتاب شعب الايمان من تأليف وتصنيف القصرى ولم تشر تصريحا أو تلويحا أنه مختصر لغيره .

رابعا : أن القصرى وقد قرأت كتابه هذا من أوله الى آخره لم يأت للحليمى فيه أى ذكر .

خامسا : بعض المؤلفات القديمة ورد فيها ذكر كتاب شعب الايمان للقصرى ونقلت عنه ولم تذكر أنه مختصر لغيره وذلك مثل :

أ ـ كتاب المدخل : لمؤلفه محمد بن محمد بن الحاج المتوفى بالقاهره سنه ٧٣٧ هـ جاء فى ص ٣٣ من الطبعة الثانية مثلا قوله :

وقد قال الشيخ الامام عبد الجليل فى شعب الايمان له . .

ب ـ وجاء فى المواهب اللدنية للقسطلانى فى الجزء الأول ص ٢٧٧ قوله :

وقال الشيخ عبد الجليل فى شعب الايمان .

ج ـ وجاء فى كشف الغطاء عن حقائق التوحيد للحسين الأهدل اليمنى المولود سنه ٧٧٩ ومات سنه ٨٥٥ وقد أورد فى كتابه هذا دراسة ونقدا لمسائل كثيرة فى كتاب القصرى هذا وجاء فيه :

" و . . . . عبد الجليل القصرى صاحب شعب الايمان . . ص ٨

وفى ص ٢٩ قال أيضا :

وصنف أيضا ــ اى فى شعب الايمان ــ الحليمى والبيهقي
وعبد الجليل القصرى من المتأخرين وكان ــ اى القصرى
من ذوى المعارف والأحوال وكتابه فى ذلك مجلدان مترجما
بالشعب لا بالأبواب كما فعل الحليمى والبيهقي . . .

سادسا : وهى الناحية المهمة التى تثبت لنا يقينا أن كتاب القصرى
ليس مختصرا عن كتاب المنهاج فى شعب الايمان للحليمى
هي ناحية المقارنة بين الكتابين ويمكن ذلك من جوانب
كثيرة ومتعددة ويظهر التباين بينهما بأدنى نظر فى المقارنه
واقتصر هنا على المقارنه فى جوانب عامه من الكتابين :
فالحليمى قسم كتابه الى مقدمة وعشرة أقسام والقسم العاشر
أدخل فيه جميع الشعب التى ذكرها .
أما القصرى فانه لم يأت بمقدمة يذكر فيها الدافع له الى تأليف
الكتاب كما فعل الحليمى بل بعد الافتتاحية ذكر فصولا
ضمنها معرفة الله تعالى ووجوده والعلم به واستدل لذلك
بطرق عقليه ونقليه وسماها باب التوحيد ثم شرع فى ذكر
الشعب وضمن هذه الشعب كثيرا من المسائل التى ذكرها
الحليمى فى الاقسام التسعة قبل العاشرة .
ثم ان الحليمى جعل كتابة فى ثلاثة أجزاء اما القصرى
فجعل كتابه فى جزأيــن
ثم ان الحليمى ذكر فى كتابه سبعا وسبعين شعبة ــ وكتابه
مطبوع وبامكان القارىء ان يرجع اليه ويقارن بنفسه تلك الشعب
بما ورد فى كتاب القصرى .
والقصرى أورد فى كتابه هذا بجزأيه أربعا وسبعين شعبة .

فقد اختلف الكتابان من حيث عدد الشعب وترتيبها ومسمياتهـــا
وطريقة ايرادها والاستدلال عليها وعرض النصوص التي يستشهـــد
بها كل منهما وعلى الجملة فليس هناك صلة او قرابة بينهما ولا مبررا
او حاجة لذكر المزيد من الفروق بينهما فذلك واضح بأدنى نظر .
ولقد ذكر القصرى ما يفيد أنه بدأ التأليف لهذا الكتاب ولم يكـــن
متبعا في ذلك لغيره وذلك في ص ٢٠٤ حيث اورد حديث شعـــب
الايمان على أنه بيان لما أجمل في حديث جبريـــل ثم بين ان حديث
شعب الايمان كل شعبة من شعبه تشتمل على أبواب وفصول من العلم
لا نهاية لها ولا غاية لان الرسول عليه السلام أوتى جوامع الكلم واختصرت
له الحكمة اختصارا ثم قال :
وأنا ابين ان شاء الله معانى هذه الشعب على قدر ما يسر الله ..
ثم انه سلك في بيان كل شعبة طريقة خاصة لم يسبق اليها فقد اتخذ
من حديث جبريل منهجا سار عليه في كل شعبة فبين كل شعبـــة
ومكانها من الاسلام والايمان والاحسان .
وفي ذلك دلالة واضحة على استقلاله بمؤلفه هذا منهجا واسلوبا .

ثانيا :

أجزاء الكتاب :

يقع الكتاب في جزئين في مجلد واحد ولكن اختلفت المخطوطات — كما سيأتي — في بيان نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني وحيث ان النسخة المعتمدة في التحقيق ذكرت أن نهاية الجزء الأول هي بنهاية الشعبة الأربعين فقد حققت الى ذلك الموضع .

أما الجزء الثاني المؤجل فيشتمل على أربع وثلاثين شعبة من الشعبة ٤١ — الى الشعبة ٧٤

وربما أن القارىء يود العلم بأسماء تلك الشعب فسأوردها في هذا البيان المجمل :

٤١ — التوبة ، ٤٢ — الصبر ، ٤٣ — الشكر ، ٤٤ — الزهد — ٤٥ — التوكل ، ٤٦ — الرضى ، ٤٧ — الخوف ، ٤٨ — الرجاء ، ٤٩ — المحبة لله ، ٥٠ — حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ٥١ — الحب في الله ، ٥٢ البغض في الله ، ٥٣ — الحياء ، ٥٤ — حسن الخلق ، ٥٥،٥٦ — الاحسان ، ٥٧ — الذكر ، ٥٨ — العلم ، ٥٩ — اليقين ، ٦٠ — كراهة الكفر بالله ، ٦١ الامامه ، ٦٢ — الايمان بفناء هذا العالم الدنياوى ، ٦٣ — الايمان بدار البرزخ وأحواله وبقاء الأرواح فيه وعذابه ونعيمه ، ٦٤ — الايمان بالبعث من القبور وبعث الاجساد والأرواح ، ٦٥ — الايمان باليوم الآخر وهو يوم القيامه ، ٦٦ — الايمان بالحساب ووقوعه ، ٦٧ — الايمان بالميزان أنه حق وعدل ، ٦٨ — الايمان بالشفاعة ، ٦٩ — الايمان بالصراط ، ٧٠ — الايمان بالحوض المورود ، ٧١ — ٧٢ — الايمان بالجنة والايمان بالنار ، ٧٣ — الايمان بالنظر الى وجه الله الكريم ٧٤ — اماطة الأذى عن الطريق .

ثالثا : موضوع الكتاب :

موضوع الكتاب يعرف من عنوانه : " شعب الايمان "

فقد أراد المؤلف بتأليفه بيان معنى حديث شعب الايمان .

وأتى المؤلف بنص رواية أبى داود فى سننه وأشار الى وروده فى الصحيحين

لكنه لم يشر الى ما ورد فيه من اختلاف فى ذكر عدد الشعب .

فقد رواه البخارى رحمه الله بلفظ :

" الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان "

قال ابن حجر فى شرحه له فى فتح البارى :

لم تختلف الطرق عن أبى عامر شيخ شيخ البخارى فى ذلك، وتابعه يحى الحمانى عن

سليمان ابن بلال .

وأخرجه أبو عوانه من طريق بشر بن عمرو عن سليمان بن بلال فقال :

((. . . بضع وستون أو بضع وسبعون))

وكذا وقع التردد فى رواية مسلم من طريق سهيل بن أبى صالح عن عبد الله

ابن دينار ورواه أصحاب السنن الثلاثة من طريقه فقالوا :

" بضع وسبعون " من غير شك،

ولأبى عوانه فى صحيحه من طريق :

ست وسبعون أو سبع وسبعون

ثم قال ابن حجر رحمه الله :

رجح البيهقى رواية البخارى لأن سليمان لم يشك وفيه نظر لما ذكرنا

من رواية بشر بن عمرو عنه . فتردد أيضا لكن يرجح بأنه المتيقن

وما عداه مشكوك فيه

وأما رواية الترمذى بلفظ :

أربع وستون " فمعلوله وعلى صحتها لا تخالف رواية البخارى

وترجيح رواية بضع وسبعون " لكونها زيادة ثقه كما ذكر الحليمى ثم عياض

لا يستقيم اذ الذى زادها لم يستمر على الجزم بها لا سيما مع اتحاد

المخرج .

ثم قال ابن حجر : وبهذا يتبين شفوف نظر البخارى وقد رجحه ابن الصلاح

لكونه المتيقن اهـ .

أما النووى فقد رجح رواية :

" بضع وسبعون "

فقال : والصواب ترجيح " بضع وسبعون " لأنها زيادة من ثقات وزيادة الثقات

مقبوله . . . .اهـ .

والبضع : بكسر الباء وحكى فتحها لغته وهو :

عدد مبهم مقيد بما بين الثلاثه الى التسع كما جزم به القزاز ورجحه

ابن حجر فى الفتح واستدل عليه .

وقيل : الى العشر

وقيل : من واحد الى تسعة

وقيل : من اثنين الى العشرة

وقيل غير ذلك .

والشعبه : بضم الشين هى القطعة من الشىء ، والمراد :

الخصلة او الجزء اى ان الايمان ذو خصال متعدده .

اما عن تعيين هذه الشعب :

فقد ذكر النووى :

ان الكلام فى تعيين هذه الشعب يطول وقد صنف فى ذلك مصنفات

ومن اغزرها فوائد كتاب المنهاج لأبى عبد الله الحليمى . . . . . .

ثم نقل قول القاضى عياض :

قد نبه صلى الله عليه وسلم على ان أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد والذى لا يصح شيء من الشعب الا بعد صحته وأدناها مايتوقع ضرره بالمسلمين من اماطة الأذى عن طريقهم . وبقى بين هذين الطرفين اعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لامكنه وقد فعل ذلك بعض من تقدم وفى الحكم بأن ذلك مراد النبى صلى الله عليه وسلم صعوبة ثم انه لا يلزم معرفة أعيانها ولا يقدح جهل ذلك فى الايمان اذ اصول الايمان وفروعه معلومة محققه والايمان بأنها هذا العدد واجب فى الجملة . . . .

ثم نقل أيضا قول الامام الحافظ ابى حاتم ابن حبان :

تتبعت معنى هذا الحديث مدة وعددت الطاعات فاذا هى تزيد على هذا العدد شيئا كثيرا فرجعت الى السنن فعددت كل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان فاذا هى تنقص عن البضع والسبعين فرجعت الى كتاب الله تعالى فقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالى من الايمان فاذا هى تنقص عن البضع والسبعين فضممت الكتاب الى السنن واسقطت المعاد فاذا كل شيء عده الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم من الايمان تسع وسبعون شعبة لا يزيد عليها ولا ينقص فعلمت أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا العدد فى الكتاب والسنن .

فالمؤلف رحمه الله أراد أن يدلى بدلوه مع اولئك فى ابراز شعب الايمان والمساهمة معهم فى تعيين وتحصيل هذا العدد .

وقد قسم كتابه الى قسمين العلم والعمل وهو لم يصرح بذلك ولكن يظهر ذلك بالتتبع وباشارة المؤلف الى ذلك :

وأراد بالقسم الأول العلم بالله تعالى وهو ما اشار اليه بقوله :

" اعلم ان اول شيء يجب على العبد معرفة صانعه ....."

وسار في بيان هذا القسم من اول الكتاب الى ص ٢٠٠

ويشير في بقية كتابه الى هذا القسم الأول بباب التوحيد كقوله في الشعبة الأولى : وقد تقدم الكلام عليها فيما تقدم من الكلام في معنى الوحدانية وكقوله في الشعبة الثانية والثلاثين : وقد بينا في باب التوحيد ..

وواضح ما لهذا القسم من صلة بالشعبة الأولى " الايمان بالله تعالى "

ثم اتى في القسم الثاني بالعمل وهو ما اشار اليه بقوله في أول الكتاب

" ثم التعبد له وكيف يعبده "

وبدأ في هذا القسم من عند قوله في ص ٢٠٠ :

وقد تقدم في هذا الكتاب طريق العلم والتنبيه اليه وبقي ان نذكر العمل ..

وبين ان هذا القسم مبني على ثلاث مقامات ،الاسلام ، والايمان ،والاحسان الواردة في حديث جبريل عليه السلام الذي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فيه بقوله :

أنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم .

ثم ذكر ان ما أجمل في حديث جبريل مبين في حديث الشعب ثم هو يريد أن يقول ان ما اجمل ايضا في حديث الشعب يمكن معرفته بتتبع ما ورد في الشرع من أمور الايمان وبين ان كل شعبة من تلك الشعب التي يتضمنها الحديث تشتمل على ابواب وفصول وقال : وأنا ابين ان شاء الله معاني هذه الشعب على قدر ما يسر الله ثم اتى رحمه الله بأربع وسبعين شعبة .

في الجزء الأول وهو هذا الجزء الأول المحقق أتى بأربعين شعبه .

وفي الجزء الثاني أتى بأربع وثلاثين شعبة كما تقدم ذكرها اجمالا في الحديث عن اجزاء الكتاب وقال في خاتمة كتابة :

وقد انتهى بنا الكلام الى هذا القدر وفى أقل الأشياء كفاية لمن وفـق .
وهذه أربع وسبعون شعبة ــ وقد تقدم فى الأبواب ما يكون فى الباب الواحد
شعبتان وأكثر كالخمس فى الزكاة والتبرى من الحول والقوة الذى هو الاستثناء
فى الايمان وفى كل شيء والعدل والألفه وحب العرب الداخل فى حب الرسول
صلى الله عليه وسلم لانه رأس العرب وفى حبه حب نسبه الذى هو منه وكالاشراط
وغير ذلك مما يبلغ الى البضع والبضـع ما بين الثلاثة الى التسعة بل قد حصل
فى قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضـع وسبعون شعبة جميع شرائـــع
الاسلام مجملا لانه أوتى جوامع الكلم واختصرت له الحكمة اختصارا فليس يخـرج
شيء من أمور الدين عن هذه الشعب لمن فهم اجمال ذلك ان شاء الله (١) .

---

(١) من المراجع لهذا الموضوع :

= صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٢٠٨ — ٢١٠

= فتح البارى ج ١ ص ٥١ — ٥٣

= مختصر شعب الايمان للقزوينى مقدمة المعلق

= كشف الغطاء للاهدل اليمنى ص ٢٩

رابعا : نقـد الكتاب :

هذا الكتاب كغيره من كتب البشر يؤخذ منه ويرد عليه وذلك على ضوء المعيار السليم الذى أخذ به سلفنا الصالح من أن ما وافق الكتاب والسنة أخذنا بـه وما خالفهما رددناه .

وما كان من مآخذ عليه فى أمور العقيدة فبقدر ما يسر الله لى من التنبـه لذلك، ووجدت للسلف رأيا خالفه رأى المؤلف نبهت على ذلك، وبينته وذكرت مراجع السلف فى ذلك فى موضعه فى الكتاب .

ويبقى ان اذكرهنا بعض المآخذ العامه فمنها :

١ ــ أن المؤلف ــ رحمه الله ــ يعتمد كثيرا فيما يورده من نصوص على حفظه بدليل أنه يقول بعد النص أحيانا : " أو كما ورد " وذلك جعله يقع فى أخطاء منها أخطاء فى بعض الآيات كما فى ص ٣٤٠ وغيرها .

٢ ــ أنه يكرر ذكر مسائل قد سبق له ذكرها فى كتابه مما اضطرنى الى ذكر الاحالات الكثيرة على ما تقدم وذلك مثل ذكره لمذاهب الفلاسفه فى اكثرمن موضع .

٣ ــ ذكره لعبارة : وهذه من أعظم الشعب " مع كثير من الشعب

٤ ــ تعمقه الشديد فى ذكره : الحكمة والأسرار لكثير من الأمور التعبديـه كما هو ظاهر فى شعبة الحج والزكاة والتكلف فى ذلك ظاهر.

٥ ــ لم يهتم بالناحية التنظيمية فهو مثلا يذكر كلمة" فصل" ثم لا يذكرهـا مع الموضوع الذى يماثل الموضع الذى ذكرها معه وذلك كثير . .

٦ ــ لم يسلك فى ترتيبه للشعب منهجا علميا كما فعل فى أولها حيـن أتى بالأركان الخمسة فكان ينبغى أن يعقبها بأركان الايمان الستـة لكنه لم يذكرها الا فى آخر الجزء الأول .

٧ ـ اتى فى كتابه بآثار كثيرة لم يعز بضعها الى قائلها وأتى بآثار كان ينبغى الا يوردها فى كتابه .

٨ ـ أما الشىء المهم فهو أنه استشهد فى كتابه بأحاديث كثيرة لكنها مجردة من الاسناد ويشير أحيانا الى ورود الحديث فى الصحيح أو أنه ورد فى أحد السنن وقد يشير الى أن الحديث لم يكن فى الصحيح أو انه من الاسرائيليات وهذا حسن منه لأن القارىء يكون على بينة فى هذه الحال .

لكنه لم يلتزم ذلك مع جميع الأحاديث بل الكثير أنه لم يلتزم ذلك فلم يبين درجة الحديث أو يعزه الى مصدره ومن تلك الأحاديث ما هو ضعيف أو مكذوب لا يصح أن يستشهد به فى مجال العقيدة .

وقد خرجت وعزوت ما وجدت من ذلك وما لم أجده مما لم يرد فى الكتب الستة ومسند أحمد نبهت على ذلك فى موضعه وهو فى حكم المشكوك فيه حتى يعرف حاله من الصحة أو عدمها .

الفصـــل الثانــــي

====

التعريـــف بالمخطوطـــه

====

الفصل الثاني

التعريف بالمخطوطة

عدد النسخ :

يوجد لكتاب " شعب الايمان " عشر مخطوطات في كل من :

مصر ، والمغرب ، وسوريا ، واليمن وكلها تأكد لي وجودها برؤيتها

أو رؤية صور عنها والحصول على تصوير لبعضها كما سيأتي بيانه .

ويحتمل وجود نسخ أخرى غيرها وخاصة في المغرب .

وقد تمكنت من الحصول على تصوير لخمس من هذه المخطوطات :

أما الخمس التي لم أحصل على تصوير لها ولم أقابلها في الكتاب فهي :

١ ــ كتاب شعب الايمان للشيخ عبد الجليل القصري

مكان وجودها : دار الكتب المصرية تصوف طلعت ١٠٣١

عدد أوراقها : ٢٤٢

كتب في آخرها : وكان الفراغ من كتابته يوم الخميس تاسع عشر

افتتاح عام خمس وثلاثين بعد الألف وحمدا لله وصلاته وسلامه

على من لا نبي بعده آمين .

هذه المخطوطة اطلعت عليها وتعذر تصويرها لرداءة أوراقها .

٢ ــ الجزء الثاني : من كتاب شعب الايمان

تأليف الامام العالم العلامة عبد الجليل القصري

ملك الفقير الى الله تعالى احمد بن علي بن أبار المصري

عدد أوراقه ١٧٠ ورقه

مكان وجوده : دار الكتب المصرية علم الكلام ١١١

٣ ـ نسخة كاملة أشارت اليها فهارس دار الكتب المصرية ولم أجدها .

وهي في حديث طلعت ب ٣٥٠٠٨

وأوراقها ٣٠٦ عن نسخة كتبت سنه ٦٧٤

٤ ـ شعب الايمان

لعبد الجليل القصـــرى

نسخ بقلم نسخ

نسخه مقابله على نسخه ٩٦٧ كتبت بعض عناوينها بالحمره وبعضهـــا

بالخضره

مكان وجودها مكتبة الشيخ مشرف بن عبد الكريم الخاصة بتعز باليمن

رقمها ٢٦٩

هذه النسخة وردت هذه المعلومات عنها ضمن مجموعة الكتاب الأول

من مصورات اليمن التابع لمعهد المخطوطات العربية ورأيت صورتهـــا

على الميكروفلم ولم اتمكن من قراءتها لكثره ما عليها من الحواش ولما بها

من الخروم .

٥ ـ شعب الايمان :

المشيخ عبد الجليل القصرى

وفي آخرها مناجاة وآخر المناجاة قال :

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين وذلك على يد العبد الفقيـــر

الراجي عفو ربه ومغفرته عبد الله بن محمد بن محمد الشهير بابـــن

الوزاره .... الى أن قال :

وافق الفراغ من كتابته يوم الأحد التاسع من شهر الله الأرجـــب

رجب سنة ثمان وسبعين وسبعمائة احسن الله عاقبتها .

ومكان وجودها : الخزانة العامة بالرباط .

أما النسخ الخمس التى حصلت على نسخ منها وقابلتها فهي :

١ - الجزء الأول من شعب الايمان

تصنيف الشيخ الامام .. ابى محمد عبد الجليل القصرى

عدد الاوراق ١٦٩ ورقـه

وعليها تمليك هو :

صار فى ملك الفقير ابراهيم بن سليمان بن محمد الحنفى الحسينى

بمحروسة

دمشق فى جماد الأولى ١٠٩٣ هـ

وهى مصورة فى معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيـــه

فى الفيلم رقم ٣٠٦ حديث وتم تصوير هذا الفلم فى يوم الاثنين جماد

الأول ١٣٦٦ هـ بدار الكتب الظاهرية بدمشق .

ورمزت لهذه النسخه فى المقابلة بالحرف " ظ "

وصف المخطوطة :

وتشتمل المخطوطه على ١٦٩ ورقه اى انها تشتمل على ٣٣٨٠ صفحه

ونقص من هذه الأوراق الورقه ٦٤ اشرت الى ذلك فى المطبوع ص٣١٨

وكل صفحة فيها من ٢٥-٢٧ سطر وكل سطر من ١٠-١١ كلمة وخطها

نسخى جيد ،

وفى آخر هامش كل شعبة يقول : بلغ السماع والحمد لله .

ويلاحظ ان هذه النسخة خالفت غيرها من حيث انه لم يذكر فيهـــا

انتهاء الجزء الأول الا بنهاية الشعبة الثالثة والأربعين أى انهـــا

ضمت الى الجزء الأول من الشعب ثلاث شعب وقال فى آخـرها :

تم الجزء الأول من كتاب شعب الايمان يتلوه فى الذى يليه ان شاء الله

الشعبة الرابعة والأربعون .

٢ ــ كتاب : شعب الايمان :

تأليف الشيخ الامام .. أبى محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصرى

مكانها :

مخطوطات الأوقاف ، الخزانة العامة بالرباط رقمها ٢٠٨

عدد صفحاتها ٢٤٥ صفحة .

خطها :

خطت بخط أندلسي جميل لكنه دقيق

مسطرتها ٢١×١٤

عدد الأسطر فى كل صفحة ٣٣ سطرا

وكلماتها من ١٤ ــ ١٨ كلمة

رمزت لها بالحرف " خ "

والكتاب كامل بجزأيه فى مجلد واحد

وينتهى الجزء الأول بنهاية الشعبة السابعة والثلاثين حيث قال فى آخرها :

كمل الجزء الأول من كتاب الشعب والحمد لله

وفى آخر الكتاب :

تمت الشعب بحمد الله وعونه ....

٣ ــ شعب الايمان :

تصنيف الشيخ الفقيه الامام .... ابى محمد عبد الجليل القصرى

مكان وجودها ، دار الكتب المصرية اخلاق تيمور تحت رقم ٢٤٩

وعليها ختم : وقف أحمد بن اسماعيل بن محمد تيمور بمصر سنه ١٣٣٠ هـ

وفى غلافها ترجمة للمؤلف وللشعب .

وعدد صفحاتها ٤٣٩ صفحة

ومسطرتها ٢٤/١٧

وعدد الأسطر في كل صفحة ٢٥ سطرا

وكلمات كل سطر من ١٠ـ١٣ كلمة .

ورمزت لها بالحرف "أ" وسقط منها جزء كبير نبهت عليه في ص ٢٧١ من المطبوع وكتبت المخطوطة بخط نسخ جيد وواضح واشتملت على جميع الكتاب بجزأيه وعليها مقابلة .

وانتهى الجزء الأول فيها بنهاية الشعبة الأربعين غير ان النسخة المقابل عليها انتهى الجزء الأول فيها بالشعبة السابعة والثلاثين حيث ذكر الناسخ ذلك فقال : النسخة المقابل عليها آخر الجزء الأول وفي آخر الجزء الثاني : اورد مناجاة حسنة من ص ٤٣٢ ـ ٤٣٨ ويبدو أن المناجاة من تأليف القصري نفسه وقال الناسخ في آخرها :

كمل المناجاة وشعب الايمان على يد العبد الفقير الى عفو ربه على بن محمد ... وافق الفراغ منه يوم الخميس تاسع عشر من ذى الحجة سنة اثنين وخمسين وسبعمائة أحسن الله عاقبتها .

٤ ـ نسخة بعنوان :

مختصر شعب الايمان

وعليها توقيف وتحبيس مما استطعت قراءته من ذلك :

وقف وحبس وسبل وتصدق العبد الفقير الى الله تعالى .. جميع (الحق) المبارك من مختصر شعب الايمان للحليمي رحمه الله على المتعلم بالعلم الشريف وعلى المقيم بالمدرسة الحنفية العامرة بجامع طولون .

" وقد نقدت نسبتها الى الحليمي فيما تقدم في تحقيق عنوان الكتاب " .

عدد اوراق هذه النسخة ٢٠٧ ورقه

مسطرتها ١٨ × ٢٤

عدد الأسطر في كل صفحة ٢٥ سطرا

وكلمات كل سطر تصل الى ١٥ كلمة

وخطها يقرأ وفيه أخطاء املائيه كثيرة

مكان وجودها : دار الكتب المصرية ١٧٣ توحيـــد

ورمزت لها بالحرف " ت "

وقد انتهى الجزء الأول في ورقه ٩١ منها اى بنهاية الشعبة السابعة والثلاثين فقال : كمل الجزء الأول بحمد الله وحسن عونه يتلوه فـــي الثاني الشعبة الثامنة والثلاثون .

ونقص منها الاوراق ١٨ ، ٣٩ ، ١٠٩ ، ١١٠

اما آخر ورقه في المخطوطة ففيها طمس كثير لم اتمكن من قراءتها الا أنه واضح أنها آخر ما ورد في الكتاب .

٥ ـ نسخة سقط منها غلاف العنوان ولكنه ورد في المجلد الأول من حرف " م " قائمة حصر المخطوطات العربيه وهو :

مختصر شعب الايمان

لأبي عبدالله الحسين المعروف بالحليمي

اختصار : عبدالجليل بن موسى بن عبدالجليل الانصاري الأوسي الاندلسي القرطبي المشهور بالقصري أبو محمد ٦٠٨ هـ

الأول والثاني في مجلد .

٤١٨ ورقه خطـــ ٧٧٥ هـ

علم الكلام ١١٠

وعند البحث عنها في دار الكتب المصرية بالرقم المذكور وجدتها وقد سقط منها الغلاف والورقه الأخيره والتي تحمل المعلومات عنها .

وصف المخطوطـــة :

اوراقها ٤١٨ ورقه ناقص الصفحه الثانية من الورقه ٤١٨

مسطرتها ٢×١٥

عدد الأسطر ٢١ سطرا

عدد كلمات كل سطر ١٠ ــ ١٢ كلمة .

خطها جيد ومقرؤ وواضح ومشكل بالحركات

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف " ع "

وينتهى الجزء الأول فيها بنهاية الصفحة الأولى من الورقة ١١٧

بالشعبة الأربعين حيث قال فى آخرها :

انتهى النصف الأول من كتاب الشعب بعون الله يتلوه فى أول النصف الثانى باب التوبة ان شاء اللـــه .

وهذه النسخة " ع " هى التى اعتمدتها أصلا فى تحقيقى وذلك لما يأتى :

١ ــ ان خطها جيد ومقرؤ ومشكل بالحركـــات

٢ ــ انها كاملة الأجزاء حيث اشتملت على الكتاب كلـه

٣ ــ انه لم تؤثر فيها عوامل الطمس والتلف فهى بحالة جيده عدا ما سقط منها من الغلاف والورقة الأخيره .

٤ ــ يوجد بها مقابلة اتسمت بالدقة والتشكيل .

٥ ــ تاريخ نسخها قديم فهى جديرة ان تكون عن أصل المؤلف

وحيث أنى قد اعتمدتها أصلا فى التحقيق فقد أعتمدتها أيضـــا من حيث انتهاء الجزء الأول فيها بانتهاء الشعبة الأربعين ووافقهـا فى ذلك من النسخ كما أسلفت : أ

أما "خ " ، "ت " فانتهاؤه فيهما بالشعبة ٣٧ وأما " ظ " فقد شذت
عنهما جميعا فانتهاؤه فيها بانتهاء الشعبة (٤٣)
ونجد لما في : خ ، ت مبررا وهو أن المؤلف أورد في كتابه بجزأيه
"٧٤" شعبة فنصفها " ٣٧" شعبة بالنظر الى عدد الشعب .
وأما " ع " ، " أ " فهناك مبرر راجح وهو بالنظر الى كمية الكتاب فان
ما ذكره المؤلف في الأربعين شعبة مع المقدمة لا يكاد يماثل ما تبقى
في الجزء الثاني من الكمية .

وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين والله تعالى لا يخلق
شيئاً لغير حكمة وإن خلق شيئاً هملاً سدى أن أهمل فعل العبث واللعب
أفحسبتم عبثاً فإنما خلق ما خلق ليعلم ويعبد لأنه لو لم يخلق شيئاً
كما كان في أزليته لم يعرفه أحد سواه لأنه كيف يعرفه من ليس
بموجود ولا له وجود فامتن على خليقته بأن أوجدهم بفضله ودلهم
بكرمه على تعبده فأما طريق العلم به فمن وجهين أحدهما
طريق السمع منه ومن سفرائه بينه وبين خلقه والوجه الثاني طريق
الدليل والنظر الذي يحصل منه البرهان العقلي وأما التعبد
فمأخوذ من جهة السمع وعلى العقل التسليم والانقياد حتى يظهر له وجه
الحكمة في الاستعباد والاستخدام

فصل ما تقدم

أما العلم فهو متقدم الوجود على التعبد لا بد أن يحصل العلم أولاً
ثم بعد ذلك يقع التعبد بالعلم لأن الجهل لا يوجب شيئاً من العمل
فأما طريق العلم به سبحانه من جهة السمع فهو قبوله ما أخبر سبحانه
عن نفسه أو رسوله عليه السلام مما نطقت به كتبه أو أخبرت به رسله
عليهم السلام من صفاته وأسمائه بالتصديق وإمرار أخبار الصفات
كما وردت وأما طريق العلم به من جهة النظر والدليل البرهاني
فبالبحث في المخلوقات والاعتبار بالمصنوعات والتدبر في الأخبار والآيات
وفهم الحكم والأحاديث المسندات ومثال ذلك في الطريق الأول
الذي هو السمع أن نصدق بأنه موجود قديم أولي بنفسه لم يوجده
أحد ولم يوجد نفسه بأنه تعالى وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض
وأنه ليس في جهة من الجهات وأنه فوق مستو على مكان وأنه يرى

... امن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه فاخبر عن سيرته انه لا يرجوا الا رحمت ... ككاحين صفا سره عن الركون الى العمل وقطع الياس من النجاة الا بالله وبذلك امر الله نبيه عليه السلام ايضاً في قوله ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه لا على عبادتك فان النفس ان طالعت اخلاصها كثر عندها عملها وذلك شرك خفي ... انها انت لها فعلا وهو كذب فان الله خالق كل شئ ولن ينال العبد هذه المرتبة في الاخلاص حتى يرى القلب بالمشاهدة كثرة عمال الله وصفا ... في ملكه وملكوته على ممر الدهور والازمان وانهم لم يفتروا قط طرفة عين عن عبادته ويرى مقدار ما يقع عبادته عن عبادة العابدين وهل عسى ان يقع لها ذكر في عبادة العابدين فينبغي العبد من ان ينظر حينئذ الى اخلاصه ويبقى مزدادا مع التفرد للحق لا يرجوا الا هو ولا ينظر الا اليه ولا يتوكل الا عليه ويصير العمل واحدا من الخلق لا يركن اليه كما لا يركن الى شخص من اشخاص الخلق والله اعلم وما تعملون فهذا مقام الاحسان الروحاني والايمان ... الله بما ... علينا من جميع الافات جليها وخفيها آمين آمين ... على محمد وآله وسلم

انتهى النصف الاول من كتاب الشعب ... يتلوه في اول النصف الثاني باب التوبة ان شاء الله

كتبه العبد الفقير الحقير المعترف بالذنوب الكثير

... الشيخ

ملك لله تعالى بيد أحمد بن محمد بن ناصر [illegible]

كتاب شعب الإيمان

تأليف الشيخ الإمام العالم العارف الفاضل
الزكي العلامة أبي محمد عبد الجليل
ابن موسى بن عبد الجليل
القصري قدس
الله روحه
ونور
ضريحه
آمين

هذه ترجمة المؤلف رحمه الله

عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد الأنصاري
[illegible] عرف بالقصري فقيه كان رأسا في العلم والعمل منقطع القرين كان عارفا
[illegible] صنف التفسير وشرح الأسماء الحسنى وشعب الإيمان وكلامه في العرفان
وتوفي سنة ٦٠٨ انتهى من تاريخ الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الشعبة الأولى شهادة أن لا إله إلا الله الشعبة الثانية الإقرار بأن محمدا رسول الله
الشعبة الثالثة الغسل من الجنابة الشعبة الرابعة الوضوء الشعبة الخامسة الصلاة
وهي أكبر شعب الإسلام الشعبة السادسة الزكاة الشعبة السابعة صوم رمضان
الشعبة الثامنة الحج الشعبة التاسعة الجهاد الشعبة العاشرة وهي الهجرة الشعبة
الحادية عشر الاستقامة الشعبة الثانية عشر وهي الألفة الشعبة الثالثة عشر
وهي النصيحة الشعبة الرابعة والخامسة عشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشعبة
السادسة عشر العدل الشعبة السابعة عشر الأمانة الشعبة الثامنة عشر الصدق
الشعبة التاسعة عشر الوفاء بالعهود والمواعيد الشعبة الموفية عشرين كف الأذى
الشعبة الحادية والعشرون البرور الشعبة الثانية والعشرون صلة الرحم
الشعبة الثالثة والعشرون إكرام الجار الشعبة الرابعة والعشرون إكرام الضيف
الشعبة الخامسة والعشرون الصمت والعي الشعبة السادسة والعشرون
الغيرة الشعبة السابعة والعشرون ترك ما لا يعني الشعبة الثامنة والعشرون
التقوى الشعبة التاسعة والعشرون الورع الشعبة الموفية ثلاثين القناعة
الشعبة الحادية والثلاثون الإيمان بالله الشعبة الثانية والثلاثون الإيمان
بالصفات الشعبة الثالثة والثلاثون الإيمان بالأقدار [illegible] الشعبة
الرابعة والثلاثون الإيمان بالأنبياء والرسل الشعبة الخامسة والثلاثون الإيمان
بكتب الله المنزلة الشعبة السادسة والثلاثون الإيمان بالملائكة الشعبة السابعة
والثلاثون الإيمان بالجن والشياطين الشعبة الثامنة والثلاثون كف الأذى عمن
قال لا إله إلا الله الشعبة التاسعة والثلاثون والموفية أربعين النية والإخلاص
الشعبة الحادية والأربعون التوبة الشعبة الثانية والأربعون الصبر الشعبة الثالثة
والأربعون الشكر الشعبة الرابعة والأربعون الزهد الشعبة الخامسة والأربعون
التوكل الشعبة السادسة والأربعون الرضى الشعبة السابعة والأربعون الخوف
الشعبة الثامنة والأربعون الرجا الشعبة التاسعة والأربعون المحبة لله
الشعبة الموفية خمسين حب الرسول عليه الصلاة والسلام الشعبة الحادية والخمسون
الحب في الله الشعبة الثانية والخمسون البغض في الله الشعبة الثالثة
والخمسون الحياء الشعبة الرابعة والخمسون حسن الخلق الشعبة الخامسة والخمسون
الإحسان الشعبة السادسة والخمسون الإحسان أيضا الشعبة السابعة
والخمسون الذكر الشعبة الثامنة والخمسون العلم الشعبة التاسعة والخمسون
اليقين الشعبة الموفية ستين كراهية الكفر بالله وهو الإيمان [illegible]
الشعبة الحادية والستون الإمامة الشعبة الثانية والستون الإيمان بفناء
هذا العالم الدنياوي [illegible] عند موت الخلق أجمعين والنفخة الأولى الشعبة
الثالثة والستون [illegible] فيه وعذابه ونعيمه [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله
[illegible] ونمجده كما يجب لعلي قدره ونحمده حمدا يليق
بجلاله من جميع وجوهه ونشكره على قدر ما نعلم [illegible] من النعم
التي بها في جميع عبيده وصلى الله على النبي الامي التقي السيد
القرشي الهاشمي الحبيب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلاة تحيا
بانواع الاكرام والانعام وتدوم عليه بدوام ذي الجلال والاكرام
وعلى من استظل تحت لوائه ودخل في دينه [illegible] من
النبيين والمرسلين والملائكة المقربين والازواج المطهرات
امهات المؤمنين والاصحاب وجميع التابعين والطائعين و
وبعد فاعلم ان اول شيء يجب على العبد معرفته [illegible]
وكيف يكون صنعه ثم التعديل وكيف [illegible] وبعد هذين الفصلين مع
التوفيق القدرة لنيل السعادة ويرتقي في معارج زلف الرحمة
ونقيض هذين الفصلين هو الجهل والعصيان [illegible] الخذلان [illegible]
[illegible] الى محل الخزي والاهانة قال الله تعالى
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل
شيء علما فهذا فضل العلم به وقال عز وجل وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون يا ايها الناس اعبدوا ربكم [illegible]
التعبد [illegible] هذين الفصلين الذين هما العلم والتعبد [illegible]
الامر كله في جميع [illegible] الله تعالى وهما علة خلق
الدنيا [illegible] لان الله تعالى [illegible] خلق [illegible] الملائكة [illegible] او ما
خلق السموات والارض وما بينهما لاعبين والله تعالى
لا يخلق شيئا لغير حكمة ولا يخلق [illegible]
[illegible]

انه اخوان الشياطين فهم اشبعوهم ... والذي نفسه ... انه لو شبهه ... به الوزن

به ... الناس ... الجن ... بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا

محققة الايمان ... الصديق ... والعدو ... واعلمهم ... والمسلم العبد ...

... الحق ... الباطنة ... واسمع ... باطنه ... وزخرف

القول ... ويشغلهم ... امر ... الامنية ... والانبياء والمومنين

والجواهر ... الداخل ... المومنين ...

... الله واياك واعاننا على ... وجه ...

... في الدنيا وفي الاخرة امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

ختم الجزء الاول ـــــــ بحمد الله وحسن عونه

تلوه في الثاني الشعبة الثامنة والثلاثون

الشعبة الثامنة والثلاثون

بســـــم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد واله

الكف عن اهل لا اله الا الله ... ان هذه الشعبة من الايمان ...

من القران والسنة واجماع اهل السنة ... على ذلك قال الله تعالى

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ولو كان ... ومن

عليه اخرجه بايمانه من النار وقال الله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما

فسماهم المومنين وقال النبي عليه السلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول

في النار فسماهم مسلمين وقال النبي عليه السلام ...

... الايمان ... الانبيا عليهم السلام ... المسلم

... وروى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من

اصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله ... ولا تخرجه من الاسلام ...

... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

من خاصة عبيده امين وصلى الله على محمد وآله وسلم

الشعبة الرابعة عشر والخامسة عشر

بلغ مقابلة

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما شعبتان مرتبطتان كل واحدة بصاحبتها لان الامر بالشي نهي عن ضده والنهي عن الشي امر بفعل ضده فلذلك جعلتهما في باب واحد فاما كونهما من شعب الايمان فجلي في الاخبار وفي ايات القران فروت عائشة رضي الله عنها في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق كل انسان من بني ادم على ستين وثلاث مائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا من طريق او شوكة او عظما او امر بمعروف او نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلث مائة السلامي فانه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر معدودا في شعب الايمان لان التهليل والذكر كله واماطة الاذى الذي هو الشوك والعظم والحجر من شعب الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر اقوى شعب الايمان بوجه واضعفه ايضا بوجه اخر كما روا ابو سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكرا فاستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وفي خبر اخر ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل [illegible] ان التغيير بالقلب دون اليد واللسان اضعف الايمان فجعله من الايمان فكذلك تغييره باللسان واليد اقوى الايمان [illegible] هو لذلك لتسميته عنده

والامر بالمعروف

[illegible] لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لان الرسل امرتهم [illegible] بالمعروف [illegible] اذا لم يغير [illegible] الله تعالى واتقوا فتنة [illegible] عليهم واعلموا ان الله شديد العقاب وقال [illegible] رسول الله صلى الله عليه [illegible] يقول ما من [illegible] يغيروا ولا يغيروا الا [illegible] الله ان يعمهم [illegible]


القسم الثاني
الكتاب المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم) (١)

الحمد لله بحقائق حمده وتمجيده كما يجب له على كرمه (و) وجوده (٢) حمدا يحيط بمعانى الثناء من جميع وجوهه ، ونشكره على قدر ما يعلم ربنا من النعم التى انعم بها على جميع عبيده .

وصلى الله على النبى الامى النقى (٣) التقى السيد القريب الولى الحبيب ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلاة تحيط بأنواع الالاء (٤) والانعام وتدوم عليه بدوام ذى الجلال والاكرام وعلى من استظل تحت لوائه ودخل فى دين الله من بابه من النبيين والمرسلين والملئكة المكرمين (٥) والازواج المطهرات امهات المؤمنين والاصحاب وجميع التابعين والطائعين (٦) وسلم تسليما .

---

(١) الجملة بين القوسين لم تذكر فى ت

(٢) وردت فى خ : على كرمه ووجوده ولعله الصواب بحذف الواو الاولى اما بقية النسخ ففيها : على كريم وجوده .

(٣) كلمة النقى لم ترد فى أ ، ظ .

(٤) فى أ : بأنواع الصلاة والانعام .

(٥) فى أ ، ظ ، ت : الملئكة المقربين .

(٦) فى ت : والطاهرين .

فصـــل :

اعلم أن أول شيء يجب على العبد معرفة صانعه (١) وكيـف كان صنعـه ثـــم التعبد لـــه•

---

(١) اختلف النظار في هذه المعرفة هل يجب ان يسبقها النظر؟
فذهبت طائفة الى ان معرفة الله تعالى واجبة ولا طريق لها الا بالنظـــر فأوجبوا النظر على كل احد وهذا القول اشتهر عن المعتزلة ومن حذا حذوهم
وذهبت طائفة الى ان النظر لا يجب على احد وذلك :
أ ـ اما الان الواجب هو الاعتقاد الجازم دون المعرفة وذلك لايحتاج الى نظـــر•
ب ـ واما الان المعرفة لها طرق غير النظر تحصل ضرورة وقد تحصـــل الهاما وقد تحصل بالتصفية وهو قول طائف من النظار والفقهـــاء واهل الحديث والصوفية وغيرهم وهو قول طائفة من اصحاب احمـــد والشافعي رحمهما الله •
وذهبت طائفة الى ان النظر يجب في حال دون حال وعلى شخص دون شخص فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الاحوال لا من اللوازم العامة فيقال كل عليهم وجب ولم يحصل الا بالنظر وجـــب النظر واما اذا حصل ضرورة أو حصل العلم بدون النظر او لم يكن العلـــم واجبا لم يكن النظر واجبا وهذا الرأي قال عنه ابن تيمية هو اعـــدل الاقـــوال وكلام الائمة والسلف انما يدل عليه ، والذين اوجبوا النظـــر ليس معهم ما يدل على عموم وجوبه انما يدل على انه قد يجب فانهم قالوا : الواجب لا يحصل الايه لقوله تعالى : (قل انظروا ماذا في السمـــوات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يونس ١٠١ وقولـــه (قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتـفكروا ••) سبأ ٤٦ وقوله (فلينظر الانسان مم خلق) الطارق ٥•
فهذه النصوص خطاب مع المتكبرين الجاحدين فأمروا بالنظر ليعرفوا الحـــق ويقروا به ولا ريب أن النظر يجب على هؤلاء ••

راجع الرسالة التاسعة في السماع والرقص فصل : الكلام على ان معرفة =

وبهذين الفصلين مع التوفيق القديم تنال السعادة ويرتقى فى معـــــارج زلف الكرامة ،

وبضد هذين الفصلين وهو الجهل والعصيان مع الخذلان القديم تنال الشـقـــاوة وينحط الى محل الخزى والاهانــــه ، قال الله جل جلاله وتقدست اسمـــاؤه : (١)

(الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهـن لتعلموا ا ن الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما) (٢)

فهذا فصل العلم به (٣) •

وقال عز وجـــل :

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (٤)

" يا أيها الناس اعبدوا ربكم ٠٠ " (٥)

= الله فطرية ضمن الجزء الثالث من مجموعة الرسائل المنيريه ص١٦٧ــ٢٠٢ وانظر باب فى ايمان المقلد والمرتاب ج ١ من كتاب المنهاج فى شعب الايمـــان للحليمى ص ١٤٥ــ١٥٠ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ج١ط ص٧٥ ، وانظر فتح البارى ج ١ ص ٧٠ ، ج ١٣ ص ٣٤٩ ، وكشف الخفاء ص ١ــ٨ •

(١) جملة " وتقدست اسماؤه " ليست فى أ / ٢ــ سورة الطلاق آية ١٢ •

(٣) ورد فى القرآن العظيم ايات كثيرة تحث وتدعو الانسان الى التدبر والتمعن فى اسرار الوجود واسرار الخلق قال تعالى فى سورة يس ٧٧ ــ الى اخر السورة (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفه فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قل يحييها الـــــــذى أنشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الاخضـــر ناراً فاذا انتم منه توقدون اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر علــــى أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم • انما امره اذا اراد شيئــــا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعـــون)• وانظر كتاب قصـــة الايمان للشيخ نديم الجسر من ٢٤٢ وما بعدها فقـــد اورد كثيرا من الايات التى تدل على عظيم صنع الله وقدرته وتدعو الـــــى النظر فى ذلـــك •

(٤) سورة الذاريـــات آية ٥٦ •

(٥) سورة البقـــرة اية ٢١ •

فهـــذا فصل التعبد له.
فصل هذين الفصلين اللذين هما العلم والتعبـــد مدار الامر كله فـــى جميع مخلوقات الله تعالـــى.

وهما علة خلق الاشياء كلها لان الله تعالى ما خلق شيئا الا بحكمه (١) كما قال : (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) (٢).
والـلـــه يتعالى أن يخلق شيئا لغير حكمة. أو ان (٣) يخلق شيئا همـــــلا سدى (لان الهمل فعل العبث واللعب فاذا تبين هذا) (٤) فانما خلـــق ما خلق ليعلم ويعبد (٥) لانه لولم يخلق شيئا كما كان فى ازليته لـــم يعرفه احد سواه لانه كيف يعرفه من ليس موجودا ولا له وجود فأمتن على خليقتـه بـأن اوجدهم بفضله ودلهم بكرمه على نفسه.

فأما طريق العلم به فمن وجهين :
أحدهما : طريق السمع منه ومن سفير بينه وبين خلقه.
والوجه الثانى : طريق الدليل والنظر (٧) الذى يحصل منه البرهان العقلى (٨)
واما التعبد فما خوذ من جهة السمع (٩) وعلى العقل التسليم والانقيـــاد حتى يظهر له وجه الحكمة فى الاستعباد والاستخدام.

تفصيل ما تقـــدم :
============

أما العلم : فهو متقدم (١٠) الوجود على التـعبد لابد ان يحصل العلـــم

---

(١) فى أ ، ظ ، ت : الا لحكمة وهو الاصح .
(٢) سورة الدخان اية ٣٨.
(٣) فى أ : ولن يخلق وهو الاصح .
(٤) الجملة بين القوسين سقطت من أ.
(٥) فى أ : ليعرف وليعبد .
(٦) فى بقية النسخ : من ليس بموجود وهو الاصح .
(٧) فى غ : الدليل والفكر.
(٨) فى أ : الذى يحصل من الدليل العقلى . وهو الصواب.
(٩) فى أ : من جهة الخبر.
(١٠) فى ت : اما العلم فمتقدم.

اولا ثم بعد ذلك يقع التعبد بالعلم لان الجهل لا يوجب شيئا من العمل (١) •

فاما طريق العلم به سبحانه من جهة السمع فهو قبول ما اخبر به سبحانه عن نفسه او رسوله عليه السلام مما نطقت به كتبه او اخبرت به رسله عليهم السلام من صفاته وأسمائه بالتصديق وامرار (٢) اخبار الصفات كما وردت •

واما طريق العلم به من جهة النظر (العقلي) (٣) والدليل البرهاني فبالبحث في المخلوقات والاعتبار بالمصنوعات والتدبر في الاخبار والايات وتفهم الحكم والاحاديث المسندات ومثال (٤) ذلك في الطريق الاول (الذي هو السمع) (٥) ان تصدق بان الله موجود قديم (٦) اول بنفسه فلم يوجده احد

---

(١) في خ من العلم والذي في الاصل هو الصحيح •

(٢) في خ : واقرار •

(٣) نقصت من ع كلمة " العقلي " وردت في البقية •

(٤) في خ : فمثال •

(٥) نقصت من ظ جملة : الذي هو السمع •

(٦) ادخل المتكلمون في اسماء الله تعالى لفظ " القديم " وليس هو من اسماء الله تعالى الحسنى التي ورد بها السمع فان القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره فيقال : هذا قديم للعتيق وهذا حديث للجديد ، ولم يستعمل لفظ " قديم " الا في المتقدم على غيره لا فيما لم يسبقه عدم والذي جاء به الشرع هو " الاول " وهو احسن تعبيرا من القديم " لانه اي " الاول " يشعر بأن ما بعده آيل اليه وتابع له بخلاف القديم وقد انكر كثير من السلف والخلف منهم ابن حزم اد خال " القديم " في اسماء الله تعالى ...
بتصرف من شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٤ ط ٦ •

ولم يوجد نفسه باق ابداً وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض (١) ، وانه ليــس

---

(١) سلك المصنف هنا مسلك المتكلمين في نفيه هذه الامور عن الله عز وجل مع انه لم يرد في السمع لا اثباتها ولا نفيها يقول ابن تيمية في كتاب شرح حديث النزول :

(ان السلف كانوا يراعون لفظ القرآن الكريم والحديث فيما يثبتونه وينفونه في الله من صفاته وأفعاله ولا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والاثبات بل كل معنى صحيح فانه داخل فيما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، والالفاظ المبتدعة ليس لها ضابط بل كل قوم يريدون بها معنى غير المعنى الذي اراده اولئك كلفظ الجسم والجهة والخير ونحو ذلك ... ص ٧٢.

وقال بعد ذلك :

فمعلوم انه لم ينقل عن احد من الانبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الامة أن الله جسم او انه ليس بجسم بل النفي والاثبات بدعة في الشرع ... ص ٧٣

وقال في موضع اخر :

ولهذا كره السلف والائمة كالامام احمد وغيره ان ترد البدعة بالبدعة فكان احمد في مناظرته للجهمية لما ناظروه على ان القرآن مخلوق والزمه ابو عيسى ... انه اذا كان غير مخلوق لزم ان يكون الله جسما وهذا منتفٍ فلم يوافقه احمد لا على نفي ذلك ولا على اثباته بل قال :

" قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ".

ونبه احمد على ان هذا اللفظ لا يدرى ما يريدون به واذا لم يعرف مراد المتكلم به لم يوافقه لا على اثباته ولا على نفيه فان ذكر معنى اثبته الله ورسوله اثبتناه وان ذكر معنى نفاه الله ورسوله نفيناه ... ص٦٩.

فلو اراد بلفظ الجسم والتحيز : ما يشار اليه بمعنى ان الايدي ترفع اليه في الدعاء وانه يقال هو هنا وهناك ويراد به القائم بنفسه ويراد به الموجود فلا ريب ان الله موجود قائم بنفسه وهو عند السلف واهل السنة ترفع الايدي اليه في الدعاء وهو فوق العرش ..

وكذا يقال في الالفاظ الاخرى " راجع شرح حديث النزول لابن تيمية ط ٣ وانظر المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

فى جهـة من الجهات (١) وانه غير مستقر على مكان وأنه مرئى بالقلوب والابصار وانه واحد احد فرد صمد لا ثانى معه ولا شئ مثله فهذا هو العلم بذاتـه واما العلم بصفاته فان تصدق بأنه حي عليم بنفسه وبجميع خلقـه قديـر على ما يشاء لا يمتنع عليه شئ مريد لما يشاء لا مكره له (سميع لنفسه ولجميـع خلقه بصير لنفسه ولجميع عباده) (٢) متكلم ا زاجر موعد متواعد (٣) ·

---

(١) قال شارح الطحاوية فى العقيدة السلفية :

واما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو موجود وقد يراد به ما هو معدوم ومـن المعلوم انه لا موجود الا الخالق والمخلوق فاذا اريد بالجهة امر موجـود غير الله تعالى كان مخلوقا والله تعالى لا يحصـره شئ ولا يحيـط بـه شئ من المخلوقات تعالى الله عن ذلك·

وان اريد بالجهة امر عدمي وهو ما فوق العالم فليس هناك الا اللـه وحده فاذا قيل انه فى جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح ومعناه انه فـوق العالم حيث انتهت المخلوقات فهو فوق الجميع عال عليه···

ونفاة لفظة الجهة الذين يريدون بذلك نفى العلو يذكرون من ادلتهم :

ان الجهات كلها مخلوقة وانه كان قبل الجهات وان من قال انه فى جهـة يلزمه القول بقدم شئ من العالم وانه كان مستغنيا عن الجهة ثم صار فيها وهذه الالفاظ ونحوها انما تدل على انه ليس فى شئ من المخلوقات سواء سمى جهة اولم يسم وهذا حق ولكن الجهة ليست امرا وجوديا بـل امر اعتبارى ولا شك ان الجهـات لا نهاية لها وما يوجد فيما لا نهايـة له فليس بموجود ·

راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٥ ط ٦

وانظر بحث الحيز والجهة فى بيان تلبيس الجهمية المجلـد الثانـى ص ١١٩ ·

(٢) ما بين القوسين نقص من ع

(٣) فى أ متوعد وهـذا هو الصحيح ·

وانه كامل الادراك لكل شيء من الطعوم والروائح وجميع الادراكات على ما يليق به سبحانه وانه منزه عن حلول الحوادث به وطريانها عليه (١) وانه قديم الصفات فهذه الاسماء والصفات المتقدمة لابد من اعتقادها والاقرار بها وذلك الوجود والقدم والبقاء والوحدانية والحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام وجميع ما وصف به نفسه راجع الى هذه الصفات من التنزيه والتقديس والاجلال والتعظيم الى ساير اسمائه وصفاته ما علم منها وما لم يعلم فتصدق بجميع ذلك تصديقا جزما وتقطع به قطعا حتما فتكون من المؤمنين المصدقين ثم بعد ذلك يقع النظر في المخلوقات والاعتبار بالمصنوعات فيشاهد العقل ما صدق

---

(١) قال ابن تيمية رحمة الله :

والاعراض والحوادث لفظان مجملان فان اريد بذلك ما يعقله اهل اللغة من أن الاعراض والحوادث هي الامراض والافات كما يقال : فلان قد عرض له مرض شديد وفلان قد احدث حدثا عظيما كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثه بدعه وكل بدعة ضلاله ... فهذه من النقائض التي تنزه الله عنها .

وان اريد بالاعراض والحوادث اصطلاح خاص فانما احدث ذلك الاصطلاح من أحدثه من اهل الكلام وليست هذه لغة العرب ولا لغة احد من الامم ..

ثم قال : وبكل حال مجرد هذا الاصطلاح وتسمية "الصفات" اعراضا وحوادث لا يخرجها عن انها من الكمال الذي يكون المتصف به اكمل ممن لا يمكنه الاتصاف بها او يمكنه ولا يتصف بها .

راجع: رسالة تفصيل الاجمال فيما يجب لله من صفات الكمال ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ٥٨ .

به القلب ويقوى تصديق القلب (بمشاهدة) (١) العقل فيتزايد الايمان وتعظـــم المعرفة بحصول اليقـــين٠

فصـــــل :

فاول (ما ينظر) (٢) (العقل) (٣) فى صفة نفسه وتركيبه ثم فـــــى جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها لان فـــى الصنعة (دلالة) (٤) على الصانع وفى الصورة المحكمة آية على الفاعـــل الحكيم فان الاشياء كلها موجودة به ومنه ، قال ابن عباس رضى اللـــــه (عنهما) (٥) فى تفسير قوله عز وجل :(وسخر لكم ما فى السموات وما فـــى الارض جميعا منه ...) (٦) اى الكل منه (٧) ٠ وقال : فـــــــى

---

(١) فى ع ، أ : بشهادة وهو الصواب٠
(٢) فى خ : أول ما يفكر٠
(٣) فى ظ مت : العاقل هو الصواب ٠
(٤) فى ع : دلايـــلا٠
(٥) فى بقية النسخ " عنه " والصواب عنهما ٠
(٦) سورة الجاثيـــة آية ١٣٠
(٧) قال الالوسى فى تفسيره : اخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنـــه انه قال : كل شئ هو من الله تعالى
واخرج عبد الرزاق وعبد ابن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقـــــى فى الاسماء والصفات عن طاوس قال جاء رجل الى عبد الله بن عمرو بـــن العاص فسأله مم خلق الخلق ؟
قال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فمم خلق هؤلاء؟ قـــال : لا ادرى ثم اتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله فقال مثل قول عبد اللـــه ابن عمرو فأتى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فسأله مم خلق الخلق =

وقال : فى كل شىء اسم من اسمائه واسم كل شىء من اسمه فانما انت
بين اسمائه وصفاته وافعاله باطنا (بقدرته "(١) وظاهرا بحكمته ظهر
بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالافعال
وكشف العلم بالارادة واظهر الارادة بالحكمة بالحركات (٢) واخفى الصنع

= قال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فمم خلق هؤلاء ؟ فقرأ
ابن عباس : (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ..) فقال
الرجل : ما كان ليأتى بهذا الا رجل من اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم
ثم قال الالوسى : واختلف اهل العلم فيما اراد ابن عباس رضى الله عنهما
بذلك : فقال البيهقى : اراد ان مصدر الجميع منه تعالى اى من خلقه وابداعه
واختراعه خلق الماء اولا او الماء وما شاء عز وجل من خلقه لا عن اصل
ولا عن مثال سبق ثم جعله تعالى اصلا لما خلق بعده فهو جل شأنه
المبدع وهو سبحانه البارىء لا اله غيره ولا خالق سواه .. اهـ .وعليه
جميع المحدثين والمفسرين ومن حذا حذوهم .
وقال الشيخ ابراهيم الكورانى من الصوفية : اراد ابن عباس ان الاشياء
جميعا منه فقال اى من نوره سبحانه المضاف الذى هو الماء والوجود
المفاض منه تعالى بايجاده جل شأنه .
وقال : لو كان مراد ابن عباس مجرد ما ذكره البيهقى من ان مصدر الجميع
من خلقه تعالى كان يكفى فى ذلك قوله تعالى (الله خالق كل شىء) وعلى
هذا القول عامة اهل الوحدة واجاب الاولون :
بان مراد ابن عباس قطع التسلسل فى السؤال بعد ذكر مادة لبعضها بأن
مرجع الامر ان الاشياء كلها خلقت بقدرته تعالى لا من شىء ..
راجع : روح المعانى للالوسى ج ٢٥ ص ١٤٦ .

(١) سقطت من الاصل وذكرت فى ظ خ .
(٢) فى خ واظهر الارادة بالحركات .

بالصنعة (١) واظهر الصنعة بالادوات هو باطن فى غيبه وظاهر بحكمته وقدرته (... ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٢) .

فقد اظهر رضى الله عنه سر المعرفه وحقيقة العلم فى قوله : فى كل شىء اسم من اسمائه واسم كل شىء من اسمه(٣) ومعنى ذلك ان وجود جميع الاشياء فايض عن وجوده العلى (٤) وان صفات كل شىء مبتدعه (٥) عن صفاته الحسنى لان البارى سبحانه ليس هو الا ذات وصفات لا غير اخذ ذلك من طريق (السمع والعقل) (٦) وكذلك الاشياء كلها ليست الا ذوات وصفات وهو الذى عبر عنه بالجواهر والاعراض روحانيات كانت او جسمانيات لا يوجد غير ذلك فاكسبها فيضه الكريم وجوده العظيم هذا المعنى فظهر فيها اثره وتبين للعقول مشاهدته ولما كان البارى سبحانه لا حد له ولا نهاية ولا غاية لوصفه وعظمته اقتضى أن تكون الاشياء لا نهاية لها ولا غاية اذ هى فايضة عن معانى اوصافه كما قال (تعالى) :

(.. ويخلق ما لا تعلمون " (٧) .

---

(١) فى ظ ، خ " اخفى الصنع فى الصنعة .

(٢) سورة الشورى الاية ١١ .

(٣) فى ظ واسم كل شىء من اسمائه ولم اجد هذا النص عن ابن عباس وانما رواه المؤلف هنا بالمعنى كما يظهر لى راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١٤٨ .

(٤) سيأتى تعريف المؤلف لمعنى الفيض عنده فى ص ١٠٠

(٥) فى ظ ، خ " مبدعة "

(٦) فى ع " من طريق العقل " .

(٧) سورة النحل الاية ٨ .

فصل في النظر والاستدلال في مصنوعات ذي الجلال .

واعلم ان اول الدلايل نفس الانسان فأول ما ينظر الانسان نفسه فيجده موجودا فلا يشك في انه موجود فيطلب كيف كان سبب وجودة فيعلم انه قبل وجوده كان عدما وانه لم يوجد نفسه (١) اذ لم يكن له بنفسه علم في حال عدمة ولا بكيفية ايجاده فيعلم بالضرورة ان غيره اوجده فيطلب ذلك الغير فيجد والديه فينظر فيهما فيجدهما مثله في الخلقه ومثله في كيفية الايجاد فلا يجد الا انهما من ابوين اخرين الى ابوين اولين يقف عندهما لان التسلسل الى غير نهاية محال في العقل (٢) ثم ينظر في اصل خلقه الابوين الاولين فيجدهما معدومين مثل الاباء كلهم فينظر الى السبب الذى خلق الكل منه والى سبب بقائه مدة ما وعدمه فلا يجد الا المادة التى مدت اجساد الكل الى حين العدم وهو الغذاء من التراب والماء والهواء والنار فيجد الكل مخلوقا من هذه الاربع وهى مادة وجوده وسبب بقائه ثم ينظر الى كل مخلوق من هذه

الاربعة (٣) فيجده مخلوقا محدثا مثله ومادة الكل من هذه الاربع مثل الحيوانات والنبات وجواهر الارض كلها ومعادنها فلا يجد صانعه في

---

(١) في ظ ، ت ، خ : وانه لم يكن بنفسه .

(٢) ذكر العلماء أن التسلسل لفظ مجمل لم يرد بنفيه ولا اثباته في كتاب ولا سنة فيجب مراعاة لفظه وهو ينقسم الى واجب وممتنع وممكن ...
والذى يشير اليه المؤلف هو التسلسل الممتنع وهو :
فرض ان المخلوقات كلها متوالدة عن بعضها الى ما لا نهاية بحيث يكون كل واحد منها معلولا لما قبله وعلة لما بعده لا الى غاية . راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٥ ط ٦ وكبرى اليقينات الكونية ص ٦٩ .

(٣) في ظ ،ت ،خ : هذه الأربع

شيء من ذلك فيرجع نظره الى العالم الاكبر لما وجد الجزئيات كلهـــا
مثله يلزمها ما يلزمه فيجد تركيبه وتركيب الحيوان والنبات والمعـــادن
من العالم الاكبر وهو جزء من اجزائه فيعلم بالضرورة انه منه اذ الجـــزء
بعض الكل وأن هذه الاربع التي هي الارض والماء والهواء والنار منهـــا
يستمد كل مخلوق (١) فمن الارض ياكل ومن الماء يشرب ومن الهـــواء
يتنفس ومن النار يتحرك حركة الطبع الغريزى فيجد العقل هـــذه
الكليات الاربع مثله ومثل جميع الجزئيـــات المتركبات (٢) منهـــا
فلا يجد موجده (٣) في شيء منها لانها تجتمع وتفترق عند التركيـــب
والتحليل ويستحيل بعضها الى بعض كاستحالة اجزاء (٤) اجســـاد
الجزئيـــات فلا فرق بينها وبين الجزئيات اذ ما جاز على الجزء جـــاز
على الكل فيرتقى عنها الى طلب موجده في غيرها فيجد عالم السمـوات
والافلاك والنجوم فيجد اجساما عظاما ذات اجزاء وجواهر لا تحصـــى
وجماعات كواكب صغارا وكبارا وحمرا وبيضا والى الصفرة والزرقه مختلفـــه

---

(١) ظل الاعتقاد بصحة هذه العناصر الاربعة سائدا حتى نهاية القـــرن الثامن عشر الميلادى ونتيجة للجهود العلمية التي بذلت بعد ذلك فقـــد تـــم اكتشاف العديد من العناصر حتى فاقت في عـــددها مائة عنصـــر انظـــر : قصـــة العناصر تحت رقم ١٠٠ في سلسلة " اقرأ التي اصدرتهـــا دار المعارف بمصر وانظر " فلسفـــتنا " محمد باقر الصدر ص ٣٣٣ .

(٢) في بقية النسخ : المتركبـــه .

(٣) في أ موجـــدا .

(٤) في بقية النسخ : كاستحالة اجساد الجزئيـــات .

في الصغر والكبر وحركات كثيرة ودورات مختلفة ويجد أجسام (السموات بعضها اكبر من بعض فيجد السماء جملة اجزاء (١) لا تحصى) (٢) قد انضم كل جزء منها الى صاحبه واجتمعت كلها فصارت شيئا واحدا وجسما واحدا غلظها عظيم وارجاؤها واسعة الاطراف والافاق فيعلم العقل بالضرورة ان اجتماع اجزائها وجواهرها كان عن افتراق قبل الاجتماع ثم اجتمعت بعد افتراق ، ثم تماسكت بعضها الى بعض والتأمت فصارت شيئا واحدا لان الجسم يقسمه العقل الى جزء (٣) لا يتجزأ (٤) ثم ينظر الى اجتماع الكواكب فيها فيجد الكواكب فيها معتمده على اماكنها التي وضعت فيها لولا تلك الاماكن التي امسكتها لا نتقضت

---

(١) في ظ : فيجد السماء جماعة اخرى لا تحصى .

(٢) ما بين القوسين سقط من ع وفيها : ويجد اجساما قد انظم ..

(٣) في : خ : الى اجزاء لا تتجزأ وهذا هو الصحيح .

(٤) سلك المؤلف هنا طريقة الاشاعرة وغيرهم من المتكلمين في نفيهم لصفة الجوهر عن الله وابتداعهم لهذا اللفظ ، يقول شارح العقائد النسفية :

(... ولا جوهر اما عندنا (اى عند الاشاعرة) فلانه اسم للجزء الذى لا يتجزأ وهو متحيز وجزء من الجسم والله تعالى متعال عن ذلك ،

واما عند الفلاسفة فلانهم وان جعلوه اسما للموجود لا في موضوع مجردا كان او متحيزا لكنهم جعلوه من اقسام الممكن وارادوا به الماهية الممكنة التي اذا وجدت كانت لا في موضوع ..

واما لو اريد بهما (اى الجسم والجوهر) القائم بذاته والموجود لا في موضوع فانما يمتنع اطلاقهما على الصانع من جهة عدم ورود الشرع بذلك مع تبادر الفهم الى المتركب والمتحيز ..)

وقد تقدم كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في التعليق عند قول المؤلف : وانه =

وتـلفت ولم توجد فعلم ان كل كوكب في السموات وان السموات والافلاك
حاملة لها ومحركة لجماعتها وبها كان اجتماعها ولولا جمعها لها
لافترقت فهي معتمدة عليها وكذلك كل جزء من جسم السموات مؤتلف
الى غيره معتمد بعضه على بعض قد شمل كل جزء منها الافتقار
والاعتماد الى غيره فلولا ذلك لا نحلت اجزاء السماء وتلاشت اعضاؤها
فاذاً قد شمل الكل افتقار بعضه الى بعض فظهر (١) فيها اثر
الصنعة وشهد العقل شهادة ضرورية ان تماسك اجسام السموات
والافلاك والنجوم بغيرها لابنفسها وهو الجامع لها بعد الافتراق والماسك

= ليس بجوهر ولا جسم ••• ومضمون كلامه ان هذه الالفاظ من الالفاظ المجملة في اللغة التي لم تكن من الفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم فاثباتها على الاطلاق قد يتضمن معنى باطلا ونفيها قد ينفي الحق والباطل يقول ابن تيمية :
" واما الشرع فمعلوم انه لم ينقل عن احد من الانبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا سلف الامة ان الله جسم او ان الله ليس بجسم بل النفي والاثبات بدعة في الشرع ، واما من جهة العقل فبينهم نزاع فيما اتفقوا على تسميته جسما كالسماء والارض والريح والماء ونحو ذلك مما يشار اليه ويختص بجهة وهو متحيز وقد تنازعوا هل هو مركب من جواهر لا تقبل القسمة او من مادة وصورة او لا من هذا ولا من هذا واكثر العقلاء على القول الثالث وكل من القولين قاله طائفة من الناس والأول كثير في اهل الكلام والثاني كثير في الفلاسفة لكن قول الطائفتين باطل معلوم بالعقل بطلانه عند اهل القول الثالث" راجع مجموع الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية ج ١ ص ٩٦ ، وشرح حديث النزول لابن تيمية ص ٧٢ •

(١) في : أ : وظهر•

لها عن الانحلال والتلاشى لان التلاشى والافتراق ينتهى حقيقة الى العدم والعدم لا يكون موجودا بعد عدمه الا بغيره فقد ظهر وجود السموات وجميع الاجسام بلا مزية ولا من شئ فافتقرت افتقارا ضروريا الى موجد لها بعد العدم ، وحكم العقل على كل جسم في جميع المخلوقات حيث كان بهذه القضية وهذا الحكم لان الجسم في حكم اللغة (١) هو المؤتلف من الاجزاء وهو الطويل العريض العميق فطلب العقل موجود في عالم (الاجسام) (٢) فلم يجده لانه لم ير في الاجسام شيئا يصلح لذلك ولا من تليق به الربوبية اذ قد شمل الاجسام كلها صفة التأليف والصنعة والاحداث ولان كل عضو من اعضاء العالم قد خص بعد اشتراك الكل في التأليف بما لم يخص به غيره من الاعضاء والزم عملا لم يلزم غيره كالسماء والارض والافلاك والهواء والنار والماء والشمس والقمر والنجوم والانوار والظلمات وغير

---

(١) في القاموس المحيط : الجسم بالكسر جماعة البدن والاعضاء من الناس وسائر الانواع العظيمة الخلق اهـ ، وقال الازهرى في تهذيب اللغة : قال الليث : الجسم يجمع البدن واعضاءه من الناس والابل والدواب ونحو ذلك مما عظم من الخلق الجسيم ...
اما المتكلمون فيعرفون الجسم : بأنه ما ركب من جزأين فصاعدا والجزء في نفسه لا يتجزأ وهو ما يسمونه بالجوهر الفرد .
وبعضهم يعرف الجسم بانه المركب من ثلاثة اجزاء " جواهر " لتتحقق الابعاد الثلاثة التي ذكرها المولف وهي الطول والعرض والعمق .
وبعضهم يعرفه بانه المركب من ثمانية اجزاء ليتحقق تقاطع الابعاد على زوايا قائمة ، وعند الفلاسفة : فهو المركب من الهيولى والصورة .
انظر مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية ج ١ ص ٧٢ .
(٢) في : ع : عالم الجسوم .

ذلك كل واحد من المخلوقات على عمل لا يتعداه قد قيد به وحصر وعجز العضو الاخر عما قيد به غيره ثم مع اختلاف الكل واختصاص هذا بما لم يخص هذا قد ضم بعضه الى بعض وزم زمـا ضروريا حتى صار ملكا واحدا كجسم (١) واحد لو عجز منه جزء او عضو واحد انخرم النظام وبطل العالم فوجب فى ضرورة العقل جامع لهذه الجمله قاهر لها ومحرك ومصرف لها فى اعمالها ليس من جنسها ولا هو واحد منها فلم يبق الا النظر فى صفات (الموجد) (٢) الصانع (لهذه) (٣) الصنعة •

---

(١) فى ت : لجسم واحد وهذا هو الصحيح •

(٢) فى : ع : الموجود وهو خطـأ •

(٣) فى : أ : بهذه وفى : ع : هذه •

فصـــــل :

ثم يرجع العقل بطلب صانعه (خارجا عن قبيل) (١) الاجسام كلها اذ شاهد جميع الاجسام لا يليق بها الا التأليف والصنعـــة والعبودية والحدوث فنظر الى الاعراض والافعال مثل الحركـــات والسكنات (٢) والاجتماع والافتراق والعدم والوجود والايجـــاد والطلوع والاستواء والميل والغروب وغير ذلك مما لا يحصى مــــن الاعراض والافعال فرآها حادثة مع كل نفس وطرفـة فشاهد شيئـــا عظيما وامرا هولا (٣) واختلافا كثيرا فعلم انه لا يقدر على تدبيـــر هذه الامور العظام والافعال الكثيرة (٤) الجسام الا ما هو اعظـــم منها واجل قدرا وان ذلك العظيم لا يكون الا ذا علم عظيم وقـــدرة عظيمة فحصل له تعظيم الصانع فطلبه فرأى جميع الاجسام لا تنفعـــل بنفسها ولا تتحرك ولا تسكن بذواتها اذ الافعال لا تصدر عـــن الاجسام بل هي كالآلات بيد الفاعل المحرك المسكن لها فاستحا ل عنده ان يكون الفاعل جسما (٥) اذ لو كان جسما لبطل الفعـــل منه لان الجسم لا يفعل شيئا فارتقى لطلب موجده عن عالم الاجســـاد فنظر الى جسده ونفسه فوجد نفسه محركة لجسده وروحه قائـــم

---

(١) في : ع : خارج الاجسام كلها .

(٢) في ت ، خ : والسكون .

(٣) في بقية النسخ : " مهولا " وهو الصحيح .

(٤) في أ : الكبيرة .

(٥) تقدم ذكر رأي السلف في اثبات او نفي اسم الجسم على الله تعالى فيراجع .

بجسده فعلم ان الارواح والأنفس بها تتحرك الاجسام وتسكن فطلب معرفة النفس (١) فوجد جسده آلة معرفة بيد روحه وكذلك اعضاء جسد العالم كله بأيدى ارواح العالم كله وارواح الملئكة واجسادهم كذلك لا يتحرك ولا يسكن متحرك او ساكن الا بتحريك محرك روحانى ، ولا يسكن الا بضبطة وتسكينه من الذره والخرذله (٢) الى اعظم المخلوقات فرأى الأفعال كلها والأعراض اجمعها صادرة عن الارواح بلا شك ولا امتراء اذا لا يكون الفعل الا عن ارادة ولا تكون الارادة الا عن علم ولا يكون العلم الا لحي ولا تكون الحياة الا ومعها الادراك الكامل والاجسام عن هذا كله بمعزل • (٣)

---

(١) فى : ت : معرفة اليقين وهو خطأ •

(٢) فى ت ، خ الخردله من غير اعجام للدال وهو الصواب كما ذكرته المعاجم اللغوية • ففى القاموس : والخردل حب شجر •••• " وقد وردت فى حديث الشفاعه فى صحيح البخارى : " •• فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذره او خردلة من ايمان •• " صحيح البخارى ج ٩ص١٨٠ مطابع الشعب •

(٣) فى ظ : والاجسام كلها عن هذا بمعزل •

فصــــل :

فعند ذلك علـــم العقل ان المخلوقات تنقسم قسمين جسمانــــــــــي وروحاني وان الجسماني ينقسم الى أشخاص الى جواهر واعــــــــراض (والاشخاص) والاعراض لا تحصى كثرتها (١) ، وأن الروحانى ينقسم الى قسمـــين ايضا جواهر واعراض والجواهر تنقسم الى انواع كثيرة ، ارواح الملئكة والانبياء والادميين والجن والشياطين وكل ذى روح فى السمــــوات والارض غير ان الارواح قسمتها غير قسمة الاجسام (٢) لان الاجسام تتجزأ بالقسمة والارواح خلقت مفردة لا تقبل الانقسام الا أنها مـــن حيث تناكرت واختلفت وائتلفت وأدرك روح هذا ما لم يدركــه روح هذا انقسمت أيضا وتكثرت الى مالا يحصى ،

والاعراض الروحانية كذلك أيضا فى الكثرة والقسمة (٣) مـثل العلـوم والادراكات كلها من القدرة والارادات والكلام والسمع والبصر والرحمـه والغلظة والصبر والجزع والخوف والرجاء والشكر والرضا والود والبغض وغير ذلك مما لا يتناهى مثل الخضـوع والذلة والتواضع والكبر والانفـه والفكر والذكر والهيبـة والانس وجميع الاخلاق الحسن منها والقبيــح وهذا كله قد شمل جميع الروحانيات كلها وعمّها فوجد العقل العرض عاما لجميع المخلوقات كلها جسماني وروحاني وكل جوهر روحانى ا و

---

(١) فى : ظ ، خ ، ت : لا تحصى كثرة .
(٢) فى : خ : غير ان الاجســـام قسمتها غير قســمة الارواح لان الاجسام ..
(٣) فى : خ : فى القسمة والكثرة .

جسمانى لا يوجد الا بعرض يعرض فيه ويحل ذاته بعد ان لم يكن حالاً بها ، والعرض لا يوجد الا فى جوهر اصلا ولا يوجد منفردا بنفسه ولا يسبق واحد منهما صاحبه فى الحدوث وهو الجوهر مقترنان لا يوجد واحد منهما الا مع صاحبة اصلا (١) ، والعرض حادث بالضرورة وما لا يسبق الحادث فهو حادث مثال ذلك:

حركات جميع اجسام السموات والارض وما بينهما والوانهما لا توجد حركة ولا سكون الا فى جسم فشهد العقل على جميع الاجسام ما غاب عنه وما حضر وما آمن به وصدق وعلى جميع الروحانيات ما علم منها وما لم يعلم ان الكل حادث موجود مخلوق مربوب من ملك او انس او جن او عرش او كرسى او حجاب او سماء او فلك او طبيعة او أرض او بحر او جزء اوكل او ما غاب او حضر وعلى نفسه مع الكل فبان ذلك كله له بأنه لا يليق به شيء من الربوبية شهادة ضرورية لابد منها حين رأى الافعال والتأثيرات والاعراض الحادثات ثابته ولجميع المخلوقات من غير قصد منه بل من خارج ذاته (ثم تحدث فى ذاته) (٢) وذات غيره فعلم ان لهذه الصنعة صانعا عظيما ليس بجوهر ولا عرض ولا يشبه شيئا من المخلوقات اذ لو كان يشبهها لحلت به الحادثات مع الانفاس والخطرات

---

(١) خالف المؤلف فى ذلك بعض القدرية كالكعبى وابو هاشم والصالحى وابن المعتمر والفلاسفة فقالوا بوجود جواهر خالية من الاعراض. انظر اصول الدين للبغدادى ص٥٦.

(٢) ما بين القوسين ذكر فى بقية النسخ وايضا فى هامش : ع.

ويدرك بحدوثها فيه ما لم يدركه قبل حدوثها فيكمل بعد النقصـــان او ينقص بعد الكمال كما يجرى لجميع الحدثـان (١) .

---

(١) الى هنا ينتهى دليل المؤلف على وجود الله تبارك وتعالى بحدوث العالـم وقد سلك المؤلف فى ذلك طريقة الاشعرية التى نقدها ابن رشد فى كتابـه الكشف عن مناهج الادلة بقوله : واما الاشعرية فانهم رأوا ان التصديـــق بوجود الله تبارك وتعالى لا يكون الا بالعقل لكن سلكوا فى ذلك طرقـــا ليست هى الطرق الشرعية التى نبه الله عليها ودعا الناس الى الايمان بـه من قبلها وذلك ان طريقهم المشهورة انبنت على بيان ان العالم حـــادث وانبنى عندهم حدوث العالم على القول بتركيب الاجسام من اجـــزاء لا تتجزأ وان الجزء الذى لا يتجزأ محدث والاجسام محدثه بحدوثه وطريقتهم التى سلكوا فى بيان حدوث الجزء الذى لا يتجزأ وهو الذى يسمونه الجوهـره الفـرده طريقه معتاصه تذهب على كثير من اهل الرياضة فى صناعة الجـدل فضلا عن الجمهور ومع ذلك فهى طريقة غير برهانية ولا مفضية بيقين الـــى وجـــود البارى ...

ثم قال ابن رشد بعد كشفه عن مناهج الادلة عند الاشعرية والمعتزلة والصوفيـة وبيان قصورها :

فاذا قد تبين ان هذه الطرق كلها ليست واحده منها هى الطريقة الشرعيـة التى دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطرهم الى الاقرار بوجود البـــارى سبحانه فما هى الطريقة الشرعية التى نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدتهـــا الصحابة رضوان الله عليهم قلنا الطريق التى نبه الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها اذا استقرىء الكتاب العزيز وجدت تنحصر فى جنسين :

احدهما طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من اجلهـــا ولنسم هذه دليل العناية .

والطريقة الثانية ما يظهر من اختراع جواهر الاشياء الموجودات مثل اخـــتراع الحياة فى الجماد والادراكات الحسية والعقل ، ولنسم هذه دليل الاختـراع ...

وقد نقد ابن تيمية ايضا دليل الاشاعرة هذا ثم اورد هذه الطريقة التى ذكرهـــا ابن رشد وذكر نصا منها ثم قال :

قلت ذكره لهذين النوعين كلام صحيح حسن فى الجملة ... ثم قال : مع ان طرق معرفة الصانع بالفطرة والضرورة والنظر والاستدلال بنفس الذوات وصفاتها باب واسع ليس هذا موضعه . راجع : ١ ـ الكشف عن مناهج الادلة لابن رشد ص ٤٨ ضمن فلسفة ابن رشد . ٢ ـ تلبيس الجهمية لابن تيمية ج ١ ص ١٢٢ ـ ١٢٦ .

فوجب في النظر البرهاني ان يكون الفاعل لها مخالفا من جميع الجهات فعرفه العقل من جهة التنزيه والتقديس والمرآه من جميع ما يليق بالمخلوقات من النقايص والعجز والافات والحدث كله وانه قديم بذاته والنظر في القدم من وجه انه ينظر في العالم فيجده محدثا مفعولا ضرورة (١) كما تقدم مفتقرا الى موجد محدث فيقول اوجده غيره وذلك الغير ما هو اوجده غيره ام لا فلو اوجده غيره اضطر ذلك الغير الى غير (٢) وتسلسل الى ما لا نهاية له حتى ينتهي بالضرورة الى موجد لا موجد له اصلا بل هو وجود (٣) بنفسه لم يزل كذلك لا يقال اوجده غيره ولا اوجد نفسه اذ لو أوجد نفسه لكان قبل الوجود عدما والعدم ليس بشيء فكيف يوجد نفسه او غيره فثبت بالضرورة قدمه ، ثم وجدت منه الافعال فثبت بالضرورة قوته على الايجاد واذا ثبت (٤) قوته (٥) ثبت (٦) حياته وقدرته اذ الميت لا قوة ولا ادراك له والعاجز لا يحدث فعلا ، وثبت علمه بوجود الصنعة منه اذ الجهل لا يوجب عملا وثبتت حكمته بوجود الاتقان

---

(١) لا ريب ان كل موجود اما ان يكون واجبا قديما او يكون محدثا او ممكنا ، والمحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد له من واجب ، وهذا لا ينازع فيه احد من بني آدم وانما الدهرية تقول ان هذا العالم قديم واجب بنفسه لم يوجده غيره لينكروا بذلك وجود الله تعالى .
انظر تلبيس الجهمية ص ١٦٤ ج ١ .

(٢) في : خ : الى غيره .

(٣) في : ظ ، خ : بل هو موجود بنفسه وهو اصح .

(٤) في : أ ، خ : ثبتت وهو اصح .

(٥) في : ظ : واذا ثبتت قوته على الايجاد .

(٦) في : أ ، خ : ثبتت .

في صنعته اذ القاصر لا يتقن ولا يحكم ما يحكم البالغ الحكيم وثبت بصره بتصرفه في افعاله اذ الاعمى المؤوف (١) لا يبصر رشده ولا يتصرف في ملكه بالايجاد والتصريف وثبت ارادته بالتقديم والتأخير والرفع والخفض والتخصيص اذ من لا قصد له في فعله (٢) لا يوجد شيئا ولا يرتب الاشياء على حكم اختياره ولا يترك الايجاد اذا اراد تركه بل هو بصفة الاهمال وثبت كلامه بمخاطبته افعاله بكلامه اي كن على ما اريد منك فطاعت لكلامه وانقادت بالايجاد والتعبد على حسب ما امر به وثبت سمعه وادراكه للاصوات لان من به افة الصمم وعدم الادراك دخلت عليه الافات من حيث لا يدري في فعله وفي نفسه واذا دخلت (٣) الافة انخرم عليه النظام وبطل هو في نفسه فثبت بالضرورة ان المؤوف الناقص لا توجد منه الافعال الكاملة ولا يدفع عن نفسه وغيره الافات فثبت كماله (٤) وادراكه لجميع المدركات لكن على شرط (٥) : لايفهم من ذلك ما يفهم من صفات البشر بل ينبغي ان يعلم أن الله تبارك

---

(١) يقال : طعام مؤوف اي اصابته آفة ، (تهذيب اللغة ج ١٥ ص ٥٨٨)
والافة العاهة اوعرض مفسد لما اصابه (القاموس المحيط)
وفي : خ : المكفوف بدل المؤوف وهو المناسب هنا .

(٢) في ظ : في افعاله .

(٣) في أ ، ظ : دخلت عليه الافة .

(٤) في : خ ، ت فثبت كلامه وهو خطأ .

(٥) في : أ ، ظ ، : على شرط ان لا يفهم وهو اصح .

وتعالى لا يسمع بعد ان سمع او بعد ان لم يسمع ولا يعلم ما لم يعلم لا يتجدد له سمع ولا بصر ولا قدرة ولاارادة بل الادراك القديم في الازل هو ادراكه الان وفى الابد . وكذلك ثبت للمقول عزه لذل جميع الاشياء له على كثرتها وعظمها اذ لا يذل الا لعزيز قاهر.

وكذلك كبرياؤه لتصاغر الاشياء له وجلاله لتضائلها لجلاله اذ من يزدرى لا يعبأ به.

وثبت للمقول (١) فيض جوده وكرمه لعموم فضله واعطائه على جميع بريتــه اذ البخيل لا يخرج من يده شئ.

وثبت للمقول حلمه لا مهاله وقله معاجلته بالعقوبات على كثرة العصيان فى جميع الاوقات وجعل الصاحبه والولد له والشريك وهو مع ذلك يحلم ويرحم ويقبل من تاب ورجع لان العجول يتغير ويعجل بالعقوبــة .

وثبــت لطفه ورحمته لتهيء العيش والدعة فى ملكه.

وثبت حسن جميع اخلاقه ما علم منها وما لم يعلم بحسن اياديه وتجاوزه عن مخالفيه واحسانه اليهم واكرامه من اطاعه وغير ذلك مما لا يحصيه احد من حسن اخلاقه (٢) وكريم (٣) افضاله فلم تطق العقول

---

(١) فى : خ : للمقل.

(٢) قال السفارينى فى غذاء الالباب : ج ١ ص ٣٦٠ :
قال فى القاموس : الخلق بالضم وبضمين السجية والطبع والمروءة والدين ومثله فى المطالع
وقال الجوهرى: الخلق والخلق السجية وفلان يتخلق بغير خلقه اى يتكلف
وفى النهاية : الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنه وهى نفسه واوصافها ومعانيها المختصه بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها ولهما اوصاف حسنه وقبيحه.
ومن جملة هذه التعاريف نرى ان الخلق امرمكتسب فيتضح تجوز المؤلف فى اطلاق لفظ الخلق على صفاة الله تعالى ، وقد يكون للمؤلف مستند من الحديث " تخلقوا باخلاق الله " غير ان الشيخ الالبانى فى تخريجه لاحاديث شرح العقيدة الطحاوية قال عن هذا الحديث : لا نعرف له اصلا فى شئ من كتب السنة ولا فى الجامع الكبير للسيوطى : انظر شرح العقيدة الطحاوية تخريج محمد ناصر الدين الالبانى ص١٢٣ .

(٣) فى خ : وكرم افضالــه.

وصفه بما هو عليه من الكمال والجمال والعزة والجلال وصفاته العلـــى فاقرت بالعجز عن حقيقة وصفه فأمتن على العقول بأن وصف لهـــم نفسه فى كتبه بما هو له اهل من الثناء (والمحامد) (١) فعلمهـــم اسماءه الحسنى الدالة على صفاته العلى. ثم نظرت العقول فـــى مخلوقاته فظهرت (٢) لهم دلائل صفاته فتعبدت له واحبته واشتاقت اليه وتسابقت فى ميدان (٣) القرب والتقرب منه واليه للذى كاشفهم به من جماله واظهر (٤) لهم من محاسن جلاله وكماله •

---

(١) فى : ع : والتحامد •
(٢) فى خ ، ت : فظهر لهم •
(٣) فى ظ : ميـــادين •
(٤) فى : خ : وظهـــر •

فصـــل : في النظر في المخلوقات علـــى وجه الحكمه واتقان الصنعـــة

وكلما تقدم في النظر انما هو في اثبات الدليل على وجود الفاعـــل سبحانه وهذا الفصل نذكر فيه الان (١) الدليل على صفـــات الفاعل الحكيم (٢) اما جسم العالم الاكبر فلو قدرته جميـــع العقول على غير ما هو عليه من الوضع والتركيب لا نخرم نظامـــه ، مثال ذلك :

ان الارض (٣) خلقت كثيفة ولم تخلق سيالة مثل الماء لتستقر عليها

---

(١) في خ ، ت : وهذا الفصل الان نذكر.

(٢) بعد ان انهى المؤلف رحمه الله من ايراد الدليل على وجود الله بحـدوث العالم وهو المنهج الذي سلكه المتكلمون رجع هنا الى ذكر دليل العناية الذي ذكره ابن رشد وامتدحه ابن تيمية ــ كما تقدم ــ والذي يعتمـــد على معرفة السبب الذي من أجله خلق الموجود ــ اى موجود ــ ومعرفـــه الحكمة في وجـــوده والغاية المقصود به ودلالة ذلك على البارى تعالـــى وعلى صفاتـــــه .

(٣) في كتاب الله العزيز ورد ذكر الارض في آيات كثيرة دعا الله عباده فيهـــا الى النظـــر اليها والتفكـــر في خلقها منها قوله تعالى :

(والارض فرشناها فنعـم الماهدون) الذاريـــات ٤٨ .

(الله الذى جعل لكم الارض قرارا ..) المؤمـــــن ٦٤ .

(والى الارض كيف سطحت) الغاشيـــــة ٢٠ .

(ان في خلق السموات والارض من اخـــتلاف الليل والنهـــار .. الـــى قوله تعالى (لايات لقوم يعقلون) البقـــرة ١٦٤ .

انظر مزيدا من هذه الايات سردت في كتاب قصـــة الايمان للشيـــخ الجسر ص ٣١٥ .

الخليقة لان الله تعالى جعلها قرارا للمخلوقات (١) ولم تخلق
أيضا صلبة شديدة مثل الحجارة لانها لو كانت كذلك لم يصح
فيها الحراثة (٢) والفراسة فكان يبطل العيش وتخرب الدار ،
والحكمة لو (٣) كانت كالماء او الحجارة او على غير ما هي عليه
ولم تخلق صورتها مستطيلة قائمة الى فوق او الى اسفل فلا يثبت
على وجهها (٤) احد ولا يتهنأ (٥) بو عورتها عيش لو كانت
كذلك بل جعلت وطيه ممهده فحسن وطاب عيش الخليقة بها ،
وجعل فيها بعض التسنيد والتكوير لتجرى المياه على وجهها الى
نواحى الارض في الاودية والسيول (٦) ولا يستقر الماء على
وجهها لانها لو كانت وطية جدا (مضطجعة بخط الاستواء) (٧)
واستقرت المياة على وجهها لغرقت الارض وعادت مستنقعة (٨)
كلها ولم يصح فيها نبات ولا عيش .
ثم نصبت الجبال عليها وفيها لتضم (٩) اجزاء تراب الارض

---

(١) في : ت : للمخلوقين .
(٢) في : أ ، ن : الحراثات .
(٣) في : خ : والحكمة ان لو كانت وهو الاصح .
(٤) في بقية النسخ على ظهرها وهو الاصح .
(٥) في : خ ولا يتهيا .
(٦) في بقية النسخ : والسهول .
(٧) في : أ خ مسطحة بخط الاستواء وسقطت من ظ ، ت .
(٨) في : خ : وصارت مستنقعات وفي : ت : وعادت مستنقعات .
(٩) في : خ : وفيها تنظم أجزاء .

كله بعضه الى بعض (١) كي لا تتحرك وتميد فتنشق وتنتثر لان فيها بعض التخلخل ولو تحركت لانفصلت اجزاؤها (٢) بعضها من بعض لان الارض في الماء كالسفينة في البحر والماء محيط بها من جميع الجهات والماء متحرك بطبعه فكان يحرك الارض فتميد كما قال تعالى : (والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ..) (٣)
فجعلت الجبال في غاية الصلابة التي لا تفصل الحركة اجزاءها بعضها من بعض وجعلت في غاية العظم ونصبت في وسط الارض وفي اطرافها وفي جميع نواحيها وفي باطن الارض وظاهرها كالعظام في جسد الانسان فضمت اجزاء التراب وزمته وثبتت الارض على ما هي عليه في مكانها اللائق بها ولو قدر أن تكون الجبال على غير ما هي عليه لا نفسد النظام ،
وجعلت الجبال ايضا مرتفعة اسنمتها والكدا والروابي كذلك لان ترد البحار عن وجه الارض كي لا تحيط بها من جميع الجهات ، وجعل من (٤) الجبال اوطية (٥) وطرقا واسعة لتسيل فيها خلجان البحار والانهار ليصل الناس بحوائجهم فيها بالسفن وتصل الحيتان الى نواحي الاقطار لدخولها

---

(١) في :ت : الارض كلها بعضها الى بعض.
(٢) في خ ،ت : ولو تحركت انفصل اجزاؤها .
(٣) النحل من الاية ١٥ ولقمان من الاية ١٠ .
(٤) في أ : وجعل بين الجبال .
(٥) في : ت : اودية وهو الصواب .

فى تلك الخلجان ولاخراج الاصداف والجواهر منهاولولا ذلك لكان البحر منحازا فى ناحية من الارض ولم تصل منافعه الى الخليقة ، وجعلت الجبال ايضا مخازن للمياه العذبة تتفجر منها العيون والانهار الى البلدان وجعل البحر ملاصقا للارض ومازجا لها العذب والمالح لتمتزج رطوبة الماء بيبوسة الارض (تختلط رطوبة الماء بيبوسة الارض) (١) فيصلح من ذلك الخلق والتصوير من النبات والحيوان وسائر المخلوقات لان اليابس لا يتصور منه الصور والسايل كذلك لا يطبع (٢) منه التصوير فخلق الماء سايلا لهذه الحكمة ولتسرى ايضا فيه السفن بالجرى ولولا ذلك لما صح جريها ولا صح تصرف حيوانه فيه ،

وخلق البحر ايضا متحركا على الدوام ليئلا يجمد فيصير ارضا بالسكون فتبطل الحكمة لان البرد طبع الماء والبرد يجمد ويبرد وييبس فكسرت كثرة حركته برودته وسلطت عليه رياح الهواء من كل جهة (٣) فلا يسكن (٤) الا ترى الماء كيف ينعقد حجارة وثلجا (٥) اذا اشتد عليه البرد (وكذلك ايضا يتحرك بتحرك (٦)

---

(١) ما بين القوسين سقط من : ت •

(٢) فى أ ، خ لا ينطبع •

(٣) فى : خ : من كل ناحية •

(٤) فى أ ، ظ ، ت : ليئلا يسكن •

(٥) فى ت : وسلحا وهو خطأ •

(٦) فى : خ : بحركة •

حيوانـــه الساكن في جوفه (١) فدواب البحر (٢) تحرك البحـر من باطنه بحركتها ابدا فيه حركته وحركته فبحركتهم سبب حياة حيوانـــه فانهم " (٣))

وخلق البحر مالحا ليئلا ينـتن ويتغير بطول المكث فيهلـــك حيوانه برائحته وكان الهواء يحمل بتحرك (٤) الرياح عفونـــة رائحته (٥) فيلقيها على وجه الارض فيهلك ما عليها بعفونته فخلق مالحا لهذه الحكمة ، ولتكون ملوحته دباغا لأهوية العالم المعفنـه المضرة الكائنـه من المعفونات في نواحي الارض والبلدان فتحمـــل الرياح اهوية البحار فتمـتزج بأهويه البلدان فتقطع الاهويـــة المعفنه وتدبغها (٦) فاستقام العيش بحكمة الصانع الحكيم وله (٧) الحمـــد •

وخلق البحر الاخر حلوا ليصح بعذوبته العيش لجميع المخلوقـــات ولو كان مالحا او مرا لاهلك الخليقة ولا نفسد (٨) نظام المملكـــة الا ترى البحر كيف لا ينبت في سواحله نبات ولا شجر•

ثم خلق الهواء محيطا بالبحر والارض وجعله الطف منهما لتصـــح الحركة فيه والقيام والقعود والتنفس وذلك كله اسباب البقـــاء

---

(١) في : خ : الساكن فيه•

(٢) جملة : فدواب البحر نقصت من خ •

(٣) ما بين القوسين من قوله (وكذلك ــ الى قوله فا نهم نقصت من ظ ، ت•

(٤) في : أ ، خ : بتحريك•

(٥) في : ظ ، خ مت : روائحـه•

(٦) في : ظ وتدفعها •

(٧) في : خ ولله الحمد •

(٨) في ، ظ ، ت : وأفسد •

ولوكان مثلهما كثيفا او سيالا مثل الماء لم تصح به الحكمة ،
ثم خلق متخللا[1] جدا متحركا فى جميع الجهات ليسوق السحاب
الى البلاد فينزل بها المطر وينتفع الناس باخراج الحبوب (والنبات "٢")
من الزروعات ويروح عنهم شدة الحرارات المفرطة ، ويذهب (٣)
عنهم حرارة باطن الاجسام فتتغذى برطوبته فى التنفس المخلوقات ،
وغير ذلك من الحكمة .
ثم خلق لونه على هذه الرقة المحكمة لتنفذ فيه الابصار الى منافعها
فتقبل الصور والالوان فيوصل بذلك الى جميع المنافع ثم جعل
يتحرك فى وقت دون وقت لانه لوكان متحركا ابدا لا تثرت منه
الحبوب ولأثار الغبار الدائم وطمست به العيون وتكسرت اغصان
الاشجار وتهدمت منه المبانى ولم يصح معه عيش فجعل ساكنا فى وقت
ومتحركا فى وقت لتصح بحركته وسكونه الحكمة لان الهواء ريح
ساكنة والريح أهوية متحركة ،
ثم خلقت النار ألطف من الكل كى لا تظهر ولو ظهرت صورتها
وكانت مثل الارض والماء والهواء لا ضرت بابصار الخلايق مثل
البرق الذى لو دام لهلك الناس به ، ثم جعلها تظهر فى الاجسام
للمنافع من التسخين ولان يستضاء بها فى وقت الحاجة اليها ،
وخلقت (٤) حارة فى غاية الحرارة للتسخين والنضج ولان تسيل

---

(١) فى أ ، ظ : متخلخلا .
(٢) ما بين القوسين من ظ .
(٣) فى بقية النسخ : ويبرد عنهم وهو اصح .
(٤) فى أ ، ظ : وجعلت .

الجامدات (١) ويختلط بغليانها الماء والارض والهواء فتلتئم الخلقه من الجميع ولولاها ما صح شيء من ذلك. (٢)

ثم انظر الى السماء (٣) : وخلقتها فانها جسم معتدل في غاية الاعتدال لا كثيف جدا فيقع الى اسفل مثل الارض ولا سيال مثل الماء فتسيل اجزاؤه فتبطل ولا متخلخل مثل الهواء فتخل (٤) اركانه وتنتثر كواكبه وتنسد (٥) ارجاؤه فتخرب الهيئة ، ولا خفي

---

(١) في أ : الجمادات.

(٢) يقول الشيخ نديم الجسر في كتابه قصة الايمان ص ٣١٧ ــ ٣١٨.
فارضنا التي من علينا الله في ايات كثيرة بخلقها وذكرنا بما في هذا الخلق من دلائل القصد والحكمة والنظام هي السيار الوحيد الذي جعله الله صالحا للحياة فقربها من الشمس معتدل والحرارة التي تصل اليها معتدلة وكثافتها تفوق كثافة كل السيارات حتى الشمس وجاذبيتها معتدلة ودورتها اليومية معتدلة وكافية لاحداث نهار وليل معتدلين صالحين للسعي والراحة ودورتها السنوية معقولة وكافية لاحداث فصول معتدلة صالحة لارواء الزروع وانضاجها وهي تمتاز بالماء والهواء الصالحين للحياة.
وهذه المزايا السبع قد ذكرها القرآن الكريم بكلام يفهم العالم بواطنه ويفهم الجاهل ظواهره ، فالقرب المعتدل والحرارة المعتدلة مشار اليهما ضمنا بما هي عليه الارض من صلاح للحياة والزرع ، والكثافة والجاذبية مشار اليهما بوضوح بقوله تعالى " الله الذى جعل لكم الارض قرارا .. " فلولا الجاذبية ما كان لنا ولا لشيء على الارض قرارا أبدا ، والدورة اليومية مشار اليها بوضوح بذكر الليل والنهار وبذكر الظل وقبضة بغياب الشمس والدورة السنوية مشار اليها بوضوح بذكر الامطار..
ثم قال الشيخ نديم بعد ذلك : فهل تريد من العليم الحكيم ان يفصل ناموس الكثافة والجاذبية ويشرح الدورة السنوية وشكل المدار وميل الارض في عصر لم يكن للانسانية به علم بهذه الامور ..

(٣) ورد ذكر السماء في ايات كثيرة في القرآن الكريم يامر الله سبحانه عبادة للنظر فيها ومنها :
(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج)
(الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها)
(أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها ..)

(٤) في : خ : فتختل (٥) في : أ ، ط : وتنهد .

مثل النار فيحتاج الى مادة ليظهر وجودها لان النار ملتهبة أكـــل بعضها بعضا ولو كانت مثل النار لاكلت (١) السماء بعضها بعضـــا وانخرم نظامها مع كل لحظة وانعدمت مع كل طرفة ولم تخلق أيضـــا اخف والطف . مما هي عليه تصعد عن مقامها لخفتها (٢) تذهـــب وتزول عن مكانها بل خلقت في غاية من الاعتدال لا كثيفة جـــــدا ولا لطيفة جدا بل معتدلة بين ذلك فرفعت بين ذلك بلا عمـــــد يرى (٣) بل بتعديل خالقها الذى خلقها فى غاية الاتقان وهكذا كل سماء فى نفسها ومقامها على غاية الاعتدال لا يحتمل الصعود الى ما فوقها ولا السفول الى ما تحتها ٠

ثم انظر الى حركة الافلاك لا سريعة جدا ولا بطيئة جـــــــدا ولا واقفة طرفة عين فلو كانت سريعة جدا فى الحركة اسرع مما هـــى عليه لكان الليل فى طول نفس والنهار كذلك والشهر والسنـــــة كذلك من ساعة ويوم فلم يكن للابصار ثبات بل كان يرقب الليـــل والنهار كما يرقب البرق فيجيء النهار قبل الليل كمجيء البـــرق وجيء الليل بعد النهار كذهاب البرق فلم يكن يبصر احـــــد رشده وكانت تبطل فصول السنة من الربيع والصيف والخريف والشتاء ولـــم تصح خلقة الاشياء على ما هى عليه ولم تخلق ايضا بطيئة جـــدا فيكون النفس الواحد من شهر والساعة من سنة فيسئم الناس بالحركة الدائمة والسكون الدائم فيهلك الخلق والنبات وكل شيء لم تكـــن

---

(١) فى خ : أكلـــت ٠

(٢) فى : خ : بخفتهـــا ٠

(٣) فى بقيه النسخ (توقفت فى مكانها بلا عمد ترى) ٠

ايضا واقفه ابدا لتكون الدنيا اما ليلا دايما فلا يبصر احد رشدا (١) او يهلك بالبرد الدايم والسكون الدايم ، واما نهارا دايما (٢) فيهلك بالحر الدايم كلما على وجه الارض بالحركة الدايمة بل خلقت معتدلة الحركة فى غاية الحكمة لا يجوز أن تكون الا كما هي .

ثم انظر الى لونها كيف جعلها الله (٣) احسن الالوان للأبصار ولونها الى الخضرة وهو احسن شيء وانفعه للابصار ولو كانت سوداء مظلمة لاهلكت الخليقة بشدة خلقتها ووحشتها ولاخذ الخلقَ الهولُ والفزعُ من منظرها لعظم (٤) جرمها فكانت طباعهم تفسد من الرعب لان الشيء المظلم مرعب مفزع الا ترى الى وحشة الليل مع قلة ثباته وامتزاحه بانوار الكواكب ولون السماء ، وكذلك لو خلقت حمراء او بيضاء فلو كانت نورانية لاطمست الابصار بالنظر اليها من اول مرة ينظر اليها الا ترى الى الشمس (٥) لا يقدر احد ان يتبين جرمها

---

(١) فى أ ، خ : رشدة وهو الاصح .

(٢) قال الله تعالى " الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا .. " غافر ٦١ .

وقال تعالى " قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون ، قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون " القصص ٧١ ــ ٧٣ .

(٣) فى : ت : جعله الله .

(٤) فى ظ ، خ لعظيم .

(٥) فى خ : ان الشمس .

مع صفرها وكذلك لو كانت حمراء مع عظم جرمها او في لون غير هذا الذي (١) هي به لا ضر ذلك بالخليقة فلا يليق بها الا ما هي عليه من تدبير الحكيم العليم ، ثم زينها بالكواكب فجاءت في غاية الحسن والجمال بكواكبها فاهتدى الخلق بها في ظلمات البر والبحر الى جميع المقاصد وعلموا مقدار الزمان والساعات ولو لم تكن الكواكب لم يهتدي الى شيء ولا عرف ذلك .

وأما حكمة الشمس والقمر والخنس وجميع كواكب السماء فكل واحد منها موضوع على عمل وحكمة ليست لغيره لا تكمل المملكة الا بذلك العمل فالقمر لمعرفة الشهور والحساب والترطيب والتبريد في جميع العالم وكذلك الشمس للضياء وللحساب والتسخين ، وكذلك البروج لفصول السنة الربيع والخريف والصيف والشتاء "والحساب" (٢) ولحصول الجوار الكنس فيها صاعدة وهابطة اذا حلت الشمس او القمر او اى كوكب كان في اى برج كان احدث الله من امره في هذا العالم ما شاكل البرج والكوكب والوقت والفصل ،

وكذلك كل كوكب في السماء يحدث الله بطلوعها وغروبها على الارض كل يوم وليلة بل في كل ساعة ونفس في هذا العالم جميع ما ينزل من امور الدين والدنيا من خير او شر لان الله ما خلق

---

(١) في : خ : لون غير هذا اللون الذى ..

(٢) نقصت من : ج.

السموات (١) والارض وما بينهما باطلا وهو ان يخلق شيئا لغير معنى اولغير حكمة بل لا يحدث الله فى هذا العالم موتا ولا حياة ولا فقرا ولا غنى ولا نوما ولا يقظه ولا ضحكا ولا بكاء ولا شيئا من الأشياء الا فى زمان ووقت والزمان هو حركة الفلك بما فيه فحركته التى هى الطلوع طلعت فى هذا العالم المحدثات كلها بالايجاد ، وغروبه غربت عن هذا العالم الموجودات بلاعدام والنفاد (٢) . والطلوع والغروب للفلك "دايم" (٣) مع كل نفس وكذلك المحدثات طالعة وغاربة فى هذا العالم مع كل نفس وانما تتحرك الافلاك بالامر النازل والصاعد الا ترى الى قوله تعالى بعد ذكر السموات :

" يتنزل الامر بينهن ، يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه "(٤)

فقوله " يتنزل الامر بينهن " هو حدوث ما يحدث فى هذا العالم من الامور السماوية ثم يعرج اليه هو ذهاب ما فى هذا العالم ورجوعه وليه عند السماء والكواكب الا ما جعل فيها (٥) مع كل حركة والمقدورات جارية على العباد الى حين وقوف الفلك عن الدوران وهو الوقت للموعود بالقيامة العامة لجميع الخلق فدل هذا

---

(١) فى ظ ، خ : ما خلق السماء .

(٢) فى : خ : والنفود .

(٣) ما بين القوسين من : ظ .

(٤) لم اجد اية بهذا النص وانما قوله تعالى :
(يتنزل الامر بينهن ..) من الاية ١٢ من سورة الطلاق ، وقوله تعالى :
" يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه .. " من الاية "٥" من سورة السجدة .

(٥) فى ت : الا ما جعل الله فيها .

التدبير المحكم والصنعة المتقنة التى هى فى غاية الحكمة على صانع حكيم عالم قدير ليس كمثله شىء وهو السميع العليم البصير (١) ،

واعلم ان انتباه قلبك لتعظيم الصانع عند فهم الحكمة الدالة على الصانع هو تجلى صفات الصانع لقلبك فافهم ذلك وتفطن له واستزد منه جهدك.

---

(١) هكذا فى ع وفى بقية النسخ :

" .. ليس كمثلة شىء وهو السميع البصير " الاية ١١ من سورة الشورى.

فصـــــل :

في النظر في الاجساد الجزئية المركبة من العوالم الكلية

اعلم ان كل ما في هذا العالم من الاجساد الجزئية التي هـــي الحيوان والنبات وجميع معادن الارض انما تركبت كلها من اربعة أشياء من الارض والماء والهواء والنار فالمعادن خلقها اللــــه تعالى للمنافع والزينة والبيع والشراء ولدفع المضار من القتـــال للاحتراز (١) وغيره ولجلب المنافع العامة وذلك مثل الذهــــب والفضة والجوهر والحديد والصفر والرصاص التي ينتفع بهـــــا لاقوام للعالم الا بها ومنافعها كثيرة لا تحصى ولا تخفى حـــتى لو عجز الملح الذي هو احد المعادن لفسد العالم بعدمــــة لانها (٢) كانت تفسد الامزجة وتتعطل الفوائد التي خلق لهـــا وفي ذلك الفساد للعالم فكيف بسائرها من الحديد وغيره فارجـــع بصرك في مخلوقات (٣) الباري تعالى لعل الله ان يفتح بصيرتـــك فتشاهد الحق على ما هو عليه •

وخلق الله المعادن على صفات مختلفة من الشدة واللين والكثـــرة والقلة وما بين ذلك ليتخذ منها الالات والزينة المحبوبة الـــتي هي سبب عمارة الدنيا لان الزينة سبب المحبة والمحبة ســـبب العمارة ومنافعها اكثر من أن تحصى لكن نبهنا العقول بنبذة (٤)

---

(١) في ت ، خ ، وفي هامش / ظ : والاحتراز ، اما في ظ : والاحتراث ولعله هو الصواب •

(٢) في : ظ ، ت ، خ : لانه •

(٣) في : ت ، خ ، وفي هامش : مصنوعات •

(٤) في : أ : لنبــذة •

منها لعل الله ان يمن بالفتح المبين من عنده واما النبـــات ،
فانه مخلوق لغذاء الحيوان كله ولمنافعه حتى لو عجزت آلة الحــرث
المتخــذة من الخشب لفسد العالم (١) • وكذلك الحيــوان ايضـا
خلقه الله تعالى وسخر بعضه على بعض (٢) وجعل بعضه طعمـا
لبعض كل ذلك لقوام العالم وكماله •

واما كيفية ترتيب خلقة هذه الاشياء كلها ووجه الحكمة فى خلقتها
على هيئاتها التى هى عليه فهو بحر واسع الاطراف لايتم ابـــدا
وسنذكر من ذلك طرفا فى كيفية خلقة الانسان ليكون تنبيهـــا
على غيره ان شاء الله ونذكر منه هنا وجهاً واحداً مختصراً علـــى
وجه الاجمال وذلك ان تعلم ان كل جزء من جميع المخلوقـــات
بمـــنزلة عضو من اعضائك (٣) لو نقص من اعضائك اوكان على غيـــر
هيئته التى ركب عليها مثل الفرج او اليد او القلب انفســد (٤)
نظام الجســـد •

---

(١) كان ذلك فى زمن المؤلف ، اما فى زماننا فقد تغيرت الى الات الية متخــذة من الحديد تعمل عمل الالة المتخذه من الخشب قديما ، وهذا مما لايجهله اليوم احد ، وانما خص المؤلف آلة الحرث بكونها المأخوذة من الخشب لما هـــو فى معرفة انسان ذلك العصر ، وجهله بما سيأتى فى المستقبل من التقدم العلمى والمخترعات البشرية وفى مثل هذا الافق الضيق للانسان نعلم سعة علم اللـــه تعالى لما كان ولما هو كائن ولما سيكون وندرك بلاغة القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم •• " الانفال اية ٦٠ • فان قوله (قوة) تصدق على القوة الموجودة فى زمن نـــزول الاية كالخيل والسيف والرمح وتصدق على القوة الموجودة اليوم من دبابات ومدافـــع وطيران ••• وصدق الله العظيم :
" والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون " النحل اية ٨•

(٢) فى أ ، ظ بعضه لبعض ، وفى : ت ، خ : وسخر بعضه لبعض وسلط بعضـــه على بعض وهو الاصح •

(٣) فى بقية النسخ من اعضاء جسدك •

(٤) فى ظ : لفسد وهو الاصح •

وكذلك لو ان الحديد كان على غير هيئته انبطل (١) الحـــــرث الذى هو سبب العيش وانبطلت (٢) الفراسة والحفر والقتـــــال وفسد العالم وكذلك ساير المعادن والنبات والحيوان ويكفيـــــك النظر فى تركيب جسدك لتستدل بذلك على ترتيب الحكمة فـــى الحيـــوان والنبات والمعادن وجميع المخلوقات ان شاء الله ٠

---

(١) فى : ظ ، خ : لبطل ، وفى ت : بطل ، وهو الاصح ٠

(٢) فى : ظ ، خ : ولبطلت وهو الصحيح ٠

فصـــــل :

اعلم ان جسد الانسان مركب من الاصول الاربعة التى تقدم ذكرهـــا تفصلت هذه الاربع الى العظم والمخ والعصب والعروق والـــــدم واللحم والجلد والظفر والشعر هذه جملة الجسد وضع كل نوع منهـــا لحمة لولاها لم يكن الجسد •

فالعظام منها تركيب (١) هيئة الجسد على ما هـو عليه بعضــم بعضها الى بعض ولم يجعل عظما واحدا لانه كان يكون مثـــــل الحجر لا يتحـرك بل هى عدد معلوم لكل جزء من الجسد عــدد من العظام (٢) لو نقص منها واحد او زاد فيها (٣) واحد تعطلت بنية الجسد وكانت عليه فانظر الذى جعلها عظاما متعددة ولم يجعلها واحدا وخصها بهــذا العدد ما احكمه واعلمه إثـــم لما كانت عظاما كثيرة لاجل الحركة لم يكن لينظم بعضها الى بعـض حين صور منها الجسد الا بالصاق بعضها الى بعض فلم يكن بد من رابط لها فجعل (٤) العضلات والعصب وربط العظام بهـــا (٥) بعضها الى بعض ولو كان العصب اقوى فما هو أو ألين مما هو لـــم تصح حركة الجسم ولا تصرفت الاعضاء فى منافعها •

ثم خلق المخ فى العظام فى غاية الرطوبة ليرطب يبس العظـام

---

(١) فى ظ ، ت ، خ : تركيبـــت •
(٢) فى : خ : عدد معلوم من العظام •
(٣) كلمة " فيها واحد " نقصت من ظ •
(٤) فى أ ، ظ ، خ : فخلق وكذا فى هامش ع •
(٥) فى خ : وربط بها العظام •

وشدتهـا ولتقوى العظام برطوبته ولولا ذلك لضعفت قوتها وانخرم نظام الجسد (١) بضعفها (٢) • ثم خلق اللحم وعبأة على هيئـة العظام وسد به خلل الجسم كله فصار مستويا لحمة واحدة واعتدلت هيئة الجسد به واستوت ولو كان أيبس مما هو لم تلتئم (٣) ، او سيالا لم تلتصق (٤) فلا يجوز أن يكون الا على صورته التى خلق فيها ثـم خلق العروق فى جميع الجسد جداول لجريان الغذاء فيها الـى اركان الجسد كله لكل موضع من الجسد عدد معلوم من العـروق صغار وكبارا ليأخذ الصغير من الغذاء حاجته والكبير حاجتـه ولو كانت اكثر مما هى او انقص او على غيرما هى عليه من الترتيب ما صح من الجسد شيء ثم اجرى الدم فى العروق سيالـة (٥) خاثرا ولو كان يابسا او اكثف مما هو لم يجر فى العروق ولولـم يكن خاثرا وكان الطف (٦) مما هو لم تتغذ به الاعضاء•

ثم كسا اللحم بالجلد ليستره كله كالوعاء عليه ولولا الجلد لكـان قشـرا احمر وفى ذلك هلاكه ثم كساه الشعر وقاية للجلد وما لـم يكن فيه شعر جعل له اللباس عوضا منه وجعل اصوله مغروزة فـى اللحم ولين اصوله ولو كانت يابسة مثل الابر لم يهنه بذلك عيـش

---

(١) فى ظ : نظام الجسد كله•
(٢) فى : ت ، خ : لضعفها•
(٣) فى خ : لم يلـتئم•
(٤) فى غ : لم يلتصـق•
(٥) فى بقية النسخ سيالا وهو الصحيح •
(٦) فى : خ : فلو لم يكن خاثرا او كان الطف •••

وجعل الأشفار وقاية للعينين ولولا ذلك لاهلكهما الغبار والسقط وجعل الاشفار عددا معلوما لينظر من خلالها ولم يجعلها طبقة واحدة فكانت تضع النظر وخلق الاسنان بعد هذا كله وبعد رضاعة مدة طويلة ليعتاد الرضاع ويتعلمه ولم يخلق الاسنان له مع خلقته كلها كيلا يضر بامه في حال رضاعه بالعض فالصبية حال الرضاع (١) لا يصلح له الغذاء فاذا ترعرع (٢) واشتد (٣) وصلح للغذاء (٤) خلق له الاسنان وجعلها نوعين بعضها محدودة الاسنان وهي التي للقطع يقطع بها المأكول وبعضها مبسوطة وهي التي للطحن ولولا ذلك ما صح من الجسد شيء.

فسبحان الله ما اكثر الايات الدالة عليه ولكنا لا نبصر الا بتوفيق الله تعالى ثم لما كان الغذاء والمأكول شديدا كثيفا ولم يكن ليجري في الفم الى الحلق وهو كذلك انبع الله تعالى في الفم عينا نباعة على الدوام احلى من كل شيء حلو واعذب من كل شيء عذب فيحرك اللسان الغذاء ويمزجه بذلك الماء فيعود زلقا فينحدر في الحلق بلا مؤنة واذا عدمت تلك العين بالجفوف من المرض لم يمض على الحلق شيء ولما كانت الحرارة تخرج من الجوف

---

(١) في ظ ، خ ، ت : كيلا يضر بأمه في حال رضاعه بالعض لانه في حال الرضاع.

(٢) في ظ ، خ ، ت : فلما ترعرع.

(٣) كلمة (واشتد) سقطت من ظ.

(٤) في ت : وصلح له الغذاء.

كسرت تلك الحين عادية تلك الحرارة على الدوام وهكذا كل عظم وعرق وقليل اوكثير من الجسد على هذه الحكمة واكثر ولو تتبعت ذلك لطال بها الكلام لكن بالقليل يتوصل الى الكثير ان شاء الله تعالى •

ثم خلق الاظفار لتشد اطراف الجسد لئلا تنكسر الاطراف وليحك بها فى موضع[1] الحاجة فانظر هذا الترتيب الغريب ما اعجبه حتى ان الشعر والظفر لما كان يطول فيحتاج الى جزه كيف كان يكون الحال لو كان يحس بجزه كساير الاعضاء وعلى مثل هذا الترتيب تركبت اجسام الحيوان والنبات كله وكل ما يتركب (٢) من جميع المخلوقات فى غاية الحكمة الدالة على الصانع الحكيم •

ثم خلق فى باطن الجسد اعضاء ريئسية (٣) جعل كل عضو منها على عمل مخصوص وجعل فى كل عضو قوى فعاله باذنه تعالى لاقوام للجسد الا بها مثل المعدة والطحال والكبد المرار والرئة والقلب والدماغ وجعل فيها القوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والغاذية والنامية والدافعة والمصورة وفى وضع هذه القوى فى هذه الاعضاء وتخصيص كل عضو منها بقوة غير ما خص غيره (٤) حكمة (٥) عظيمة دالة على الصانع تفطن لها

(١) فى ظ ، ت ، غ : وليحك بها وينتفع فى موضع الحاجة •
(٢) فى ظ ، ت ، غ : ما تركب •
(٣) فى ظ ، غ : رئيسة وهو الاصح •
(٤) فى ت ، غ : غير ما خص به غيره •
(٥) فى : ظ ، ت : حكم •

من ذلك (١) اعانك الله ولو تعطل من هذه الاعضاء والقوى واحد تعطلت البنية كلها ، ثم خلق له (٢) الحواس فى مواضعها الخاصة بها اللايقة فجعل اللمس فى اليد والسمع فى الاذان (٣) والبصر فى العين والذوق فى الفم والشم فى الانف ليدرك بكل واحد (٤) ما ينفعه وما يضره بها وجعل الجوارح كالالات ولو تعطل شيء من الجوارح والحواس لا نخرم نظام الكل . وهكذا كل شيء فى غاية الاتقان لا يجوز تحويلة عما هو عليه ولو كان على غير ذلك انخرم نظام العالم كله .

فقد دلت الاجساد (٥) على صانع قديم مدبر حكيم عالم (٦) متصف بكل خلق كريم . ثم انظر الى اعجب من هذا كله واغرب وذلك ان هذا الترتيب العظيم والنظم المحكم الجسيم الذى رتبت (٧) الاجساد عليها (٨) اذا زال الروح القايم بها المصرف لها كيف

---

(١) فى أ ، ت من ذاتك وهو الصحيح .

(٢) فى : ظ ، خ : ثم خلق الله الحواس .

(٣) فى : خ : فى الاذن .

(٤) فى ع ، أ : بكل واحد منها . بزيادة "منها" وبدونها يستقيم المعنى .

(٥) فى : أ : الاجسام .

(٦) فى أ : عالم عظيم متصف ..

(٧) فى أ : الذى ركب وفى ت : الذى رتب .

(٨) فى ظ ، ت : عليه وهو اصح .

تفسد جملتها وينخرم نظامها فلاقيام للاجساد الا بالارواح وفـــى معرفة الارواح هو الشأن كله والخير اجمعه وفيها الدلالــة (١) الكبرى على البارى سبحانة كما قال عليه السلام :

" من عرف نفسه عرف ربه ٠٠ " (٢)

---

(١) في : ت : وفيه الدلالة ٠

(٢) اورد المؤلف هذا الاثر فى عدة مواضع من الكتاب وقد وجدت فـــى هامش : ت ما يلى :

" من عرف نفسه ٠٠ الخ الف الجلال الاسيوطى فى هذا الحديث مؤلفــا حاصل ما ذكر فيه أنه ليس بثابت ولكن معناه صحيح وذكر فى معناه عشـرة اوجه وما ذكره المؤلف هنا قريب من ذلك فتأمل) اهـ وقد ذكر الدكتـــور ابراهيم هلال فى قائمة اهم المراجع لكتابه ولاية الله والطريق اليهـــا هذا المؤلّف بعنوان : القول الاشبه فى حديث (من عرف نفسه فقـــد عرف ربه) ضمن مجموعة رسائل للسيوطى مخطوط بدار الكـتب رقـــم ٢٥ مجاميع ٠

وذكر ابن تيمية فى مجموعة الفتاوى ج ١٦ ص ٣٤٩ ما نصه :

" ٠٠٠ ويقال " من عرف نفسه عرف ربه " وبعض الناس يروى هـــذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وليس هذا من كلام النبى صلى الله عليه وسلـــم ولا هو فى شئ من كتب الحديث ولا يعرف له اسناد ولكن يروى فى بعـض الكتب المتقدمة ـ ان صح ـ : " يا انسان اعرف نفسك تعـرف ربـــك " وهذا الكلام سواء كان معناه صحيحا او فاسدا لا يمكن الاحتجاج بلفظـه فانه لم يثبت عن قائل معصوم ، لكن ان فسر بمعنى صحيح عرف صحـــة ذلك المعنى سواء دل عليه هذا اللفظ اولم يدل ٠٠ " اهـ

وفى موضع اخر يبين ابن تيمية رحمة الله ان هذا المعنى الذى يفســر به هذا اللفظ يكون من جهة الاعـتبار ٠ ومن جهة المقابلة ٠ ومـــن جهة الامتـناع :

فأما الاعـتبار : فان يعلم الانسان انه حى عليم قدير سميع بصير متكلم =

والنفس تسمى روحا والروح تسمى نفسا ... (١)

وقد تكلم (٢) الناس في معرفة النفس والروح :

فقال قوم : الروح هي النفس والنفس هي الروح وانما هما اسمان بمعنى واحد واحتجوا بقول النبي عليه السلام :

= فيتوصل بذلك الى ان يفهم ما اخبر الله به عن نفسه من انه حي عليم قدير سميع بصير.

وأما من جهة المقابلة : فيقال من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم ومن عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعجز وهكذا امثال ذلك.

واما من جهة العجز والامتناع: فانه يقال اذا كانت نفس الانسان التي هي أقرب الاشياء اليه بل هي هويته وهو لا يعرف كيفيتها ولا يحيط علما بحقيقتها فالخالق جل جلاله اولى ان لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علما بحقيقته .

راجع مجموع الفتاوى ج ٩ ص ٢٩٧.

(١) في : ظ ، ت : لكنهما سيان . اى بمعنى واحد .

(٢) من قوله وقد تكلم الناس .. الى قوله في نهاية الفصل : .. ومعايشهم ومذاهبهم سقط من خ .

" ان الله قبض ارواحنا "(١)

ويقول بلال للنبي عليه السلام :

" اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك .."(٢)

---

(١) هذا جزء من حديث رواه البخاري مطولا في كتاب المواقيت ، باب الاذان بعد ذهاب الوقت ولكنه بلفظ :

" .. ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء.. " ج ١ ص ١٥٤ واورده ايضا في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى " انما قولنا لشيء" ج ٩ ص ١٧٠ مطابع الشعب واخرجه ابو داود بلفظ (.. ان الله قبض ارواحكم حيث شاء وردها حيث شاء ..) كتاب الصلاة الحديث رقم ٤٣٩

وفي مسند احمد في كتاب الصلاة بلفظ :

" .. قبض الله ارواحنا وقد ردها الينا .. " الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد كتاب الصلاة حديث رقم ٢١٥ واخرجه الموطأ وفيه " .. الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا .. " شرح الزرقاني على موطأ مالك باب وقوت الصلاة الحديث ٢٥

(٢) من حديث رواه مسلم موصولا في كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم ٢٩٦ رواه الموطأ مرسلا في باب وقوت الصلاة الحديث رقم ٢٤ ورواه ابو داود والترمذي والنسائي .

انظر جامع الاصول في احاديث الرسول ج ٥ ص ١٩٥ الحاشية .

وهذا ليس فيه حجة قطعية على انهما شيء واحد فان الحديث الواحد اخبر فيه عن الروح ، والحديث الاخر اخبر فيه عن النفس لان النفس والروح ينامان ويتوفيات في النوم وفي الموت ،
وقالت طائفة :الروح غير النفس " والنفس غير الروح "(١) وهذا هو الحق (٢) فان اخلاق النفس غير اخلاق الروح واخلاق الروح غير اخلاق النفس فطبع النفس الهوى والشهوة والامر بالسوء والجهل وطبع الروح العقل والعلم والتدبير والفهم ومتى لم تمنع النفس من طبعها لم ترجع عنه ولا يرجعها الا الروح فان قلت ان الكفار والفجار لا علم لهم ولا تدبير فاعلم ان لهم علما وفهما وتدبيرا في امور دنياهم ومعايشهم ومذاهبهم .

---

(١) الزيادة من أ ، ظ ، ت

(٢) ذكر ابن القيم القولين الذين ذكرهما المؤلف ونسب القول بان مسماهما واحد للجمهور ونسب القول الثاني لفرقة من اهل الحديث والفقه والتصوف

ورجح ابن القيم ان لا فرق بينهما وقال :

ان النفس تطلق على امور :

على الروح وعلى الذات بجملتها كقوله تعالى " فسلموا على انفسكم .. "

وتطلق على الروح وحدها : " يا أيها النفس المطمئنه .. "

واما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس ، وتطلق الروح على القرآن وعلى الوحي الذي يوحيه الله الى انبيائه .. الخ .

ثم قال : فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات

وقال في موضع اخر : اما الروح التي تتوفى وتقبض فهي روح واحدة وهي النفس واما ما يؤيد الله به أولياءه من الروح فهي روح اخرى غير هذه الروح ...

انظر كتاب : " الروح " لابن القيم ٢١٧ ـ ٢١٩ وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٩ ص ٢٩٢ .

فصـــــل فـي معرفة النفس والروح :

اما الجوهر الروحاني النفيس العالي فتعرف ذاته من جهـــة مخالفتهـــا لذوات الاجساد " الكثيفة وتعرف صفاته من جهـــــــة مخالفتها لصفات الاجساد "(١) فاعلم أن الروح مخالف للجســـم في التركيب لان الجسم مؤلف (٢) من اجزاء كثيرة لا تحصى كـــــان اصلها الافتراق والتلاشي ، والروح ليس باجزاء متآلفة (٣) بعضهـــا الى بعض مثل الجسد بل هو شيء واحد غير مركب اعني تركيب الجســد الذي ركب من اربعة اشياء تراب وماء وهواء ونار فافهم وحدانيـــة الروح فانه ليس شيئين ولا ثلاثة ولا اكثر انما هو جوهر فرد روحاني (٤) في غاية اللطافة (٥) وهكذا كل روح في نفسه فرد والروح مخالـف

---

(١) ما بين القوسين من ط ، ت ، خ وفي خ : مخالفتها لصفة الاجساد .

(٢) في خ : مؤتلف وفي ت : لان الجسم لما كان مؤلفا ...

(٣) في خ : مؤتلفـــه .

(٤) سقطت كلمة " روحاني " من خ .

(٥) قال ابن تيمية رحمة الله :

" .. فالنفس وهي الروح المدبره لبدن الانسان هي من باب ما يقـــوم بنفسه التي تسمى جوهرا وعينا قائمة بنفسها ليست من باب الاعراض الـتي هي صفات قائمة بغيرها واما التعبير عنها بلفظ " الجوهر " ، و " الجسم " ففيه نزاع بعضه اصطلاحي وبعضه معنوي فمن عنى بالجوهر : القائم بنفســه فهي جوهر ومن عنى بالجسم ما يشار اليه وقال انه يشار اليه فهي عنده جســـم ومن عنى بالجسم المركب من الجواهر المفردة او المادة والصورة فبعض هـــؤلاء قال انها جسم ايضا ومن عنى بالجوهر المتحيز القابل للقسمة فمنهم مـــن يقول انها جوهـــر :

ثم قال : والصواب انها ليست مركبة من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة وليست من جنس الاجسام المتحيزات والمعهودة ، واما الاشارة اليها فانه يشـار اليها وتصعد وتنزل وتخرج من البدن وتسل منه كما جاءت بذلك النصوص ودلـــت عليه الشواهد العقلية . مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٩ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

ايضا للجسم (١) في التقييد بالحدود لان الجسم محدود بجهات اذا اقبل على جهة انحاز عن اخرى ، والروح مطلق غير مقيد اعني قيود الجسد الحاصره له عن التصرف في كل جهة فانه ليس جهة اولى به من جهة وانما قيودة الجهل والمخالفات والظلمات.

والروح مخالف للجسد في الكثافة لان الجسم ثقيل كثيف والروح في غاية البسط الروحاني والطافة الروحانية وانما ثقله الاوزار الثقال وكثافة ركونه الى الاشياء وشغفه باتباع الهوى وقصوره عن الادراكات.

والروح مخالف للجسم في التقاحم والمزاحمة لان الجسم يرد بعضه بعضا ويزاحم بعضه بعضا " والروح ليس كذلك لو اجتمع مائة الف الف روح لم يزاحم بعضها بعضا " (٢) وانما مزاحمة الارواح بالعداوة والغضب وسوء الاخلاق والتناكر وغير ذلك مما يقع به التباين والاختلاف (٣) ،

والروح ايضا مخالف للجسم في التمكن واحتياج الجسم الى المكان ضروري واحتياج الروح اليه جايز وهو حامل الجسد (٤) ومحركة ومسكنه (٥) والقايم به (بقدرة الله تعالى) (٦) ويبطل بزوال الروح عنه ولا تبطل الروح بزوال الجسد عنه فبينهما بون كبير في الاحتياج

---

(١) في : ظ ، ت : للجسد .

(٢) ما بين القوسين ورد في بقية النسخ ولم يرد في الاصل .

(٣) كلام المؤلف هنا يناقض ما رجحه في ص من ان الروح غير النفس وان طبع الروح العقل والعلم والتدبير والفهم .. الخ .

(٤) في : ت : وهو حامل للجسم .

(٥) في : ظ : وممسكه .

(٦) ما بين القوسين في بقية النسخ

الى المكان فان الجسم محتاج الى مكان يعتمد عليه ويستقر فيه ولو زال عنه هوى وتدكدك والروح غير محتاج الى مكان اغنى حاجة الجسد (١) بل هو المكان للجسم والجسم موضوع عليه وله وانما مكان الروح : المكانه او ضدها .

والروح مخالف للجسم في الاتصال والانفصال لان الجسم اذا اتصل بشئ انفصل عن موضعه ولم يبق فيه منه شئ ، والروح ليس كذلك ليس هو متصلا به بالجسد ولا هو منفصلا عنه انفصالا يتركه بالكلية لانفصاله (٢) عنه .

ولا داخلا فيه دخولا يحصره ويضمه فيه كالوعاء المحتوى على الشئ فيحجبه عن غيره . ولا خارجا عنه (٣) خروجا لا يبقى منه بالكلية فيه اثر " وانما اتصاله به الوصال بالمحبة "(٤) والوصلة " بالالفة "(٥) التي وقعت بينه وبين الجسد في المشاكلة عند النفخ لان كل جسد لا يقبل الا ما شاكله من الارواح فالملاقة وقعت بين الجسد والروح من هذا الباب ولم تزل تلك الملاقة تنشأ وتنمو حتى كثر الوصال والود فلا يزال الروح يجري في مرضات الجسد لانه قد اتحد به

---

(١) في ظ ، ت : كحاجة الجسد وفي خ : كحاجة الجسد اليه وهو الاصح .

(٢) في خ : بانفصاله .

(٣) في خ : ولا خارجا عن غيره وهو خطأ والصحيح ما في الاصل .

(٤) ما بين القوسين في بقية النسخ .

(٥) في : أ : بالمحبة الموصلة بالالفة وفي :ظ،خ ، ت بالمحبة والوصلة بالالفة .

من كثرة المحبة وله (١) يجمع ويدخر الى غير ذلك مما لو ذكرته لطال به الكلام ٠

واذا فهمت هذا السر انكشف لك سر الموت وشدته ولينه فى حق قوم دون قوم واشرفت على بحر عظيم من امر الموت وعذاب القبر ونعيمه وانفصاله ايضا عنه من هذا النوع فاستعن بالله على الفهم يمنك وانما هذا تذكير والله الموفق ٠

والروح مخالف للجسد فى الادراك لان الجسم لا يدرك الشيء الا بالمماسة له والحس ٠ والروح ليس كذلك يدرك الاشياء من غير مماسة والقريب والبعيد عنده سواء وانما ادراكاته المعارف والعلوم والدلائل والبراهين وادراك الغايب بالشاهد الى غير ذلك ٠

---

(١) فى ت : فله يجمع ٠

فصـــــل (١) :

ومن اعون شئ على معرفة الروح واقربه ان تعلم ان وجود الشـــئ
كلما عـلا وقرب من باريه لطف جوهر ذاته وتروحن وانبسط ورق وصفا
وكلما بعد عن الموجد (٢) كثـف وعظم (٣) وغلظ وظهرت عليـــه
عوارض الجسم (٤) وقيود الحدود المانعه من البسط فيه ومثال ذلـك
بالمشاهدة ان الارض التي نحن مخلوقون منها لما كانت (٥) في اسفل
العالم كانت اكثف الموجودات واشدها اظلاما حتى ان الليل الاســود
انما هو ظلها وفلك الماء لما كان فوقها في علو الرتبة والمكان كـــان
اصفى منها والطف وابسط فتراه يطلب الانبساط بوجودة ابـــدا
وفلك الهواء فوقه فجسمه اغرب لطافة وصفاء وانبساطا وفلـك النـار
الذي هو الاثير (٦) فوق الهواء الطف وارق وابسط منه وهو جســم
تحت جسم الفلك والفلك فوقه (٧) وهو اغرب من كل ما تحتـــه
" واصفى جوهرا وكل فلك وسماء اغرب واصفى من الذي تحته " (٨)

---

(١) كلمة " فصل " لم تذكر في ظ ، خ ، ت.
(٢) في : ظ ، ت : وكلما بعد الموجود وهو خطأ والصواب " الموجد "
(٣) في أ ، ظ : وأظلم .
(٤) في أ ظ : عوارض الجسد .
(٥) في خ : لما كثفت وكانت.
(٦) في : ظ : وفلك النار الذى هو فوق الهواء وفي خ : وفلك النار الـــذى
هو اشد الاثنين فوق الهواء ولعل الصواب ما في الاصل .
(٧) في ظ مخ : فوقه في الرتبة .
(٨) ما بين القوسين سقط من خ .

واعظم لطاقة وهكذا كلما علت جواهر الموجودات وذواتها وقربت من الامر كانت ذواتها الطف جوهرا وابسط وجودا واكثر تروحنـا واذا فهمت هذا لم يشكل عليك قول في معرفة الروح وبسطه ولطاقته وتروحنه وبسطة (١) يقرب من لطايف (٢) صورة المعلوم المتصوره في نفس العالم بها فـذاتك وما هي عليه (٣) من الكثافة في عالم الدنيا جسمانية وهي في عالم النفس والكرسي نفسانية الطف منهـا في الجسمانية واغرب وجودا وهي والتعبد بها (٤) في عالم الروح والعرش روحانية الطف منها في النفسانية واغرب (٥) وهي متصـورة في العلم (٦) القديم صورة علمية معلومة نورانية فكلما سفل الموجود وبعد من العلو كثف واظلم وكلما قرب لطف وتروحن على هذه الصورة خلقت الاشياء (٧) وفطرت وتمام هذا كله وكماله في الكثافة واللطاقـة والقرب والبعد : الشرعة ومعنى الشرعة :

ان الله عز وجل لما خلق الاشياء وفطرها على ما فطرها عليه شـرع لها الشرعة ونهج المنهاج وامر بالاقبال عليه والارتقاء في الدرجات المقربة اليه ونهى عن البعد منه والاعراض عنه فمن ارتقى الى مـولاه كما امره صفت (٨) ذواته البواطن والظواهر من الاثقال والاوزار

---

(١) في : خ : وتبسطه.

(٢) في : ظ : لطاقة.

(٣) في ظ ، ت : فذات العبد بما هـي عليه.

(٤) كلمة والتعبد بها غير موجوده في خ وهو الصحيح اذ لا معنى لها هنا.

(٥) في : ظ : واعز.

(٦) في : خ : في العالم وهو خطـأ.

(٧) في : أ ، ظ : الاشياء كلها.

(٨) في : ظ ، ت ، خفـت.

الثقال على حسب ما قسم لهم الكبير المتعال وبهذه الخفة (١) التى ذكرنا والتروحن الذى وصفنا (٢) مشوا على الماء وطاروا فى الهواء وخرقت لهم العوايد ونشرت على قلوبهم الفوايد فسمعوا الوحى (٣) .

---

(١) فى : خ : واهل تلك الخفة .

(٢) فى : ت : الذى وصفناه .

(٣) يقول شارح الطحاوية :

واما ما يبتلى الله به عبده من الشر بخرق العادة أو بغيرها او بالضراء فليس ذلك لاجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه بل قد سعد بهما قوم اذا اطاعوه وشقى بها قوم اذا عصوه ... ولهذا كان الناس فى هذه الامور ثلاثة اقسام :

قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة .. وقسم يتعرضون بها لعذاب الله ، وقسم يكون فى حقهم بمنزلة المباحات ...

وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله وكلمات الله نوعان :

كلمات كونية وكلمات دينية ، فالكونية هى التى استعاذ بها النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله " اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر "

والكلمات الدينية هى القرآن وشرع الله الذى بعث به رسله وهى امره ونهيه وخبره فكشف الكونية : العلم بالحوادث الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية وقدرة الاولى التأثير فى الكونيات اما فى نفسه كمشية على الماء وطيرانه فى الهواء .. واما فى غيرها باصحاح واهلاك واغناء وافقار .

وقدرة الثانية التأثير فى الشرعيات اما فى نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطنا وظاهرا واما فى غيره بان يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع فى ذلك طاعة شرعية .

ثم قال شارح الطحاوية رحمه الله بعد ذلك :

فاذا تقرر ذلك فاعلم ان عدم الخوارق علما وقدرة لا تضر المسلم فى =

والالهـــــام (١) ....

= دينه فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيـــات لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله بل قد يكون عدم ذلك انفع له فانـــه ان اقترن به الدين والاهلك صاحبه في الدنيا والاخرة .. وانظـر شـــرح الفقه الاكبر للامام الملا على القاري ص٦٤ ط ١٣٩٩هـ راجع شرح الطحاوية ص ٥٦٠ ط ٦ وعلى ضوء راى السلف هذا في خرق العادة يتضح لنـــا ان المؤلف ــ عفا الله عنه ــ يرى غير ذلك فهو يرى ان الكلمات الدينيـة التى تاثيرها الشرعيات وعبر عنها بالشرعة يحصل للذى ينهج منهجهـــا ويسير وفقها صفاء لروحه يعقبه خوارق للعادة كالمشى على الماء والطيران في الهواء بمعنى انه يرى ان خرق العادة امرا مكتسبا تحصل بســبب التمسك بالشرعه وبذلك يتضح لنا تأثره برأى الفلاسفة ومن سايرهم مـــن الصوفيه في اعتقادهم وقولهم ان الكرامة والنبوة امر مكتسب تحصـــل للنفس بعد صفائها بالرياضة والمجاهدة بالطاعة .

انظر : قطر الولى على حديث الولى للامام الشوكاني تحقيق / د ابراهـيم هـلال ص ١٩٣ تحت عنوان : راى الفلاسفة الاشراقيين والصوفيـــة

وانظر : اعلام النبوة للماوردى ص ٢١ .

والملل والنحل للشهرستاني ج ٣ ص ٢٣٩ .

ومبحث : وكرامات الاولياء حق في مجموعة الحواشى البهية على شـــرح العقائد النفسية ج ١ ص ١٩٢

(١) الالهـام : القاء معنى في القلب بطريق الفيض ، وليس الالهام مـــن اسباب المعرفة بصحة الشيء عند اهل الحق خلافا لبعض المتصوفة والروافض الذين يجعلون الالهام من اسباب العلم بالشيء وقد نقل ابن تيميـــة الحكاية المشهورة عن ابى يزيد وقال فيها :

" فان خطر خاطرا اووجدت الهاما فاعرضهما على الكتاب والسنة فان وجدت فيهما تحريم ذلك مثل ان تلهم بالزنا أوالربا ... فادفعه عنك واهجـــره ولا تعمل به واقطع بانه من الشيطان اللعين وان وجدت فيهما اباحته =

وكانوا اية (١) للانام لان ارواحهم وعقولهم جذبت منهم النفوس والاجسام الى حضرة ذى الجلال والاكرام فازدادوا تروحنا بروح القدس ووجدوا حلاوة المحبة (٢) والانس : " ... اولئيك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه "(٣) وبضد هذا الوصف من انتكس " اعلاه "(٤) ومات قلبه واتبع هواه وقال سهل بن عبد الله (٥) :

= كالشهوات المباحة فاهجره ايضا ولا تقبله واعلم انه من الهام النفس وشهواتها وقد امرت بمخالفتها وعداوتها .. وان لم تجد فى الكتاب والسنة تحريمة ولا اباحته بل هو امر لا تعقله فتوقف فى ذلك ولا تبادر اليه ." مختصر من مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٠ ص ٥١٩ وانظر تعقيب ابن تيمية رحمة الله على هذا النص.

(١) فى بقية النسخ : وكانوا ائمة وهو الاصح .

(٢) فى : خ : حلاوة المزيد والانس .

(٣) سورة المجادلة من الاية ٢٢.

(٤) الزيادة من ظ ، خ .

(٥) هو ابو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التسترى (وتستر مدينة فى ايران) وهو احد ائمة الصوفية وعلمائهم ، مات سنة ٢٨٣ وقيل ٢٧٣ بالبصره قال صاحب الحلية :(تخرج عن خاله محمد بن سوار ولقى ابا الفيض ذا النون المصرى بالحرم ، عامة كلامة فى تصفية الاعمال وتنقية الاحوال عن المعايب والاعلال) اهـ
له كتاب فى تفسير القران مختصر وكتاب رقائق المحبين وغير ذلك وقد استشهد المؤلف بكلامة فى مواضع كثيرة من الكتاب كما فعل ذلك الطوسى فى كتابه اللمع.
راجع : صفة الصفوة ج ٤ ص ٦٤ ترجمة ٦٤٥،
حليه الاولياء ج ١٠ ص ١٨٩ ، الرسالة القشيريه ج ١ ص ١٠٤،
الاعلام للزركلى ج ٣ ص ٢١٠ ص ط ٢.
تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٦٧ .

" اول من مات من الخلق ابليس " (١)

وبين هذين الصنفين خلق (٢) طبقات من القرب والبعد والخفة والثقل " اما المشى (٣) على الماء وفى الهواء فان الجسد يهوى بطبعه الى الارض لا يستقر على الماء ولا فى الهواء فهذه فطرته وطبيعته فاذا ملكه الروح وصرفه على غرضه ولم يملك من نفسه شيئا ولا حركة واحدة حتى يكون تابعا لا متبوعا كالاجساد الاولياء مع ارواحهم امشاه الروح على غرضه على الماء وفى الهواء لانه لا يتصرف بحكم طبعه بل بحكم غيره فقد رده عن حكم طبعه التى ارادته فاوقفه على الماء فلا يغرق لان حركة طبعة لا حكم لها عند الروح الا باختياره واكثر اجساد الخلق هى متبوعة لا تابعة والارواح تابعة لها هى التى تتصرف والارواح تتصرف بتصرفها مما كسبتها الاجساد معانى الثقل وتصرف الاجساد فافهم " (٤) ٠

---

(١) فى كتاب الزواجر عن اقتران الكبائر لابن حجر قال : قيل اوحى الله تعالى الى موسى : يا موسى اول من مات اى هلك وخسر من خلقى ابليس وذلك انه اول من عصانى وانما اعدمن من عصانى من الاموات ص ١٠ الطبعة الاولى ٠

(٢) فى بقية النسخ : " الخلق طبقات ٠٠ " وهو الصحيح ٠

(٣) ما بين القوسين من قوله : أما المشى على الماء ٠٠ الى قوله وتصرف الاجساد فافهم : لم يذكر فى ظ مخ ، ت٠

(٤) يقول ابن تيمية رحمه الله :

٠٠٠ وكذلك المشى على الماء وفى الارض وهو قطع المسافة البعيدة فى زمان قريب ٠٠ هو مما تفعله الجن ببعض الناس ، وقد اخبر الله عن العفريت انه قال لسليمان عن عرش بلقيس وهو باليمن وسليمان بالشام : " انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك ٠٠ " ٠

ولهذا يوجد كثير من الكفار والفساق والجهال تطير بهم الجن فى =

....

= الهواء وتمشي بهم على الماء وتقطع بهم المسافة البعيدة في المــــدة القريبة .. والذين تحملهم الجن وتطير بهم من مكان الى مكان اكثرهــم لا يدري كيف حمل ... وقد يذهبون به الى مكة ويطوف بالبيت مــن غير احرام او يوقعونه في الذنب ويغرونــه بان هذا من كرامات الصالحين وليس هو مما يكرم الله به وليه ... بل يضلون صاحبه ويصدونه عــن تكميل ما يحبه الله منه من عبادة وطاعة ويوهمونه ان هذا من فضــل الكرامات حتى يبقى طالبا له عاملا عليه.

ثم قــال ... وقد يمشي على الماء قوم بتأييد الله لهم واعانته اياهــم بالملئكة كما يحكي عن المسيح وكما جرى للعلاء بن الحضرمي ولابي مسلــم الخولاني في عبور الجيش وذلك اعانه على الجهاد في سبيل الله كمــا يؤيد الله المؤمنين بالملئكة وليس هو من فعل الشياطين.

والفرق بينهما من جهة السبب ومن جهة الغاية :

اما السبب فان الصالحين يسمون الله ويذكرونه ويفعلون ما يحبه اللــه من توحيده وطاعته فسرلهم بذلك ما ييسره ومقصودهم به نصر الديــن والاحسان الى المحتاجين.

وما تفعله الشياطين يحصل بسبب الشرك والكذب والفجور والمقصود بــه به الاعانة على مثل ذلك والجن فيهم مسلم وكافر ... فالمسلمون منهــم يعاونون الانس المسلمين ... والكفار مع الكفار ...

من كتاب النبوات لابن تيمية ص ٢٥٨ (باختصــار).

فصـــــــل :

فاما وحدانية الروح فان الجسد اذا قام المرض او الادراك بجزء منه مثل سواد العين وادراكه او لمس اليد وبياضـــــه او ذوق الفم ولونه لا يقوم بجزء اخر من الجسد مثل بياض الظفر الذى لا يكون فى الوجه فافهم هذا جدا والروح ليـــس كذلك اذا حل به المرض حل بكلية ذاته واحاط بالـــــذات احاطـة عامة غير خاصة مثل العلم والحياة والنور والظلمـــة والجهل وغيره من الصفات الحسنى والسـوء وجميع الاعـــراض الحالة به لايقوم عرض من الاعراض ببعض الروح دون بعـــض وانما ذكرنا البعض مجازا لان الروح ليس يتبعض خلقه البـارى على هذه الصورة اية له ودليلا عليه وفـــى الحديـــــث " ان اللـــــه خلق آدم علـــى صـــورة الرحمن "(١)

---

(١) رواية خلق آدم على صورة الرحمن ذكرها ابن خزيمة فى كتاب : التوحيـد مسندا عن عطاء بن ابى رباح عن عمر وذكر ابن خزيمة ان الثورى رواه مرسلا عن عطاء ص ٣٨ وذكره البيهقى فى كتاب الاسماء والصفـــات وقال بعد ما اورده : يحتمل ان يكون لفظ الخبر فى الاصل كمـــا روينا فى حديث ابى هريرة (ان الله خلق آدم على صورته ، الاتـى) فاداه بعض الرواة على ما وقع فى قلبه من معناه ص ٢٩١
وقد ذكر ابن جزيمة لهذه الرواية عللا ثلاثا ص ٣٩ كتاب التوحيد .
وقال الذهبى فى ميزان الاعـتدال .. عن هذه الرواية : وله طـــرق اخر قال حرب : سمعت اسحاق بن راهوية يقول : صح عن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ان ادم خلق على صورة الرحمن وقال الكوسج : سمعت احـمد بن حنبل يقول : هذا الحديث صحيح ١٠هـ
ميزان الاعـتدال ج ٢ص ٤٢٠ .

وفي حديث آخـــر " على صورتـــه "(١) ....

---

(١) رواية (ان الله خلق آدم على صـــورته)
ذكرها البخاري في كتاب الاستئذان ج ٨ ص ٦٢ مطابع الشعـــب ، واخرجها مسلم في كتاب البر والصلة الجزء الخامس ص ٤٧٢ الحديث رقم ١١٢ وفـي كتاب الجنة وصفة نعيمها الجزء الخامس ص ٦٩٨ الحديث رقم ٢٦ بالفاظ مختلفـــة .
واخرجه احمد في موضعين ، باب النهي عن ضرب الوجه وتقبيحـــه جـزء ١٩ ص ٣٣٢ رقم الحديث ١٠٨ وفي باب ما جاء في خلق آدم الجـــزء ٢٠ ص ٢٨ رقم الحديث ٨٨ راجع الفتح الرباني بترتيب مسند الامـــام احمد وذكرها ابن خزيمة في كتاب التوحيد واثبات صفات الرب ص ٣٦ .
وللعلماء في عود الضمير في قوله في الحديث :" على صورته " اراء :
فمنهم من يرى عود الضمير على آدم عليه السلام ، كأنه قيل خلـــق آدم على ما عرف من صورته الحسنة وهيئته من الجمال والكمال ، ففـــي بعض الروايات " خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا ... فقولـــه طوله بيان لقول " صورته " وخص الطول لانه لم يكن متعارفا بين النـــاس انظر الفتح الرباني بترتيب مسند احمد ج ١٩ ص ٣٣٢ .
ومنهم من يرى ان للحديث سببا خاصا وهو ان رجلا ضرب غلامـــه فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال ان الله تعالى خلـــق آدم على صورته وتأولوا عود الضمير على المضروب ،
راجع الاملاء في اشكالات الاحياء ـ المطبوع مع كتاب الاحياء ج ٢ ص ٣٨ .
وقال بهذا ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٣٧
ومنهم من يرى عود الضمير على الله عز وجل وهم قسمان :
قسم يرى ان الصورة : صفة ثابته لله عز وجل على نحو الصفات الاخـــرى ويؤيده روايه " على صورة الرحمن " فيثبتونها لـــه تعالى على ما يليـق به سبحانه ومنهم الامام الذهبي حيث قال : اما معنى حديث الصـــورة فنـــرد علمه الى الله ورسوله ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بان اللـه ليس كمثله شيء الميزان ٤٢٠ ج ٢ ، وذهب اليه ابن قتيبه ايضـا =

وكلف هذا الجوهر امرا عظيما الاتصاف (١) باوصاف باريـــــه والتعبد بها والتخلق باخلاقه على قدر طاقته ولا (٢) يكلـــف الله نفسا الا وسعها ولهذه العلة جعله الله خليفة والخليفـــه يدل من المستخلف (٣) كما ورد فى انفس الجواهر واعلـــى الخلفاء : " محمد صلى الله عليه وسلم " " وانك لعلـــى خلق عظـــيم "(٤) •

= قال : نحن نؤمن بالجميع ولا نقول فى شئ منه بكيفية ولا " تأويـــل مختلف الحديث لابن قتيبـــه ٢٢١،

وقسم اخر يرى ان اضافة الصورة الى الرحمن انما هو من اضافة الخـــلق اليه لان الخلق يضاف الى الرحمن اذ الله خلقه وكذلك الصورة تضـــاف الى الرحمن لان الله صورها وهذا ما ذهب اليه ابن خزيمة علـى فرضـه لصحة الرواية " على صورة الرحمن " ولكن الهراس رحمه الله قال فـــى تعليقه على مذهب ابن خزيمة هذا : هذا تأويل بعيد جدا فالصـــورة لا تضاف الى الله كاضافة خلقه اليه لانها وصف قائم به •

انظر كـتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٣٩ ،

وانظر الاحاديث القدسية ج ١ ص ٩٨ـ٩٩ •

(١) فى خ : عظيما اتصاف •

(٢) فى خ : على قدر طاقته (لا يكلـــف الله نفسا •••) البقرة ٢٨٦•

(٣) فى خ : بدل المســـتخلف •

(٤) القلم اية ٤ •

قيل في التفسير (١) على اخلاق الربوبية (٢)

وقالت عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن) (٣)

فهو الجوهر (٤) الكريم في غاية الصفاء والنور والنفاسة والشرف والجلاله او ضد ذلك او ما بينهما ، واوصاف هذا الجوهر خلعة عليه من وجود (٥) الالة الجواد الكامل المجيب الذى لا يقبل من احد بل هو البعيد النزيه عن القبول من شيء ، وكلف هذا الجوهر من الافعال وضع الاشياء مواضعها على حسب ما يقتضيه امر الامر السيد الكريم ولذلك قال :

" من يطع الرسول فقد اطاع الله ... " (٦)

" ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله .. " (٧)

---

(١) في خ : ورد في التفسير.

(٢) لم اجد فيما تتبعت من التفاسير المشهورة احدا قال بهذا التفسير يقول ابن تيمية :

(... فان الخلق ما صار عادة للنفس وسجية ، قال تعالى : " وانك لعلى خلق عظيم "

قال ابن عباس وابن عيينه واحمد بن حنبل رضي الله عنهم : على دين عظيم وفي لفظ عن ابن عباس : على دين الاسلام ، وكذلك قالت عائشة رضي الله عنها : " كان خلقه القرآن " وكذلك قال الحسن البصري : ادب القران هو الخلق العظيم. راجع مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٠ ص ١٢٧، وانظر الاحياء للغزالي ج ٣ ص ٥٢ ـ ٥٥.

(٣) من حديث رواه مسلم وفيه " .. فقلت يا ام المؤمنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القران قلت بلى قالت فان خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن ..

صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٣٩٦ الحديث رقم ١٣٣ واخرجه ابو داود في سننه ج ٢ ص ٤٠ رقم الحديث ١٣٤٢ ، واخرجه الامام احمد في مسنده ، الفتح الرباني ج ٢١ ص ١٧ رقم الحديث، ٦٥٠

(٤) في خ ، أ ، ت : فهذا الجوهر وهو اصح .

(٥) في خ ، ت : من جود وهو الانسب والاصح .

(٦) النساء الاية ٨٠ (٧) الفتح الاية ١٠.

لانه جعله بدلا منه فكأنه في مجاز القول (١) هـــو :

---

(١) الظاهر من استشهاد المؤلف بهاتين الايتين بعد قوله : (وكلف .. من الافعال وضع الاشياء مواضعها ما يقتضية امر الامر) انه يريد المعنى السليم الذى يقول به السلف وهو : انك انت يا محمد رسول الله ومبلغ امره ونهيه فمن بايعك فقد بايع الله ومن اطاعك فقد اطاع الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من اطاعنى فقد اطاع الله ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصى اميرى فقد عصانى "

ولكن المؤلف قد خالف هذا المعنى بقوله في وجهة استدلاله بالايتين :

" لانه جعله بدلا منه فكانه في مجاز القول هو : " كنت سمعه وبصره . " ومن هذه العبارة للمؤلف نرى تأثره بالقول بوحدة الوجود التى قال بها ابن عربى وابن الفارض فانهم يستدلون بمثل هذه الادلة التى اوردها المؤلف ويؤلون معناها بما يتناسب مع مذهبهم من ان الله ـ سبحانه ـ عين خلقه ويحور ربا ، ومما يقوى الظن بهذا التاثر للمؤلف بوحدة الوجود تاويله لمعنى الخليفه حيث صرح بان الله تعالى جعل ادم خليفه له وبدلا منه ، وهذا القول لم يقل به احد من السلف : يقول ابن تيمية :

" وقد ظن بعض القائلين الغالطين ـ كابن عربى ـ ان الخليفة عن الله مثل نائب الله وزعموا ان هذا بمعنى ان يكون الانسان مستخلفا وربما فسروا تعليم آدم الاسماء كلها التى جمع معانيها الانسان ويفسرون خلق آدم على صورته بهذا المعنى ايضا وقد اخذوا من الفلاسفة قولهم " الانسان هو العالم الصغير " وهذا قريب وضموا اليه ان الله هو العالم الكبير بناء على اصلهم الكفرى في وحده الوجود وان الله هو عين وجود المخلوقات ، فالانسان من بين المظاهر هو الخلية الجامع للاسماء والصفات ، والله لا يجوز له خليفة ولهذا لما قالوا لابى بكر : يا خليفة الله قال لست بخليفة الله ولكنى خليفة رسول الله صلى الله =

" كنت سمعه وبصره ويده ورجله ٠٠"(١) ومثل هذا كثير ، ومن فهم سر الروح فهم حقيقة سر المحبة والمعرفة (٢) ان شاء الله ٠٠

= عليه وسلم حسبي ذلك بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في اهلنا ٠ والخليفة انما يكون عند عدم المستخلف بموت او غيبة ويكون لحاجة المستخلف الى الاستخلاف ٠٠٠ وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى وهو منزه عنها فانه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب ولا يجوز ان يكون احد خلفا منه ولا يقوم مقامه لانه لا سمي له ولا كفء له فمن جعل له خليفة فهو مشرك به "

راجع مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ٣٥ ص ٤٤ ،

وانظر ابطال وحدة الوجود لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل ج ١ ص ٩٧ ،

وانظر مصرع التصوف للبقاعي ص ٨٣ ،

وانظر المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٥٥ وجامع البيان ج ١ ص ١٥٦

(١) هذا جزء من حديث الولي وتكرر ايراد المؤلف له في عدة مواضع :

اخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع عن ابي هريرة جزء ٨ ص ١٣١ مطابع الشعب ،

واخرجه احمد في مسنده ج ١ ص ٢٥٦ وابن ماجه في كتاب الفتن رقم ٣٩٨٩ وليس فيهما : كنت سمعه وبصره ٠٠ ويقول د / ابراهيم في تخريجه لهذا الحديث في كتابه ولاية الله والطريق اليها :

" وقد خرجه السيوطي من عدة طرق فقال فيها : كل رجال اسانيد هذه الطرق قد جازوا القبول الا (خالد بن مخلد) في رواية الذهبي في الميزان فان الذهبي لم يقبله منه الا لمجيئه من طريق البخاري ، والا عبد الواحد في رواية احمد بن حنبل فقد اختلف فيه وثقه البعض وضعفه البعض ٠٠٠ " ولايه الله والطريق اليها ص ٢١٩،

وقال د / عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي في تخريجهما الاحاديث اللمع للطوسي هو حديث قدسي رواه البخاري عن ابي هريرة واحمد عن عائشة والطبراني في الكبير عن ابي امامه وابن السني عن ميمون وقد اخطأ من زعم ان البخاري انفرد بروايته ص ٥٦٥ رقم الحديث ٣٠، وانظر تخريجة ايضا في فتح الباري ج ١١ ص ٣٤١ ٠

(٢) في خ : ومن فهم سر الروح فهم سر المحبة ان شاء الله ٠

فأما اصل حقيقة (١) الروح فمن الامر :

اختلف الناس في معرفة الارواح (٢) :

فقالت طائفة : الروح لا يعلم اصلا واحتجوا بقول الله تعالى :

(.. قل الروح من امر ربي ..) (٣)

ومن يطلق هذا القول من العلماء انما عنى (انه) (٤) لا يعرف ولا يحاط بمقداره ولان الله تعالى قد جعله اثرا من اشاره واية عليه من اياته.

واما انكار معرفته اصلا من كل الوجوه فذلك جهل عظيم من قائله (٥) ، فان اول درجة في المعرفة بالشيء اثبات (٦)

---

(١) في : ظ ، خ ، ت : اصل خلقة .

(٢) قال الشوكاني في تفسيره بعد تفسيره لقوله تعالى (.. قل الروح من امر ربي) : " وفي هذه الاية ما يزجر الخائضين في شأن الروح المتكلفين لبيان ماهيته وايضاح حقيقته ابلغ زجر ويرد عيهم اعظم ردع وقد اطالوا المقال في هذا البحث بما لا يتم له المقام وغالبه بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في دين ولا دنيا وقد حكى بعض المحققين ان اقوال المختلفين في الروح بلغت الى ثمانية عشر مائة قول . فانظر الى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد ان علموا ان الله سبحانه قد استاثر بعلمه ولم يطلع عليه انبياءه ولا اذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته فضلا عن اممهم المقتدين بهم فيا لله العجب حيث تبلغ اقوال اهل الفضول الى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما اذن الله بالكلام فيه ولم يستأثر بعلمه . فتح القدير ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٣) الاسراء اية ٨٥ .

(٤) الزيادة من : خ .

(٥) في : ت . ممن قاله

(٦) في خ : اثبات ذلك الشيء .

وجود ذلك الشيء والاقرار بأنه موجود فاذا عرف الــــــروح
انه (١) موجود وثبت بالضرورة النظرية العقليـــة فقد علـــم
وجوده وان كان لا (٢) يحاط به فهو آية وجوده.
وورد (٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم :
" من عرف نفسه عرف ربه واعرفكم بنفسه اعرفكم بربــــه " (٤)
فقد اطلق النبي عليه السلام القول بمعرفته (٥)
والروح لا يقـــدر احد على انكاره لظهور دلائله واثاره.

---

(١) في ت : بأنه موجـــود.
(٢) في ظ ، ت : وان كان يحاط به بنقص " لا " وهو خطأ.
(٣) في غ : ورد وفي ت : وقد ورد.
(٤) تقدم الكلام عن هذا الاثر ص٤٧
(٥) في ت : القول بمعرفة الروح والروح لا يقدر ...

فصـــــــل :

اعلم ان الله جل جلاله جعل معرفته اعسر المعارف (١) لانـــه لا مثل له وقد فرض الله على الخلق معرفة ذاته (٢) واسمائـــه وصفاته ، ومدح العارفين به وذم الجاهلين به والمنكرين لـــه فمعرفته سبحانه اثبات وجودة وتقديسه وتنزيهه عما لا يليق بـــه ووصفه على ما هو عليه وما(٣) وصف به نفسه .

وامر بالبحث والنظر والاستدلال عليه فهو معروف وان لم يكيـــف ولا يحاط به فكذلك اكسب الروح معنى "ما" (٤) مـــــن هـــذه المعرفة لـــيستدل به عليـــه لانه اقرب الموجـــودات اليه (٥) فافهـــم .

---

(١) في ظ : ... ان الله جل جلالـــه معرفته اعـــز من كل المعارف .
وفي ت : .. ان الله جل جلالـــه معرفته اعسر من كل المعارف .

(٢) سيأتي حديث " تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله " ، وبعض كلام العلماء عن معناه ص ١٨٥ .

(٣) في خ : وما وصـــف .

(٤) زيادة " ما " من : ت .

(٥) في خ : لأنـــه اقرب المـــوجودات اليه وأدلهم عليه فافهم .

فصـــــل :

فاما من احتج بالاية (قل الروح من امر ربى) على انــــه لا يعلم فان الاية حجة عليه فان الجواب بقوله : قل الروح من امر ربى على حسب السؤال عن الروح بقولهم ما الروح (١) وذلـك ان المطالب المسئول بها عن المعلومات اربعة : هل ، ومــا ، وكيف ، ولم . فاما هل فيسأل بها عن حقيقة الشيء ووجــوده هل هو موجود او معدوم فيقال : نعــم اولا . وسؤالهــــم عن الروح لم يكن من هذا المطلب لانهم كانوا مقريــــن (٢) بوجوده عارفين بانه موجود .

وأما المطلب الثاني الذى هو "ما" فهو بحث عن جوهريـــة الشي وطبيعته ومــا هو ومن اى جنس هو وقــد يجعل اى بــدل من كيف فى السؤال (٣) لانها بدل منها وهما بمعــــنى واحــد .

واما المطلب الثالث الذى هو كيف فانها بحث عن احوال الشيء وخواصه) ولواحقه اللازمة له على اى صفة حال منها (٤) هو .

واما المطلب الرابع الذى هو لم فانه بحث عن علة الشـــيء التمامية (٥) الموجبة لكونه على ما هو عليه اى لم كان هكــذا

---

(١) فى هامش أ تعليق قال فيه : (قوله قل الروح من امر ربى فاشار به الـــى ان معرفة حقيقته متعذرة يعنى علم الروح من علم ربى لا يعلمه غيره .) اهـ .

(٢) فى : مقرين بانه موجود .

(٣) كذا وردت وهو خطأ ، والصواب وقد يجعل "اى" بدل من "مـا" .

(٤) فى : خ : على اى صفة وحال منها .

(٥) فى : خ . التمامية له ..

ولم يكن على كذا وكذا وسؤالهم في الاية عن الروح انما كان عن مطلب "ما" اى ما هو الروح ومن اى شيء هو فلذلك كان الجواب عن حقيقة المسئول عنه وما هو يدل عليه من الاية حرف الجر في قوله : " من امر ربى) ومصداق ذلك ما ثبت في الصحيح من الحديث (١) عن عبد الله بن مسعود قال " بينما انا امشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال رجل منهم يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه فلما انجلى عنه قال (٢) : (ويسئلونك عن الروح (قل الروح من امر ربى ..)الاية (٣)

فقد تبين ان سؤالهم انما كان ب "ما " فاجابهم ب " من " في قوله : " ... الروح من امر ربى " ولم يسألوه عن وجوده فيقول نعم اولا (ولا يسالوه عن احواله ب " كيف " ولا عن صفاته الخاصة به اولا ..) (٤) كيف هو كالاجسام او هو على

---

(١) في خ من حديث .

(٢) رواه البخارى ج ١ ص ٤٣ باب العلم / ج ٦ ص ١٠٩ تفسير سورة الاسراء ، ج ٩ ص ١١٩ وص ١٢٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة مطابع الشعب . ورواه مسلم ج ٥ ص ٦٦١ بشرح النووى مطابع الشعب والترمذى واحمد في المسند (جامع الاصول ج ٦ ص ٢١٧) .

(٣) سورة الاسراء ٨٥ وذكر قوله تعالى (قل الروح من امر ربى) من خ ، وروايات الحديث ذكرت تمام الاية : (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) .

(٤) ما بين القوسين من خ ومكان النقط كلمة (اهو كالاجسام) حذفتها من الصلب ليستقيم النص .

صفة كذا وكذا ، ولو كان لاجابهم (١) بانه على صفة كذا وكذا كما اجاب عن ربه حين سألوه (٢) عنه فنزلت (قل هو الله احد .. "٣") (٤) ..

ولو كان سؤلهم ايضا عن علة كونه على ما هو عليه دون ان يكون على غيرها لاجابهم بانه كان على حالة كذا وكذا لاجل كذا وكذا .

وحرف الجر يدل على انه لم يكن سؤالهم عن المطالب الثلاثة وانما سألو " ب " ما " فكان الجواب عن حقيقة ما سألوه عنه اي : ما هو وما هو فقال :

قل الروح من امر ربي وهو تفسير للسؤال الاول عن الروح فأجاب بهذا الجواب (⁽⁵⁾و ما ورد في بعض الاخبار ان اليهود قالت : سلوه عن الروح فان اجابكم فليس بنبي تمسني

---

(١) في خ : ولو كان اجابهم .

(٢) في خ : حين سئل وهو اصح اذ ورد ان السورة نزلت جوابا السؤال من المشركين .

(٣) في خ : قل هو الله احد الى اخرها .

(٤) أورد ابن جرير الطبري ... عن سعيد قال : اتى رهط من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه وقال اخفض عليك جناحك يا محمد وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه قال يقول الله قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فلما تلا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا صف لنا ربك كيف خلقه وكيف عضده وكيف ذراعه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم اشد غضبه الاول وساورهم غضبا فاتاه جبريل فقال له مثل مقالته واتاه بجواب ما سألوه عنه : وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون .
جامع البيان في تفسير القرآن محمد بن جرير الطبري ج ٣٠ ص ٢٢١ .

(٥) ما بين القوسين من خ ولم يذكر في بقية النسخ .

رسول الله فهذا الخبر ان صح (١) فمعناه ان اجابكم فيه برايه دون ان يوحى اليه فيه لان الروح لا يستغنى فى معرفته عن تعريف الله عز وجل لانه من عالم الغيب والامر وقد سئل فاجاب عن ربه كما تقدم فى الحديث الصحيح) وليس بعد بيان الله عز وجل بيان فى هذا الجواب .

وقالت طائفة الروح هو الدم وتسمية الروح دما مجاز وانما هو (٢) سبب من اسباب الحياة فى بعض الحيوان ، ومن الحيوان من (٣) ليس له دم ويوصف بالروح ، والملئكة الروحانيون لا دم لهم .

---

(١) اخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قالت قريش لليهود اعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا : سلوه عن الروح فسألوه عن الروح فأنزل الله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا) .. الحديث .
وقال الترمذى حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه واخرجه احمد فى المسند راجع جامع الاصول فى احاديث الرسول ج ٢ ص ٢١٨ ولم يذكر فى هذه الرواية قول اليهود (فان اجابكم فليس بنبى ..) ولكن ورد ذلك فى رواية اخرى طويله ذكرها الخازن والبغوى فى تفسيريهما عن ابن عباس وفيه ... فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة اشياء فان اجاب عن كلها اولم يجب عن شئ منها فليس بنبى وان اجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبى فسلوه عن فتيه فقدوا فى الزمن الاول ما كان عن امرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض وغربها ما خبره وعن الروح ... الحديث .
راجع تفسير الخازن ، وبهامشه تفسير البغوى ج ٤ ط ٢ ص ١٨١ .
(٢) فى خ : وانما الدم سبب .
(٣) فى خ : ما ليس .

وقالت طائفة : الروح هو النفس الداخل والخارج وهذا ايضا مجاز وانما اطلقوه لما راوه لا يستغنى عنه ، وانما التنفس سبب من اسباب الحياة وقد يوجد من الحيوان مالا (١) يتنفس واذا تنفس مات كالحوت وما اشبهه .

وقالت طائفة : الروح هو(٢) الحياة وهذا القول ايضا انما وصف صفة (٣) من صفات الروح لا ذاته لان الحياة عرض من الاعراض ، وقد (٤) صح وثبت ان الارواح تقبض وتتوفى وتموت وتعذب وتنعم ، وهذه صفة الجواهر والذوات لا صفات الاعراض .

وقالت طائفة : الروح جسم لطيف وهذا القول اقرب الاقوال الى الحق لان وصفهم له باللطافة يدل انه (٥) ليس كالاجسام الكثيفة .

وقالت طائفة : الروح لطيفة مودعة فى الاشباح وهذا القول يشارك الذى قبله فى اللطافة ، وهو قول حسن متحذر (٦) قائله من كثافة الجسم .

---

(١) فى خ : من لا يتنفس .
(٢) فى ت : هى الحياة .
(٣) فى خ : انما ذكر صفة .
(٤) فى خ : فقد صح .
(٥) فى ت ، خ : يدل على انه .
(٦) فى بقية النسخ : متحرز .

وقالت طائفة : الروح جوهر روحانى منبسط ، وهذا القـــول قريب من القولين اللذين قبله ، وهذا القول اعدل الاقـــوال لانه قال فيه : جوهر روحانى بسيط اى جوهرية ذاته روحانيـــة منبسطة ، والروحانى فى اللغة الذى (١) نزل القران بهـــا : من خلقه الله روحا بلا جسد ، ويقال روح الرجل روحـــا اذا كان احد قدميه (٢) منبسطا ويقال ايضا قصعة روحـــاء قريبة القعر اى منبسطة متوسمة هذا يدل على بسط الـــروح فانه (٣) ليس كالجسم الكثيف والا فلاى شئ انفرد بتسميتـــه الروح من الاجساد وانفر الجسم عنه باسمه دون الروحانية .

وقالت طائفة : الارواح نور من نور الله عز وجل وحياة من حياته . وهذا قول صواب حسن واراد قائله انه نور من انواره المحدثة عن (٤) معنى اسمه النور القديم وحياة محدثه عن معنى حياتـه

---

(١) فى ظ : اللغة التى وفى : خ : اللغة العربية التى نـــزل القـــرآن بلسانهـــا .

(٢) فى : أ : اذ كان بطن وفى : ظ : باطن وفى خ : اذا صدر احـــد قدميه . وقـــال الليث :
الأروح الذى فى صدر قدمية انبســـاط ... راجع تهذيب اللغـــة للازهرى ج ٥ ص ٢٢٦ .

(٣) فى : خ : وانه ليس وهو اصح .

(٤) فى ت : على معنى .

القديمة وهو (١) مثل قول ذى النون (٢) : الروح شعاع الحقيقه على اضافة الملك .

(وقال قوم روح القدس من ذات الله ، وهذا القول ايضا على اضافة الملك (٣) اى ذات روح القدس المحدثه من معانى ذاته القدوس (٤) القديمة .

وقالت طائفة : الروح امر من امر الله غير مخلوق ، وانما اراد بهذا القول : روح الوحي والقرآن وهو اولى باسم الروح لان به حييت الارواح والوجود كله .

قال الله تعالى :

" وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا .. "(٥) .

---

(١) في خ : وهذا مثل .

(٢) ذو النون هو : ثوبان بن ابراهيم يقال كنيته ابو الفيض او ابو الفياض احد الزهاد العباد المشهورين من اهل مصر نوبي اصله من النوبه كانت له فصاحة وحكم وشعر ، كان من اول من تكلم بمصر في ترتيب الاحوال وفي مقامات الاولياء فانكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم - وكان رئيس مصر - وهجره علماء مصر لما شاع خبره انه احدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقه .
قال الدارقطني : روى عن مالك احاديث فيها نظر . ومات في مصر سنة خمس واربعين ومائتين ، الاعلام للزركلي ج ٢ ص ٨٨ ، ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٣٣ ترجمة ٢٧٠١ ، حلية الاولياء ج ٩ ص ٣٣١ ترجمة ٤٥٦ ، تلبيس ابليس ص ١٦٦ الرسالة القشيرية ج ١ ص ٦٧ .

(٣) ما بين القوسين سقط من ط .

(٤) في خ : القدس .

(٥) الشورى اية ٥٢ .

فصـــــــــل :

الامر هو الروح والروح هو الامر وهو على ضربين : قديـــــم ومحدث فالقديم كلام الله وصفته ، والمحدث ارواح الموجودات التي حدثت عن معنى امره وروح الوحي القديم كما اوجـــــد عن معنى اسمه العليم العلوم كلهـــا وعن معنى اسمه المؤمـــــن ايمان العالمين اجمعين فكذلك في جميع الاسماء والصفـــــات وهذا اصل عظيم يزيل الاشكال كله ، واما من اعتقد فـــــي صفات الخلق وارواحهم انها غير مخلوقة فقد ضل ضلالا بعيدا ، وهو من اهل الجهل وليس من اهل العلم في شيء ، قـــــال الله عز وجل :

" ... انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاهـــا الى مريم وروح منه ... "(١) وقال فيه :

" ... ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا "(٢)

فهو امر من امر الله (٣) وروح منه كما قال (تعالى) :

" ... قل الروح من امر ربي ... "(٤).

" ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ... "(الاية

فمن اطلق من العلماء الموثوق بهم على الروح انه ليس بمخلوق فانما اراد (به)(٥) القديم وامر الله القديم ووحيه وهو روح الوجود بالحقيقة وحياته.

---

(١) سورة النساء اية ١٧١.

(٢) سورة مريم الايـــة ٢١.

(٣) في خ : فهو امر من الله.

(٤) الاســـــراء اية ٨٥.

(٥) الزيادة من ظ.

ومن اطلق عليه الخلق فانما اراد ارواح الموجودات وجواهر ذواتهم الباطنة وكذلك من اطلق منهم على الايمان انه ليس بمخلوق انما يعني صفة المؤمن العلي جل جلاله وايمانه الذي يصدق به نفسه (وافعاله) (١)

ومن اطلق على الايمان الخلق فانما يعني ايمان الخليقة الموجود في البواطن (٢) والقلوب والحلول دخول في الشيء (٣) وصفة الجليل جل جلاله لا تحل ابدا في شيء ، ومن اجل جهل (فهم) (٤) الدخول واجل (٥) الحلول بهذه المعاني وقفوا فيما وقعوا فيه من التكفر (٦) والضلال .

---

(١) ما بين القوسين في هامش ع . وفي ظ " نفسه رسله ". وفي ت " نفسه واله وهو خطأ .

(٢) في ت : الموجود في المواطن وهو خطأ .

(٣) في ظ ، ت (والدخول حلول في الشيء وهو خطأ .

(٤) الزيادة من خ

(٥) في خ : واصل بدل من اجل .

(٦) في ظ . ت ، خ : من الكفر . . وهو الأصح .

فصـــــــل :

===========

فالارواح كلها مخلوقة امر من امر الله بان الله منها وبانـــت منه ، وهى غير متناسبة ولا متناسخة ولا تخرج من جسم وتبحث(١) فى غيره ، تذوق الموت وتتنعم بتنعم البدن وتـــعذب بعـــذابه ، هذا هو الشرع(٢) الذى جاءت به الكتب ونطقـــت به الرسل وما سواه باطل فالروح امر من امر الله كما قال اللـــه عز وجل :

" ... قل الروح من امر ربـــى ... "(٣)

وهو تفسير (للسؤال الاول عن الروح فاجاب ابهذا الجواب)(٤)

---

(١) فى خ : فلا تـــخرج من جسم وتنبـعث .

(٢) يقول ابن تيمية وابن القيم : بل العذاب والنعـــيم على النفس والبدن جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة تنعـم النفس وتعذب منفرده عـــن البدن وتنعـــم وتعذب متصلة بالبـــدن والبدن متصل بها فيكـــون النعـــيم والعذاب عليهما فى هذه الحال مجتمعين كما تكون علـــى الروح منفردة عن البدن ، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بـــدون الروح ؟ هذا فيه قولان مشهوران لاهل الحـــديث والسنـــة واهـــل الكـــلام ...

الروح لابن القيم ص ٥١ ط ١٣٩٥ هـ .

(٣) سورة الاسراء اية ٨٥ .

(٤) الزيادة من : خ .

على حسب ما سيسئل عنه وليس بعد بيان الله في هذا الجواب بيان (١)

والامر هو "كن" الصادر عن الارادة والقول القايم بالنفس كما قال (تعالى)

" انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن .. "

اى كن على صورة ما اردت منك ان تكون "على صورتها" بلا تأخير فالروح (٢) اراد منه ان يكون على هذه الصورة فهو كلمة الله (٣) تعالى :

---

(١) بعد ان اورد المؤلف فيما سبق بعض الاقوال في الروح اورد هنا القول الذي يتفق مع مذهبه حيث يرى ان حقيقتها وما هيتها امر اختص الله بعلمه ولذلك فهو يقتصر في تعريفه لها على ذكر خواصها التي تختص بها وتميزها ومذهبه هذا هو عين ما ذكره الطوسي في كتابه اللمع ص ٤٥٥ وهو يوافق ما يعتقده الجمهور من انها محدثة مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبرة وانظر الروح لابن القيم ص ٢٤٢ .

(٢) في خ : والروح .

(٣) لا يتمشى قول المؤلف هنا من ان الروح هو كلمة الله مع ما ذهب اليه من ان الروح مخلوق . والصواب ما ذكره ابن القيم رحمه الله حيث قال :
" ... واما قوله تعالى " قل الروح من امر ربي " فمعلوم قطعا انه ليس المراد هاهنا بالامر الطلب الذي هو احد انواع الكلام فيكون المراد ان الروح كلامه الذي يامر به وانما المراد بالامر هاهنا المأمور وهو عرف مستعمل في لغة العرب وفي القران منه كثير كقوله تعالى : " اتى امر الله " اى مأموره الذي قدره وقضاه وقال له كن فيكون وكذلك قوله تعالى : " فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك) اى مأموره الذي امر به من اهلاكهم ...
راجع الروح لابن القيم ص ٢٠٢ ط ١ / ١٤٠٢ .

" .. وكلمته القاها الى مريم وروح منه ... "(١)

" ان مثل عيسى ... " الى قوله (كن)(٢)

فاذا فهمت سر الروح وما هية خلقته اشرفت على سر القدر العام لجميع الخلائق كائنا ما كانوا (٣) ، وكيف تنفخ الروح في المخلوقات عند استعدادها لقبول الارواح بالسعادة او بالشقاوة وما بين ذلك واجله ورزقه وصناعته وجميع ما يكون من كل من[٤] يمشى على بطنه او على اربع او على رجلين او ملك او شيطان او من وصف بصفة . كل قد قبل من وجود الله ما يليق به ولا يجوز ان تقبل اكثر من (ذلك)(٥) الذى قبل لان ذلك القبول في حقه هو الكمال ، وان كان انقص من غيره لانه يقوم فى مقامه قياما (٦) لا يقوم فيه غيره ممن هو فوقه او دونه لتكمل حكمة الله فى خليقته " التى هى فى نهاية الحكمة وفى غاية الجمال والقدر سر الله فى خليقته " (٧)والله احسن كل شيء خلقه . واذا فهمت ايضا سر الروح اشرفت

---

(١) سورة النساء آية ١٧١ .

(٢) ال عمران ٥٩ وفى خ ، ت : ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم .."
الى قوله كن .

(٣) فى أ ، ت : كائنا ما كان .

(٤) فى ظ ، ت : من كل ما يمشى وهو الاصح .

(٥) الزيادة من ظ .

(٦) فى ظ : فى مقامه مقاما .

(٧) ما بين القوسين سقط من خ .

على معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" من عرف نفسه عرف ربه "

وقد قال الله تعالى :

" وفي انفسكم افلا تبصرون " (١)

فهمنا الله واياك (٢) الفهم المقرب منه الموصل اليه انـــــــه

على كل شيء قدير (وصلى الله علـــى محمد واله) (٣)

---

(١) الذاريات اية ٢١ .

(٢) في خ : واياكم .

(٣) ما بين القوسين سقط من خ .

فصـــــل :

قال الله عز وجل :

" فاذا سويته ونفخت فيه من روحـــى .. "(١)

وقـــال :

" ثم سواه ونفخ فيه من روحه "(٢)

فبعد التسوية كان النفخ وذلك عند اعتدال خلقة الجســد واستوائه تجلت اليه (٣) صورة الروح المنفوخ فيه كما يتجلــى شعاع الشمس من وجود الشمس على جميع العالم فيستنير بهـــا ظاهر وجود العالم كله اعنى العالم الظاهر (٤) وتنتشــــر الحركات فى جميعها فتجلى (٥) شعاع الشمس فيه اعنى العالم فلو قدرت ان تكون الارض كلها مصقولة فى صفاء المرآة لظهرت صورة الشمس فى جميع الارض كما تظهر فى المرآة وكما تظهـــر فى وجود البحر والماء الذى هو اصفى من الارض وجـــودا واشد صقالا وهكذا لو قدرت جميع اجزاء الموجودات فى غايـــة الصفاء والصقال لتجلت اشعة الشمس فى كل جزء منها (٦) صورة كاملة ، وبهذا المعنى ظهرت جميع الاشياء الظاهـــرة للابصار

---

(١) سورة الحجـــر اية ٢٩ وفى ت " ... فقعـــوا له ساجدين "

(٢) سورة السجدة اية ٩ .

(٣) فى ظ ، ت : تجلت له .

(٤) فى خ : الظاهر المنتشر وتنتشر ...

(٥) فى ت : (فتستنير الحركات فى جميعها بتجلى شعاع الشمس) .. وهـــى اوضح من لفظ النسخ الاخرى .

(٦) فى خ : فى كل منها .

فالذى (١) يرى على وجود الاشياء انما هو نور الشمس المتجلى منها • واعلم انه ليس لهذا الشعاع المذكور المتجلى (٢) على وجود الاشياء وجود بذاته بل اصل وجوده مستمد من وجود الشمس على الدوام مع كل نفس وطرفة (عين) (٣) وفيضات التجلى دائمة مستمرة بدوام وجود الشمس ومما ينبغى ان يفهم ان تجلى الشعاع المذكور ليس هو بمعنى انفصال النور من نور الشمس كانفصال جزء (من جزء حتى يقال انه زال عن قرص الشمس جزء) (٤) من نورها ثم تجلى فى هذا العالم ليس الامر كذلك انما هو بمعنى انه حدث عن طلوع الشمس فى هذا العالم ذلك الشعاع المذكور وقرص الشمس لم يتغير عن حاله ولم ينفصل منه شىء (وانما) (٥) وجود الشمس سبب لحدوث الشعاع مع الدوام والشعاع مناسب للنور الذى فى قرص الشمس نسبة نورانية لكنه ليس مثله والشعاع ينظر اليه ويتبين صورته على الموجودات ووجود الشمس لا يقدر احد ان يتبينه الا الخطرة او اللحظة مع بعدها عن الابصار وامتزاج العالم بظلمات الاجسام فتعلق الارواح (٦) بالاجساد كتعلق الشعاع بالموجودات•

---

(١) فى ظ ، ت : والذى •
(٢) فى ت : المتجلى منها على •••
(٣) الزيادة من خ •
(٤) ما بين القوسين سقط من ت•
(٥) فى ع : واما وهو خطأ •
(٦) فى أ ، ظ : فتعلق الروح •

قال ابن عطاء (١) وغيره من المشايخ ٠

الروح شعاع الحقيقة ٠ فبالارواح استتار الجسد (وظهرت الحركات والحياة ٠

وقال ذو النـــون :

بـنية الانسان رائية)(٢) كل (شيء)(٣) رؤية (الحقيقة)(٤) ٠

الى قوله : لانها منبسطة على الاشياء كانبساط نور الشمس علـــى كل شيء ٠

والشعاع قد (ملأ)(٥) وجود العالم كله بل وجود الـــروح

---

(١) ابن عطاء اشتهر بهذه الكنية وهو :

ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطاء البغدادي ٠ وفي صفـــة الصفوة : " الادمي " من علماء الصوفية قال في الحلية : كان كثير الحديث اهـ اسند عن يوسف بن موسى القطان والفضل بن زياد صاحب احمد بـــن حنبل ومن في طبقتهما ، توفي سنة ٣٠٩ هـ وفي اللمع للطوسي ورد : انه نسب الى الكفر والزندقة فرفع امره الى السلطان فدعاه وهو الوزيـــر علي بن عيسى فجفا عليه في الكلام فقال له ابن عطاء ارفق يا رجـــل فغضب عليه فأمر حتى نزعو خفه وصفعوه به وكان ذلك سبب موته ٠ وورد في تلبيس ابليس لابن الجوزي رواية اخرى عن سبب قتله وهو : انه سئـــل الحلاج فقيل له : كنت تدعي النبوه فصرت تدعي الربوبية فقال ما ادعـــى الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب الا الله تعالى واليد فيـــه اله فقيل له هل معك احد فقال نعم ابن عطاء وابو محمد الجريري وابـــو بكر الشبلي ٠٠٠ فسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكـــان سبب قتله ٠

راجـــع : الحلية ج ١٠ ص ٣٠٢ صفة الصفوة ج ٢ ص ٤٤٤ اللمع للطوســـي ص ٥٠٠ تلبيس ابليس ص ١٧١ الرسالة القيشرية ج ١ ص ١٦٨ ٠

(٢) ما بين القوسين سقط من خ ٠

(٣) هكذا ذكرت في ظ اما بقية النسخ : (كل مسمى)

(٤) هكذا ذكرت في ظ ، خ ، اما بقية النسخ : (للحقيقة) ٠ وهو الأصح ٠

(٥) في ع : قد ملك والصواب " قد ملأ " كما في بقية النسخ ٠

أغرب من وجود الشعاع لكن فى الامثلة تنبيه للعقول ، فالروح بينه وبين باريه مناسبه من جهة النورية المذكورة فليس له حياة الا بتجلى الحق سبحانه له على الدوام واعلم ان البارى سبحانه متجلى ظاهرا ابدا لا يوصف بالغيبوية والافول تعالى عن ذلك ، وانما الاشياء هى التى حجبت بعضها بعضا بالسفلات والظلمات ولو قدرت غيوب (١) الشمس ولم يكن لها ظهور بشعاعها على الموجودات والكواكب والافلاك لا نطمست الاشياء ولم يظهر وجودها ، كذلك لو قدرت غيبة البارى سبحانه لم يظهر شئ دونه ولا كان للاشياء وجود البتة بحال ، فبالحقيقة ليس الظاهر على الاشياء الا نور الشمس الذى هو الشعاع ولولا وجود قرص الشمس لم يكن للشعاع وجود فبالحقيقة انما ظهرت الاشياء بظهور قرص الشمس فالشمس هى الظاهرة المرئية وكذلك بالحقيقة ليس الظاهر الا الله وحده :

" الا كل شئ ماخلا اللهَ باطل .. "(٢)

---

(١) فى خ : مغيب.

(٢) هذا صدر بيت للبيد بن ابى ربيعة العامرى الصحابى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن اسلامه.
ورد عن ابى هريرة رضى الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : الا كل شئ ما خلا الله باطل
اخرجة البخارى ج ٥ ص ٥٣ ، وج ٨ ص ٤٣ باب ما يجوز من الشعر
ورواه مسلم فى كتاب الشعر بشرح النووى ج ٥ ص ١١١ دار الشعب
والترمذى فى كتاب الادب بلفظ : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ..
باب ما جاء فى انشاد الشعر رقم الحديث ٢٨٤٩
ورواه ابن ماجه فى كتاب الادب باب الشعر رقم الحديث ٣٧٥٧ ==

....

= واحمد في المسند ٢٤٨/٢ .

وقد تناول ابن تيمية رحمه الله تعالى هذا الحديث بالتبين لمعناه في رده على اهل الحلول والاتحاد الذين فسروا الباطل بانه المعدوم فكل ما سوى الله معدوم والموجود ليس بمعدوم فجعلوا كل موجود هو عين الله

قال ابن تيمية بعد كلام له عن معنى الباطل " في هذا الحديث وغيره : وقد غلط طائفة من الناس من الاتحادية وغيرهم كابن عربي فرأوا ان الحق هو الموجود فكل موجود حق فقالوا ما في العالم باطل اذ ليس في العالم عدم قالوا : والكفر انما هو عدم وجود الشريك مثلا .. ثم قال : وانما اتوا من جهة اللفظ المجمل فان الشيء له مرتبتان مرتبة باعتبار ذاته فهو اما موجود فيكون حقا واما معدوم فيكون باطلا ومرتبة باعتبار وجوده في الاذهان واللسان والبنان وهو العلم والقول والكتاب فالاعتقاد والخبر والكتابة امور تابعة للشيء فان كانت مطابقة موافقة كانت حقا والا كانت باطلا فاذا اخبرنا عن الحق الموجود انه حق موجود وعن الباطل المعدوم انه باطل معدوم كان الخبر والاعتقاد حقا وان كان بالعكس كان باطلا وان كان الخبر والاعتقاد امرا موجودا فكونه حقا او باطلا باعتبار حقيقة المخبر عنها لا باعتبار نفسه ، ولا يجوز اطلاق القول بانه حق لمجرد كونه موجودا الا بقرينه تبين المراد .

وهكذا العمل والقصد والامر انما هو حق باعتبار حقيقته المقصودة فان حصلت وكانت نافعة كان حقا وان لم تحصل او حصل مالا منفعه فيه كان باطلا وبهذين الاعتبارين يصير في الوجود ما هو من الباطل كما دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع مع ما يوافق ذلك من عقل وذوق وكشف خلاف زعم هذه الطائفة الضاله المضلة .. "

انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٤١٨

وبعد ما تبين هنا من مذهب اهل الحلول والاتحاد يتضح =

والشمس فى نفسها واحدة والاشعة المتجلية متعددة بتعدد ذوات العالم وجواهرة القابلة لشعاع الشمس فيتجلى فى كل عين شمس وفى كل مرآة صقيلة شمس وفى كل موضع من البحر والارض والهواء شمس فلو كانت جواهر الارض(١) كلها صقيلة صافية كالهواء والبحر لظهر فى كل جزء شمس كما تظهر الصور فى المرائى (٢) وانشد الشاعر فى هذا المعنى (وهو عباس بن مرداس) (٣):

كانوا أمام المؤمنين دريئة والشمس يومئذ عليهم اشمس (٤)

= لنا ان المؤلف لا يقول بقولهم وان كان يتبادر الى الفهم قوله بذلك فى قوله :

" .. وكذلك بالحقيقة ليس الظاهر الا الله وحده ..."

ولكن مذهب المؤلف فى ذلك ان لفظة الوجود فى حق المخلوق مجاز ومستعار لا حقيقة ولو كان الوجود له حقيقة لا شبه الوجود الحق .. وقد نص على هذا فى صفحة ١٠٣

(١) فى : أ : جواهر كلها .

(٢) فى / ظ ، خ : فى المرآة .

(٣) سقط من خ وهو ابو الهيثم العباس بن مرداس بن ابى عامر شاعر مخضرم عاش فى الجاهلية والاسلام قيل ان امه هى الخنساء الشاعرة كان ذا مكانة مرموقة فى قومه وكان فارسا مغوارة وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية قيل له الا تأخذ من الشراب فانه يزيد فى جرأتك وبقوتك فقال : اصبح سيد قومى وامسى سفيههم ، جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه عام الفتح معلنا اسلامه ..
انظر كتاب : العباس بن مرداس السلمى الصحابى الشاعر للدكتور عبد الله عسيلان ط ١ ١٣٩٨ دار المريخ بالرياض
وانظر سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٩ وأنظر ديوان العباس بن مرداس السلمى تحقيق يحيى الجبورى طبع فى بغداد ١٩٦٨ م ص ٧٤ .

يريد ان لمعان الشمس وشعاعها وصورتها المتجلية منهـــــا
في كل بيضة وآلة مصقوله : شمـــس •

والذرية : الحلقة (١) وكذلك تتجلى الارواح من امر موجدهـا
في ذات كل روح (٢) من جميع الخلق صورة كاملة وذاتـــا
(روحانية) (٣) صورة ولذلك كانت الطف الموجودات واغربهـا
وجودا (لقربها من الامر "٤") فافهم فهمنا الله وايـــاك
ولما كان الروح بهذه الصورة وتعلق بالجسد فمن اراد الله بـــه
خيرا ابقاه على حالة الصفاء والنورية فزاده (٥) (صفـــاء
ونورا) (٦) فاشتاق الى منبعه وتعلق قلبه بالوطن الذى وجـد
منه (الخروج) (٧) فهو يطلب الخروج من هذا العالم الجسمانـى
فان اصابته اوساخ الكدورات (٨) والمخالفات (والغفلات) (٩)

---

(١) في تهذيب اللغة : الذرية غير مهموز : دابة يستتر بهـا الذى يرمـى الصيد ليصيده والذرئة مهموزة : الحلقة التى يتعلم الرامى عليها •

(٢) في ظ : في ذات كل ذى روح •

(٣) الزيادة في بقية النسخ •

(٤) الزيادة من ظ ، خ •

(٥) في ظ ، خ : وزاده •

(٦) الزيادة من خ •

(٧) الزيادة من خ •

(٨) في خ الكدورات •

(٩) الزيادة من خ •

نظر بالتوبة في التطهير (١) والتخليص والتصفية لعله يلحق بالمحل الاعلى لانه في هذا العالم الجسماني غريب عن وطنه ومعدنه فلما لم يكن بد من تعلقه بالبدن (٢) لتكمل له العبودية الروحانية والعبادة الجسمانية صار الجسم له اخا وقرينا وصاحبا فاحتال الروح على جذب الجسد الى وطنه ومعدنه بالعلوم الروحانية والطاعات الرضوانية فمن اعانه التوفيق وصل بعون الله الى ما لاعين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن كان بضد (هذا الوصف تراكمت عليه الظلمات وخاض بحر المخالفات وكان بضد) (٣) ما تقدم لان ذلك من المقربين وهذا من المبعدين وذلك من النورانيين وهذا من الظلمانيين وما بين هذين طبقات لا تحصى على حسب الصفا وامتزاج الظلمات والنور .

واعلم ان تعلق الروح بالجسد هو سبب السعادة الكبرى او ضدها لانه لما تعلق بالجسد نظر الى هذا العالم الظاهر عالم الملك على ثقب خمس وهي مواضع الحواس الخمس تميز بين الالوان والهيئات على ثقب العين بحاسة البصر ، وبالشم بين الروايح واجناسها على ثقب الانف وبالذوق بين المطعومات على ثقب الفم ، وبالسمع بين اجناس الاصوات على ثقب الاذن وباللمس بين انواع الملموسات على ثقب اللمس (٤) فحصل الفرق بين الحسن

---

(١) في خ : فعليه بالتوبة والتطهير وهو اصح .

(٢) في خ : تعلقه بهذا البدن .

(٣) الزيادة من أ ، ظ ، خ وفي خ ايضا : المخالفات (والشهوات) وكان بضد .

(٤) في خ : على حاسة البشرة .

والقبيح من جميع معلومات (هذا) (١) العالم بواسطة تحسين الشرع وتقبيحه واستدل بمعلوماته على صانعها ومبدعها وبالدنيا على الاخرة فرفع همته الى بارية والى عالم الاخرة فاستقامت بنيته عند ذلك فكان قائما مستويا على صراط مستقيم وفى احسن تقويم : " لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم "(٢) .

فهو يطلب الخروج من هذا العالم الى منبعه ووطنه فطلب طريقا يخرج عليه منه فلم يجد الا العلم النافع والعمل الصالح : (والعلم النافع ما انتفع العبد به فى الدنيا بان يدله على الله والدار الاخرة والعمل الصالح)(٣) : ما كان لله فيه رضا فالتزم هذين الاصلين فلم ينشب ان عجل له اذواق الروح والنعيم المخصوصة بعباد الله المقربين لان العلم بالله تعالى والمعرفة به لا نعيم أنعم منه ، وكذلك العمل له لاجنة تشبهه فالتزم الروح والجسد العلم والعمل الى حين الاجل وان اقتصر الروح على ما ادرك من معلوماته على اثقب (٤) حواس الجسد وشغف بها وعطف (٥) عليها صار مكبا عليها فانتكس (٦) اعلاه وكان (٧) بضد ما تقدم :

---

(١) الزيادة من : ظ ، خ ، ت.
(٢) سورة التين اية ٤ .
(٣) ما بين القوسين سقط من : ت.
(٤) فى بقية النسخ : على ثقب .
(٥) فى ظ ، خ : وعكف وهو اصح .
(٦) فى ظ ، خ ، ت : فانتكس وهو الصحيح .
(٧) فى ظ : وصار.

أفمن يمشى مكبا على وجهه الى العالم الارضى :

قال الله تعالى :

" ثم ردوناه اسفل سافلين "(١)

" .. ان هم الا كالانعام ... "(٢)

وبين هذين الصنفين طبقات مرة يكبو العبد ومرة يستقيم فافهم فهمك الله فهكذا (٣) شاهده اهل البصائر بلا مرية فى ذلك .

---

(١) سورة التين اية ٥ .

(٢) سورة الفرقان اية ٤٤ .

(٣) فى خ : فكذا .

فصــل :

اعلم(١) انه انما ضــل الخلق كلهم كافرهم ومبتدعهم وفاسقهم من أجـــل التباس صفات الخلق عليهم بصفات الخالق ، ومن أجل غيبة الآخــــــرة وحضور الدنيا لانه لما نظر الروح على ثقب الحواس الى معلومات المحسوسات(٢) فى هذا العالم رسخت صورها فى خياله وانتقشت منطبعة فى ذاته فاذا ذكـر له مذكور من صفات البارى حمله على ما عهد لأنــه لم يعهد الا ذلك ، مثــل اليد اذا ذكر له حمله على الجارحة ، أو البصر أو الوجود (٣) أو أى مذكـــور ذكر له من علم أو غيره حمله على ما عهد فلابد من تميز صفات الخالق مـــــن صفات خلقــه .

وكذلك الآخرة لما كانت غايبة والدنيا حاضرة سبق الحاضر الى نظر الخلــق فاشتغلوا به عن الغايــب .

وأهل العقل نظروا بعكس هذين النظرين فى أمور البارى وأمــور الأخـرة .

فأما النظر فى أمور البارى تعالى فعلى أصلين :

النظر فى الواحـــد ،

والنظر فى صفات الواحد .

فمن أصول النظر فى الواحد سبحانه أن تعلم أن الشيء الواحد بالحقيقة هو الشيء الذى ليس لوجودة نهاية ينتهي اليها لأن النهاية غاية الموجـــود وحد له لا يتعداه فاذا اتحد بالنهاية أخذته القسمة لأن وراء تلك النهايـــة شيء آخر من جنســه أو من غير جنســـه .

---

(١) فى : ت : اعلــم

(٢) فى خ ،ت : المحسوسه [illegible]

(٣) فى ظ : او الوجــه .

فان قلت كيف لم تزاحمه الأشياء (١) وهو لا نهاية له وما لا نهاية له فهو الوجود وحده فقط ولا وجود لشيء معه البته لانه لو كان معه شيء لحده ونحن نجد الأشياء موجودة ؟

فالجواب :

ان البينونة وقعت بين القديم والمحدث فقد باين المخلوقات بقدمه كما باينوه بحدوثهم (٢) وكذلك باينهم بجميع أوصافه كما باينوه بجميع صفاتهم فافهم والأشياء أيضا لا وجود لها معه الا بايجاد (٣) في كل طرفة ، والواحد من وجه لآخر أيضا هو الذي لا مثال له (٤) ولا نظير ولا شبيه من جميع الموجودات كما يقال : فلان واحد عصره أي لا قرين له فاذا لم يكن له (٥) مثل ولا شبيه فهو واحد فرد لا يشبهه شيء لا في وجوده ولا في صفاته ، ومن هذا الفصل تفهم وحدانية الصفات فان بصره محيط بجميع الموجودات كلها على كثرتها (ومحيط بذاته وعلمه مدرك لذاته ولجميع المعلومات على كثرتها) (٦) وهكذا جميع صفاته .

---

(١) كلمة " الأشياء " سقطت من ت

(٢) في خ : بحدثهم

(٣) في ظ ،خ : بايجاده

(٤) في ظ : لا مثل

(٥) في ت : فلما لم يكن له

(٦) ما بين القوسين ورد في بقية النسخ

فصـــل :

وأعلم أن الله عز وجل كان قديما أزليا بلا بداية ولم يكن معه شيء مـــن الأشياء بوجـه (ولا حال) (١) ولم يكن للاشياء معه في أزليته وجـــود البتة لانها لو كانت موجودة لم تخل : اما أن تكون محدثة أو قديمـــة ، فان كانت محدثة فقد وجدت بعد أن لم تكن فلم تكن معه في الأزل وان كانت قديمة فلا يجوز أن يقال فيها محدثة لان القديم ما لم يحدثـــه غيره وقد وجـد بالضرورة حدثها لانها قد ظهر فيها اثر الصنعة والحـدوث فبطل القدم لها وصح الحدث.

ومن اثبت القدم للموجودات لزمه أن يطلق أن الله تعالى لم يخلق شيئـا ولا أبدعه وكانت الأشياء موجودة بذواتها على قوله وهذا هو المحال لأنـــه قد ظهر وجودها بغيرها فان جعل الموجودات (٢) معه كالظل مع الشخـص والعلة مع المعلول فقد ضل فان (٣) جعله مثل فعله مساويا له لان العلـــة مساوية للمعلول في الضرورة لان المعلول يصدر عن العلة لضرورة في العلـــة لا تمتنع العلة بتلك الضرورة عن وجود المعلول عنها ، فالعلة مضطرة لوجـــود المعلول عنها ، والظـــل موجود عن الشخص وجودا ضروريا لا يمتنع عن ذلـــك والاله ليس بمضطر لأنـــه اذا كان مضطرا فقد اضطره غيره فاذا لم يبـــــق الا اثبات الاختيار لله تعالى يوجد (٤) متى شاء وكيف شاء ويترك ايجـــاد (٥) ما شاء ومتى شاء على ما سبق به علمه وارادته من الترتيب والتقديم والتأخيـــر وترك الايجاد ووجود الايجاد وهذه صفة الاله وما سوى ذلك مضطر فقـــــد

---

(١) ما بين القوسين من أ ،ظ ت وفي خ : ولا على حال

(٢) في ت : الموجود

(٣) في خ : بأن جعله وهو الصواب

(٤) في خ : يوجدها

(٥) في خ ،ت : ايجادها

كانت الأشياء عدما محضا وكان الله ولا شيء معه في أحديته ولا ثاني في أزله (١) وكان في أزله مدركا لجميع معلوماته في حال عدمها كما يدركها الآن في حال وجودها استوى في حقه الوجود والعدم فلا (٢) زيادة في ادراكه في حال وجودها ولا نقصان في ادراكه في حال عدمها ولم ينبغ هذا الادراك الا للإله (٣) لان المخلوق لا يدرك الشيء وهو عدم وبهذا الادراك باين جميع خليقته (٤) ولم يكن مثلها لأن المحدث ـ كما تقدم ـ لا يدرك الشيء حتى يكون موجودا معه وما دام معدوما عنه لا يدركه (٥) فان العالم من الخلق لا يكون عالما حتى يتعلم العلم بمعلومه فيضطر الى المعلوم أن يكون سابقا على علمه ولا يبصر الشيء حتى يحضر بين يديه بعد ان كان غايبا ولا يقدر على الشيء حتى يكون فاعلا له . ولا يكلم الشيء حتى يحضر ولا يسمعه حتى يتكلم بين يديه لأن صفاته حادثة مع مدركاتها فلا يدرك الا في حين حدوثها وحدوث المدركات معها ، وكذلك (٦) اذا زالت عنه مبصراته ومدركاته لم يدركها لأن صفاته أعراض غير باقية الا بحكم التجديد فان أحدث له مدرك أحدث له ادراك آخر والبارى سبحانه (٧) ـ بخلاف ذلك ـ كان في الأزل ولا شيء معه مدركا لذاته ولجميع مخلوقاته قبل وجودها لأن صفاته لم تحدث له وهو الآن حين وجودها يدركها ذلك الادراك لم يتجدد له ادراك بتجدد المدركات ولا زاد بها حين وجدت بيانا فيكمل ادراكه بعد نقصانه فان أعدم الموجودات وصيرها كما كانت أول مرة بقى كما كان مدركا حين وجودها لان صفاته ليست أعراضا فتزيد أو تنقص باختلاف المحدثات تعالى

---

(١) في ظ ،ت : أزليته .

(٢) في خ : بلا زيادة .

(٣) في خ : لله .

(٤) في ت : خلقه .

(٥) في : ت : فلا يدركه .

(٦) في ظ ،خ : ولذلك وهو الصواب .

(٧) في : ظ ،ت ،خ : جل جلاله .

الله علوا كثيرا فقد استوى عنده وجودها وعدمها والعدم ضد الوجود لأنه سبحانه في الأزل لا شيء معه وليس في ذاته سوى ذاته لا يجوز أن يقال ان للاشياء في ذاته أثرا أو تكون منطبعة أو مصورة في الذات بل ادراكه غير المدرك، والعلم غير المعلوم والبصر غير المبصر والقدرة غير المقدور وليس هذه الصفة والادراك الا له ولا يعرف به الا اياه الا تراه يقول :

(انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) (١) .

فلا يقول له الا (لمدرك) (٢) معلوم ولا يقول "كن" الا لمعدوم غير كاين فلو كان موجودا لكان كن بلا فايدة ولو لم يكن مدركا لم يقل له كن (فيكون) (٣) فافهم والله تعالى يقول :

(.. ان الله لغني عن العالمين) (٤)

لا يشغله وجودهم كالعلة مع المعلول ولا يزيده ادراكا ولا يعجزه عدمهم ولا يفقده ادراكا الا تراه يقول :

(... ان الله علام الغيوب) (٥)

فهو المنفرد بادراك الغيب لأن الغيب ضد الحضور :

(.. وما كان الله ليطلعكم على الغيب ..) (٦)

لأنه ليس في طاقة المخلوق ذلك الادراك، فاذا اطلعه على ما غاب عنه أوجده له فلم يكن غايبا وذلك قوله :

(.. ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ...) (٧)

---

(١) سورة النحل الآية : ٤٠

(٢) في ع: (الا بمدرك) والصواب (الا لمدرك) كما في بقية النسخ

(٣) الزيادة من (خ)

(٤) سورة العنكبوت الاية : ٦

(٥) سورة التوبة الآية : ٧٨

(٦) سورة آل عمران من الآية : ١٧٩

(٧) سورة آل عمران من الاية ١٧٩

وما دام لم يدركه فهو غيب عنه والله تعالى بخلاف ذلك، ليس عنده غيب بوجه ولا حال (١) لا في حال عدم الأشياء ولا في حال وجودها (٢) الا تراه (٣) كيف يقول :

(وكان الله ـ أي في أزله ـ بكل شيء عليما) (٤)

(وكان الله بكل شيء بصيرا) (٥)

(وكان الله على كل شيء قديرا) (٦)

(وكان الله بكل شيء محيطا) (٧)

الى غير ذلك، من الآيات الواردة في هذا المعنى

ومن شأن علم البارى تعالى ادراك الموجودات وهي معدومة ، وهو لا يقدر الا على ما علم ولا يبصر الا ما علم ولا يريد الا ما علم ولا يخاطب بكلامه الا ما علم ولا يخلق الا ما علم فقد استوى في حقه وجود الأشياء وعدمها .

ولنفرض سؤالا على من يقول بقدم العالم من الفلاسفة وغيرهم (٨)

---

(١) في خ : بوجه ولا على حال

(٢) في ت : ولا في وجودها

(٣) في خ : الا ترى كيف يقول .

(٤) سورة الأحزاب من الآية ٤٠ ، وسورة الفتح من الآية ٢٦

(٥) لم أجد أية بهذا النص .

(٦) سورة الأحزاب من الآية ٢٧

(٧) سورة النساء من الآية ١٢٦

(٨) راجع كتاب : لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الاصول لابي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي تحقيق وتعليق الدكتوره فوقيه حسين الطبعة الاولى ١٩٧٧ دار الانصار : ص ٦١ ، وقد بين المؤلف اختلاف النظار في القول بحدوث العالم وان بعض الفلاسفه قالوا بقدم العالم وذكر منهم الفلاسفة الاسلاميين ابا نصر الفارابي وابن سيناء ، وانظر ايضا التذييل الذي أورده الدكتورمحمد بيصار في كتابه :
في فلسفة ابن رشد الوجود والخلود الطبعة الثالثه ١٩٧٣ دار الكتاب اللبناني ، قال في هذا التذييل : (.. وما عرضناه سابقا اثناء البحث لا يدع مجالا للشك، في ان ابن رشد من القائلين بقدم العالم ...)
وانظرايضا كتاب فصل المقال ضمن مجموعة : فلسفة ابن رشد الطبعة الاولى ١٣٩٨ دار الآفاق الجديده ص ٢٤ وانظر تهافت الفلاسفه للغزالي ص٨٨ تحقيق سليمان دنيا ط ٤

وتبين أولا مذهبهم (١) فالذى تقوله الفلاسفة :

أن العالم قديـــم

وأن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات

وأن بعث الأجساد محال ويحملون البعث على (بعث) (٢) الأرواح (٣)

فيقال لهم فى وجود الأشياء عنه سبحانه :

ان قلتم انه أبدعها بلازمان بل كوجود الظل مع الشخص (٤) فقـــــد أقررتم انه أبدعها والمبدع هو المخترَع المحدَث .

وان قلتم انها لم تزل كما هى فقد أطلقتم أنه لم يبدع شيئا ولا أوجـــــد موجودا وأن الأشياء قائمة بأنفسها .

فان قالوا : انما ايجادها فيضا وجودا عن وجوده (٥) لأنه ينبوع الوجود وهذا من الفاظهم قيل لهم :

ذلك الفيض الذى اطلقتموه أعن وجوده فاض بمعنى انفصال شىء من شـىء أم أوجده من العدم المحض بعد ان لم يكن ؟

فان قالوا عن وجوده بمعنى انفصال شىء عن شىء فكفى به كفرا (٦) وجهلا .

فلابد اذا من الرجوع الى ايجاده من " العدم " الذى هو ضد " الوجـــود " بالضرورة العقلية التى لا محيص عنها .

---

(١) فى خ : مذاهبهم

(٢) هكذا فى جميع النسخ ، وفى ع : على (بعض) وهو خطأ

(٣) هذه المسائل الثلاث كفر الغزالى بها الفلاسفـة حيث قال : تكفيرهم لا بد منه فى ثلاث مسائل : احداها مسألة قدم العالم وقولهم ان الجواهر كلها قديمـة والثانيه قولهم : ان الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الاشخـاص والثالثة : انكارهم بعث الأجساد وحشرها . ثم قال : فهذه المسائل الثلاث لا تلائم الاسلام بوجه ومعتقدها معتقد كذب الانبياء ــ صلوات الله عليهم وسلامه وانهم ذكروا ما ذكروه على سبيل المصلحه تمثيلا لجماهير الخلق وتفهيما وهـذا هو الكفر الصراح الذى لم يعتقده احد من فرق المسلمين ــ تهافت الفلاسفـــة للغزالى ص ٣٠٧ ، ط ٤ والاقتصاد ص ١٥٧

(٤) فى ت : بلازمان لوجود الظل عن الشخص .

(٥) فى ظ : فيض جود عن وجوده وفى خ ، ت : فيض وجود عن وجوده وهذا الاصح .

(٦) فى خ : فكفى بذلك .

فان قالوا العدم اسم لا يقع (١) الا على مسمى موجود .

قيل لهم : فالعدم اذا موجود فلم يوجد البارى شيئا ولا اختراع موجودا وكم من اسم يطلق على غير مسمى موجود (٢) مثل قولهم : لا داخل العالم ولا خارجه شيء وهذا من جملة الأسماء المعلومات ، ومثل قولهم : اجتماع الضدين (محال) (٣) وكون الجسم فى مكانين محال وهذه مسميات لمعلومات غير موجودات .

ومثل قول الله عز وجل :

(... ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه ..) (٤) .

فهذا من علمه بما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون فكذلك علمه بالأشياء قبل وجودها يعلم كيف تكون اذا كانت وليس لها قبل كونها وجود .

فالعدم اذا من الأسماء المطلقة على ما لا وجود له فلابد من الرجوع الى ذلك، لأن البارى تعالى لم يخلق من ذاته شيئا ولا كان معه شيء .

فان قالوا أوجد الوجود (٥) من العدم اختراعا بلا زمان كالظل مع الشخص وهذا من اطلاق الاكابر منهم .

قيل لهم قد اثبتم ايجادها لا من شيء والعقل يدرك بالضرورة انها كانت بعد ان لم تكن اذ قد فرق العقل بين حالتى العدم والوجود فقد ثبت حدثها وانتفى القدم عنها .

---

(١) فى خ : العدم لا يقع .

(٢) فى خ ،ت : على مسمى غير موجود وهو الصواب

(٣) سقطت من ع

(٤) سورة الأنعام من الآية : ٢٨

(٥) فى أ : أوجد الموجود

وبقى الكلام معهم فى قولهم أوجدها معا (١) بلازمان فنقول لهم (٢) :
أخبرونا عن المخترع المبدع سبحانه هل قامت بذاته صفة ضرورية اكرهته على الايجاد والابداع للاشياء بلازمان (ام قامت بذاته صفة المشيئة والاختيار لايجاد الأشياء بلازمان) (٣) .
فان قالوا بالصفة الأولى الضرورية وهى (٤) حقيقة مذهبهم لأنهم يسمونه عله والعلة مساوية للمعلول فى الضرورة فكفى بذلك جهلا وكفرا .
وان قالوا بالصفة التى توجب للبارى العز والجلال وهى المشيئة والاختيار وتنفى عنه الضرورة . قيل لهم :
من أين أطلقتم ايجاده اياها كالظل مع الشخص معا بلا زمان وحكم المنشىء (٥) والمختار أن لا يترجح أحد الوصفين فى حقه وهو الايجاد أو ترك الايجاد بل هما فى حق (البارى) (٦) المريد والمختار سواء ولا يترجح (٧) هذا على هذا ولاهذا على هذا فيوجد اذا شاء ويترك الايجاد ماشاء (٨) . هذا (هو) (٩) حكم المريد والمختار والمنشىء (١٠) (وما وراء ذلك) (١١) سوى هذا فهو المضطر المجبور . كاضطرار العلة مع المعلول التى تنافى حكم الالهية .

---

(١) فى خ : أوجدها معه
(٢) فى ظ : فيقال لهم .
(٣) ما بين القوسين سقط من ع
(٤) فى خ ،ت : وهو حقيقه
(٥) فى أ ،ت : المشىء وهو الأصح
(٦) الزياده من ظ ،ت
(٧) فى خ : سواء لا يترجح
(٨) فى ظ : اذا شاء وهو أصح
(٩) الزيادة من ظ .
(١٠) فى أ ،ظ ،خ ،ت : والمشىء وهو الأصح
(١١) الزيادة من أ ،ظ

فان قالوا سبق في علمه وارادته أن يوجد الأشياء هكذا كالظل مع الشخص بلازمان قيل لهم وسبق في علمه وارادته أن يوجد متى شاء ويتراء (الايجاد)(١) متى شاء (٢) مع ان دعواهم أنه سبق في علمه وجودها كذلك محال لانه لم يرد به الشرع ولا شهد به (٣) العقل فان القديم بالحقيقة (٤) خلاف المحدث من جميع الجهات فالقديم هو الذى لم يزل بنفسه موجودا والمحدث هو الذى لم يزل معدوما حتى أوجده المريد لايجاده (والموجد) (٥) مخالف لفعله من كل جهة ، فان القديم لا يتطرق اليه الفساد ولا البطلان بل لا يزال أبدا كما لم يزل أزلا ، والمحدث يتطرق اليه الصنعة والتغير والبطلان من حالة الى حالة أبدا وهو العدم لأنه لا قوام له بنفسه فالوجود له عارية ومجاز ومستعار ولو كان الوجود له حقيقة لأشبه الوجود (٦) الحق سبحانه .

(الا كل شيء ما خلا اللهَ باطل) (٧)

وكل شيء هالك الا وجهه .

فبهذا تفهم أنه لا يسع مع وجوده شيء لأن البطلان (٨) يتطرق الى الأشياء أبدا مع الخطرات فما أوجده الموجد الحق من الباطل لو امسك تجديد الايجاد عنه طرفة عين لانعدم بلا زمان في اسرع من طرفة عين وذلك

---

(١) في ع : الأشياء وهو خطأ

(٢) في خ ،ط ،أ : ما شاء

(٣) في خ : ولا شهد له .

(٤) في أ : في الحقيقه .

(٥) هكذا في أ ، ظ وهو الصواب وفي بقية النسخ : " الموجود "

(٦) في خ : لاشبه وجود الحق

(٧) صدر بيت للبيد تقدم ذكره في ص ٨٧

(٨) في ظ ت : لأن البطل

أن لا يريد بقاءه سواء كان الموجود روحانيا أو جسمانيا فكما ان القديـــم سبحانه لا يطرأ على وجوده عرض (ولا بطل) (١) في الازال والاباد كذلك يطرأ على المحدث العرض أبد الآباد ، وأثار الصنعة مخالفة بأن الحـــق موجود بنفسه لا يطرأ عليه شيء وهذا موجود بغيره يطرأ عليه كل شيء .

فان استدلوا على وجود الأشياء عنه فيضا وجودا كوجود شعاع الشمـس عن الشمس وفيض النور عنها على كل موجود وقالوا : لم تزل فيضات الخيـرات والفضائـل فايضة عن وجوده كما لم يزل النور فايضا عن وجود الشمس .

قلنا : أخطأتم من وجـه وأصبتم من وجـه ، أصبتم من وجـه استدلالكـم بفيض الوجود عنه كفيض نور الشمس عن وجود الشمس .

وأخطأتم من وجـه آخر حيث قلتم لم تزل كذلك فايضة ، فانه لو قدر للشمـس ارادة لان يفيض النور عنها على الموجودات حتى تفيض في وقت ارادتهـا للفيض ولا تفيض حين لا تريد الفيض لكان الاستدلال حقا ، وكذلك الظل مـع الشخص ولو قدر للجسم ارادة لان (لا) (٢) يكون عنه ظل في وقت ارادتـه لذلك وان يكون عنه ظل في وقت ارادته كان حقا (٣) وانما هربـوا من أن يكون (٤) الوجود محدثا لانهم قالوا : هي معلوماته فلو زالت عنـه في وقت أو حين لطرأ على صفاته في تلك الحال خلاف ما هو عليه في حـال وجودها معه وهو الجهل والعجز وعدم الادراك في زعمهـم .

---

(١) هكذا في أ ،ظ ، وهو بياض في ع ،وفي خ ،ت : (عرض والابطل في الأزل) وهو خطأ

(٢) ما بين القوسين سقط من ع وورد في بقية النسخ :
ففي ظ : بأن لا يكون . . وفي خ : لئلا يكون وفي ت :لأن لا يكون . .

(٣) في أ : الجملة هكذا : في وقت ارادته واستدلوا به حقا
وفي ظ ت : في وقت ارادته لذلك واستدلوا به كان حقا
وفي خ : في وقت ارادته ذلك واستدلوا به كـان حقـا

(٤) في خ : وانما هو تبرأ من أن يكون . . . . ولا معنى له هنا .

وهذا هو التنزيه عندهم وقد وقعوا في أشر (١) مما هربوا عنه وهو رؤية القدم للمحدثات وافتقار البارى الى الموجودات أن تكون معه كافتقارها هي اليه فصار لا يكمل الا بها وبوجودها معه فصارت هي المكملة له والمضطرة له وكفى بهذا جهلا وكفرا .

ونحن بحمد الله نقول بما انعقد عليه اجماع العقول الراجحة وهم الرسل وأتباعهم وبما نطق به القرآن والسنن وهو :

أن الأشياء لم تكن أزلا معه (٢) وهو يدركها في حال عدمها كما يدركها

---

(١) في ظ ت : في شر

(٢) ليس هذا موضع اجماع كما ذكر المؤلف وقد قال شارح الطحاوية :
فالحاصل أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا ؟
أو في المستقبل فقط ؟ أو الماضي فقط ؟
فيه ثلاثة أقوال معروفة لاهل النظر من المسلمين وغيرهم .
أضعفها قول من يقول لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل كقول جهم بن صفوان وابي الهذيل العلاف .
وثانيها : قول من يقول : يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم .
والثالث : قول من يقول يمكن دوامها في الماضي والمستقبل كما يقول أئمة الحديث
ثم قال : ولا شك ان جمهور العالم من جميع الطوائف يقولون : ان كل ما سوى الله تعالى مخلوق كائن بعد ان لم يكن وهذا قول الرسل واتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم ومن المعلوم بالفطرة ان كون المفعول مقارنا لفاعله لم يزل ولا يزال معه ممتنع محال .
ولما كان تسلسل الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الرب سبحانه هو الآخر الذى ليس بعده شيء فكذا تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع ان يكون سبحانه وتعالى هو الاول الذى ليس قبله شيء فان الرب سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء ويتكلم اذا شاء قال تعالى : (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) آل عمران : ٤٠
وقال تعالى : (ولكن الله يفعل ما يريد) البقرة ٢٥٣ =

حين أوجدها الحالتان عنده سواء ولا تهرب كما هربوا هم من أن تكون معدومة خيفة دخول النقص عليه فان النقص انما يلزم لمن يقول بأنه لا يدرك الشيء الا اذا كان موجودا وهذه صفة المخلوق فلو افقدناه الادراك في حال عدمها وأوجدناه الادراك في حال وجودها لزمنا ذلك، وانما نقول انه يدرك في الحالة الواحدة ما يدرك في الحالة الأخرى من غير زيادة ولا نقصان .

ودليلنا على ادراكه اياها وهي معدومة قوله عز وجل :

(... وكان الله بكل شيء عليما ...) (١) اى فى أزله

(... وكان الله على كل شيء قديرا) (٢) .

(... وكان الله بكل شيء بصيرا) (٣) .

(.. وكان الله بكل شيء محيطا) (٤) .

ولا يجوز أن يقال في " كان " هذه كان يكون كونا ولذلك، قال أهل العلم : كان هو الله عز وجل (٥) .

ثم قال الشارح بعد ذلك : والقول بأن الحوادث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وان الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلا .

ولا يلزم من ذلك (اى من القول بتسلسل الحوادث في الماضي) قدم العالم لان كل ما سوى الله تعالى محدث ممكن الوجود موجود بايجاد الله تعالى له ليس له من نفسه الا العدم . والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى والله تعالى واجب الوجود لذاته غني لذاته والغنى وصف ذاتي لازم له سبحانه وتعالى .

راجع شرح الطحاوية .. ص ١٣٤ — ١٣٨

وانظر : مجموعه فتاوى ابن تيميه ج ١٨ ص ٢١٠ وما بعدها وج ٥ ص ٥٦٥ وتهافت الفلاسفه هامش ص ٣٠٧ ط ٤ ، تلبيس الجهميه لابن تيميه ج ١ ص ١٤٤ وفلسفة ابن رشد ص ٢٤

(١) سورة الأحزاب من الآية ٤٠ وسورة الفتح من الآية ٣٦

(٢) سورة الاحزاب من الاية ٢٧

(٣) لم أجد أية بهذا النص وقد كرر المؤلف استشهاده بها هنا

(٤) سورة النساء من الآية ١٢٦

(٥) انظر فتح البارى جـ ١٣ ص ٤١٠

وقال النبى عليه السلام فى الحديث المشهور :

" أول ما خلق الله القلم قال له اكتب . . . الحديث " (١) .

فاثبت للأشياء أولية وأن القلم سابق للأشياء (٢) فى (الخلقة) (٣) وان القلم

---

(١) رواه أحمد فى مسنده : الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد ص ١٣٤ من الجزء الأول وابو داود فى سننه رقم ٤٧٠٠ والترمذى فى الجامع الصحيح فى كتاب القدر رقم ٢١٥٥ وقال بعد أن أورده : هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد خرجه الألبانى فى أحاديث شرح العقيدة الطحاوية وقال عنه : صحيح . ص ٢٩٤ من شرح العقيدة الطحاوية الطبعه ٦ .

(٢) اختلف العلماء : هل القلم أول المخلوقات أو العرش ؟ على قولين :
أصحهما : ان العرش قبل القلم لما ثبت فى الصحيح من حديث عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنه قال وعرشه على الماء)) .
فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم بحديث عبادة هذا .
ولا يخلو قوله : " أول ما خلق الله القلم . . . الخ . اما أن يكون جملة أوجملتين فان كان جملة وهو الصحيح كان معناه :
أنه عند أول خلقه قال له : " اكتب " بنصب " اول " و " القلم " وان كان جملتين :
وهو مروى برفع " أول " و " القلم " فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم فيتفق الحديثان . . .
راجع شرح العقيدة الطحاوية ط ٦ ص ٢٩٤ — ٢٩٥
وانظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى لاحمد بن حجر ج ٦ ص ٢٨٩

(٣) هكذا وردت فى جميع النسخ ما عدا (ع) ففيها : فى الحقيقة .

وفي حديث آخــر :

" أول ما خلق الله تعالى العقل ... الحديث الى قوله : ما خلقت خلقــا احب اليّ منك ...) (١) وقوله عليه السلام :

((كان الله ولا شيء معــه)) (٢)

(١) ورد في هامش النسخة (ع) تعليق قال كاتبه عن هذا الحديث :

" قوله أول ما خلق الله العقل .. الخ قال السخاوي في المقاصد الحسنه قال ابن تيمية : واتبعه غيره انه كذب موضوع بالاتفاق ... اهـ .

ووجدت قول ابن تيمية هذا اورده في كتابه " أحاديث القصاص " وقال محققــه محمد الصباغ : ذكره الغزالي في الاحياء ١ / ٨٣ .. وقال العراقي وخـــرج أحاديث الاحياء في تخريجه لهذا الحديث : رواه الطبراني في الأوســـط من حديث ابي امامه ، وابو نعيم في الحليه ٧ / ٣١٨ من حديث عائشه باسنادين ضعيفين :

راجع أحاديث القصاص لابن تيميه تحقيق محمد الصباغ ص ٧٢

(٢) رواه البخاري في موضعين من صحيحــه :

في كتاب بدء الخلق وفيها .. (.. كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشــه على الماء ..) فتح الباري رقم الحديث ٣١٩١

وفي كتاب التوحيد وفيها .. (.. كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ....) فتح الباري رقم الحديث ٧٤١٨

أما رواية " معه " فقد قال ابن حجر في شرحه للحديث في ج ٦ من فتح البــاري ص ٢٨٩ قال :

تنبيه : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث : " كان الله ولا شيء معـــــه وهو الان على ما عليه كان " وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديـــث ، نبه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيميه وهو مسلم في قوله " وهو الآن " الى آخره ، واما لفظ " ولا شيء معه " فرواية الباب بلفظ " ولا شيء غيره " بمعناها اهـ .

ورأى ابن تيميه : ان الثابت نقلا هو لفظ " القبل " حيث قال :

(.. كان الله ولم يكن شيء قبله) وقد روى (معه) وروى غيره والألفـــاظ الثلاثة في البخاري والمجلس كان واحدا وسؤالهم وجوابه كان في ذلـــك ، المجلس وعمران الذى روى الحديث لم يقم منه حين انقضـى =

وقوله (تعالى) :

(... وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) (١)

(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٢)

في التفسير بمعنى (٣) أنه قد أتى

وقوله تعالى :

(اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ...) (٤)

= بل قام لما اخبر بذهاب راحلته قبل فراغ المجلس وهو المخبر بلفظ الرسول فدل على أنه انما قال أحد الألفاظ والأخران رويا بالمعنى وحينئذ فالذي ثبت عنه لفظ " القبل " فانه قد ثبت في صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في دعائه :

" انت الأول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء "

وهذا موافق ومفسر لقوله تعالى :

(هو الأول والآخر والظاهر والباطن ...) الحديد ٣

واذا ثبت في هذا الحديث لفظ (القبل) فقد ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم قاله واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما أبدا ، وكان اكثر أهل الحديث انما يروونه بلفظ القبل (كان الله ولا شيء قبله) مثل الحميدي والبغوي وابن الأثير وغيرهم .

راجع مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ٥ ص ١٧٦

وانظر تخريج الالباني لهذا الحديث في شرح الطحاوية ص ١٢٩

وقد قال في هذا التخريج : رواية " معه " لم أجدها عند البخاري

وانظر فتح الباري حـ ١٣ ص ٤١٠

(١) سورة مريم في آية : ٩

(٢) سورة الانسان آيه : ١

(٣) في خ : معناه

(٤) سورة العنكبوت آيه ١٩

فأثبت للخلق بدأة ومثل هذا كثيـر

والاجماع أيضا قد انعقد على ذلك، من الصحابة والتابعين والمحدثيـــن وغيرهم من العلماء والعوام :

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنـه فى دعائه :

اللهم انك، بدأت الخلق من غير حاجة لك، اليهم (١) .

فانظر الى هذه "(٢) المعرفة الكاملة من الصديق رضى الله عنه فى قوله : " بدأت الخلق " فجعل للخلق بداية ، ثم قال " من غير حاجة بك، اليهم " أى من غير حاجة بك، الى ايجادهم لأنك، (انت) الغنى عنهم فى حـــال عدمهم ووجودهم وكذلك، قال على رضى الله عنه حين ذكر بدأ الخلــــق : وخلقت (٣) نور محمد عليه السلام.

وكذلك، العلماء اتفقوا على البداءة وأن للوجود افتتاحا لم يكن قبل ذلــــك، الا البارىء وحده

قال الجنيد (٤) :

التوحيد افراد القدم من الحدث وعلمك، واقرارك، بأن الله فرد فى ازليته

---

(١) فى خ : حاجة بك، اليهم ،وقد ذكر هذا الغزالى فى الاحياء بلفظ: اللهم انك، ابتدأت الخلق ،ج ٤ ص ٤٧٧

(٢) فى ت : فانظر الى المعرفة .

(٣) فى ت : بدأ الخلق وخلقه نور محمد

(٤) ترجمتـه :هو ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى اصلـــه من نهاوند وولد ونشأ ببغداد ،قال ابن الأثير فى وصفه : امام الدنيا فـــى زمانه ، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف الضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ويكونه مصونا من العقائد الذميمة من كلامه : علمنا مضبوط بالكتاب والسنة مـــن يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى بـــه ،
كان فى أول أمره يتفقه على مذهب أصحاب الحديث مثل ابى عبيد وابى ثـــور فاحكم الأصول ،وصحب خاله السرى بن مغلس السقطى والحارث بن اســــد المحاسبى فسلك، مسلكهما

==

لاثاني معـــه .

وقال الشبلى (١):

جل الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف .

= وتوفى في شوال سنه ٢٩٨ هـ وقيل ٢٩٧ هـ

اثني عليه شيخ الاسلام ابن تيميه في مواضع كثيرة من كتبه يقول :

(.. ولهذا كان الجنيد رضى الله عنه سيد الطائفة امام هدى .. فلمـــا سئل عن التوحيد قال :

التوحيد افراد الحدوث عن القدم .. والجنيد وأمثاله أئمة هدى .

المراجع : انظر صفه الصفوة ح ٢ ص ٤١٦ الترجمه رقم ٢٩٦

والحليه ح ١٠ ص ٢٥٥ رقم الترجمه ٥٧١

الاعلام للزركلي ترجمه الجنيـــد ،

الفرقان ص ١٠٠ وشرح حديث الزول ص ١١٩ وكلاهما لابن تيميه

الرساله القشيريه ج ١ ص ١٣٢

(١) " ترجمة " أشتهر الشبلى بأبى بكر واختلف في اسمه فقيل :

دلف بن جعفر ، وقيل دلف بن جحدر وقيل جحدر بن دلف ، وقيل غيرذلك

اصله خراسانى من قرية " شبليه " وولد بقرية " سر من راى " ولى الحجـــابه للموفق العباسى ثم ترك الولاية وعكف على العباده وتفقه على مذهـــــب مالك ، واشتهر بالصلاح والزهـــد

له شعر جيد سلك به مسالك المتصوفـة

توفى ببغداد في ذى الحجة سنه ٣٣٤ وهو ابن ٨٧ سنه رحمه اللـــــه

المراجع : صفه الصفوه ج ٢ ص ٤٥٦ ترجمه رقم ٣١٦

الحليه ج ١٠ ص ٣٦٦ ترجمه رقم ٦٤٦

الاعلام للزركلي ترجمه دلف الشبلـــى

طبقات الصوفيه ٥ ـــ ٣٤٠

الديباج المذهب ص ١١٧

الرساله القشيريه ج ١ ص ١٨٢

ولو تتبعنا كلام أهل العلم في ذلك لطال الكلام

وقد أخرج الله علم العدد والحساب وجعله أعظم آية على وحدانيته (١) فالعدد كله ينشأ من الواحد وليس الواحد عددا في نفسه فاذا أردت أن تعد عددا ما قلت : واحد فتبتدىء بالواحد ، فاذا ذكرت الواحد لم يكن للاثنين مع الواحد وجود ولا ذكر وكان الواحد موجودا فقط ولا يجوز أن يقال فيه عدد اى لا يسمى باسم الاثنين ولا الثلاثه ولا الأربعه ولا باسم شيء من العدد الذى بعد ذلك وانما يقال فيه واحد فقط ولا يشاركه في الاسم أيضا ما جاء بعده من العدد حتى ينتهى الى آخر العشرة فان زدت عددا آخر وقلت أحد عشر فانما تبتدىء بتسمية عشرة أخرى فيكون الحادى عشر مثل الواحد من العشرة لانه هو وهكذا واحد وعشرون (وواحد وثلاثون وواحد واربعون الى واحد وتسعين) انما هو تكرير العشرات فليس يشارك الواحد شيئا من العدد لا في الاسم ولا في المعنى فهو في نفسه ليس بعدد .

فاذا قلت واحد وسكت لم يكن معه شيء (من العدد) (٢) فهو بمنزلة قول النبي عليه السلام :

(كان الله ولا شيء معه)

---

(١) ذكر الغزالي في كتابه : فضائح الباطنية ان الاستدلال بالأعداد والحروف فن من الجهاله اختصت به فرقه الباطنيه من بين الفرق ...

انظر : فضائح الباطنيه ص ٦٦

والملل والنحل جـ ١ ص ٣٣٢

والفرق بين الفرق ص ٢٦٥

(٢) سقط من ع ، ت

فرد فى ازليته (١) قبل وجود جميع الأشياء كما الواحد فرد اذا ذكرته قبل ذكر الأعداد فاذا اردت ذكر عدد قلت اثنين ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة الى عشرة الى مائة الى الف الى عشرة الألاف الى مائة الف الى الف الف الى مالانهاية له ولا آخر لان العدد لا آخر له ولانهاية كذلك، أمر البارى عز وجل كان واحدا قبل وجود الأشياء ثم خلق القلم واللوح والمخلوقات ، واخرج الأشياء شيئا بعد شيء بالايجاد والأبداع الى مالانهاية لـه ولا آخر أبد الآباد فان مقدورات البارى لانهاية لها ولاغاية لان كل موجود أوجده يطرأ عليه من الأعراض مالانهاية له كما لانهاية للعدد وكما أن الواحد أول العشرة فتزيد واحدا بعد واحد الى تسعة فيكمل العدد فى التسعة لأنه وتر من ثلاثه ثلاثه (ثلاثه) (٢) وكل واحد من الثلاثه وتر أوتر كل واحد صاحبه من حيث هو كل وتر واحد فى نفسه فافهم .

وكذلك البارىء جل جلاله يوجد الشفع وهو الوتر يوترها بنفسه فاذا عددت ثلاثه وزدت العدد الى تسعة صارت ثلاثه وثلاثه وثلاثة وكل ثلاثه وتر فى نفسها للاثنين فأوتر كل واحد من عدد الثلاثه العددين كما أوتر كل واحد من الثلاثه لغيره من الأثنين فاذا زدت عاشرا على التسعة أيضا رجع العدد كله واحدا فقلت عشرة وصارت العشرة بالاضافة الى العشرين الى الثلاثين الى الأربعين الى التسعين بمنزلة (الواحد من العشرة فالعشرة واحد فى نفسها والعشرون) (٣) بمنزلة الأثنين من العشرة والثلاثون بمنزلة الثلاثة والاربعون بمنزلة الأربعة فاذا وصلت الى التسعين صارت بمنزلة التسعة ثلاثون ثلاثون ثلاثون فكانت (تسعين) (٤) كما كانت ثلاثة وثلاثة وثلاثه تسعة فأوتر كل واحد من الثلاثين الأثنين من ثلاثين ثلاثين فاذا زدت

(١) فى خ : فى أزلـه .

(٢) لم تتكرر فى ع وتكررت فى بقية النسخ

(٣) ما بين القوسين سقط من خ .

(٤) هكذا فى خ بالنصب " تسعين " وفى بقية النسخ بالرفع " تسعون " .

عشرة عادت المائة شيئا واحدا بمنزلة العشرة للعشرات وبمنزلة الواحـــد للعشرة الواحدة فقلت مائة عدد واحد فان زدت مائة اخرى كانت بمنزلـــة الاثنين للواحد من العشرة وبمنزلة العشرين للعشرات حتى ينتهى الـــى التسع مائة فتكون كل ثلاثمائه وترا كما يكون كل واحد من ثلاثة ثلاثه وترا فـــى عدد التسعة وكل واحد من الثلاثين وترا للاثنين من الثلاثين ثلاثين فـــان زدت مائة صارت الفا شيئا واحدا بمنزلة الواحد (والمائه والالف) (١) فتمشى هكذا الى (عشرات الالاف) (٢) الى مئي الالاف الى الاف الالاف الـــى مالا آخر له والواحد أبدا (٣) مع الجملة منه ينشأ العدد واليه يرجع حقيقـة ومعنى ،

كذلك البارى عز وجل منه ابتدأت الأشياء وبه تنشأ وهو معها واليه ترجـــع فكما أن لولا الواحد الذى يزاد (٤) أبدا فينشأ منه العدد شيئا بعد شيء لم يوجد عدد فكذلك (٥) .. لولا الله عز وجل الذى هو أول الأشياء وهـــو ينشيء الأشياء شيئا بعد شيء واليه يرجع كل شيء لم يوجد شيء من الأشياء (٦) هو الأول والآخر والظاهر والباطن كما هو الواحد أول العدد وآخره وأوسطـه الذى هو ظاهره ومعناه الذى هو باطنه فافهم فهمنا الله واياك .

---

(١) فى ع : والمائه من الالاف وهو خطأ
(٢) فى ع : الى عشرة الاف وهو خطأ .
(٣) فى خ : والواحد أيضا .
(٤) فى ظ يزداد
(٥) فى خ : فكذلك أيضا لولا اللـه
(٦) فى خ زيادة هى : وهو ينشيء العدد واليه يرجع شيئا بعد شيء .

فاذا اسقطت العدد من آخره ورجعت الى اوليته اسقطت العدد الفا الفا ومائه مائة وعشرة عشرة وواحدا واحدا واحدا فيذهب العدد كله حتى ينتهى الى الواحد فلايبقى عدد ولا معدود فيبقى الواحد فلاتقدر ان تجزيئه فى نفسه فتسقطه لأنه ليس اثنين ولا ثلاثة وانما هو واحد لا يتجزأ ليس بعدد ولا يبقى (١) الا الواحد فلو قدرت اسقاط الواحد بعينه حين لم تقدر على تجزئته وتبعيضه لم يوجد عدد ولا معدود بوجه ولا حال (٢) فكذلك، لو قدرت اعدام الموجودات من الكثرة شيئا بعد شيء حتى تنتهى الى الواحد جل وعز لانعدمت الأشياء كما انعدم العدد به بحلك لاجزائه حتى انتهيت الى الواحد ولم يبق الا الله فلا تقدر على ان تسميه باسم الاثنين ولاغيره ولا ان تجزئه فلو قدرت عدم الاله جل جلاله لم يوجد شيء (٣) معه من الأشياء وذلك محال لان الأشياء قد وجدت به فافهم فهمك الله فانه قد جاز ان يسقط العدد كله بالتحليل بعد التركيب حتى ينتهى الى الواحد ولا يكون معه شيء من العدد ولم يجز ان تسقط الواحد لأنه لا ينحل ما ليس بمركب فكذلك البارى عز وجل كان وحده ولا بد من وجوده فهو واجب وجوده لا محالة (٤) كما وجود الواحد شرط واجب فى وجود الأعداد وليست الأعداد شرطا فى وجود الواحد فقد ثبتت الأولية الواحد العدد وثبتت التبعية للعدد بعده كما ثبتت الأولية للبارى جل جلاله وثبت الحدوث بعد أوليته لجميع المخلوقات ولله الحمد والمنه على الهداية .

---

(١) فى بقية النسخ " فلا يبقى "

(٢) فى ظ ، ت : بوجه ولا على حال

(٣) فى ظ خ شيء من الأشياء

(٤) فى خ : فهو واجب وجودا ولا محالة .

فان اعترضك قلة الفهم وقلت لا افهم القسمة التى ذكرت فى العدد وكل واحد فى نفسه من العدد لا يتجزأ فزدنى بيانا . (١)

فاعلم انك اذا اردت قسمة المائه قلت نصفها خمسون وربعها خمسة وعشرون وثلثها ثلاثه وثلاثون ويبقى واحد من المائه زايد على الثلاثة أثلاث فلا تقدر على قسمته (فانه الواحد المذكور) (٢) (فان زدت عليه اثنين وقسمت صار كل واحد فى نفسه لا يتجزأ) (٣) .

وكذلك العشرة نصفها خمسة وثلثها ثلاثه ويبقى واحد من العشرة فلاتقدر على قسمته لأنه واحد فى نفسه لا يتجزأ فان زدت عليه اثنين قسمته فقلت كل واحد ثلث الثلاثه وكل واحد فى نفسه لا يتجزأ فالعدد كله ينقسم على العشر والتسع والثمن والسبع والسدس والخمس والربع والثلث والواحد فى نفسه لا ينقسم أبدا كذلك المخلوقات كلها تألفت من الأفراد التى هى الجواهر فضم (٤) جوهر الى جوهر فكانت اعداد المخلوقات لا يتناهى كما ضم افراد العدد بعضها الى بعض فكان العدد لا يتناهى فأفراد العدد بمنزلة الجواهر التى تألفت منها المخلوقات وكل جوهر فى نفسه فرد لا يتجزأ دلالة على الواحد جل جلاله ولو أخذت جسما واحدا من المخلوقات مثل جسد الانسان وجدته تألف من أعداد لا تحصى من الجواهر ضم بعضها الى بعض حتى صار جسما واحدا فسمى باسم الواحد وهو فى نفسه اعداد كثيرة كما ان اسم الواحد واقع على الألف والألف فى نفسه عدد كثير فكما ان الواحد ضم العدد (٥) الالف بعضه الى بعض فصار به واحدا كذلك الله جل جلاله

---

(١) فى ظ ، ت فزدنى فهما

(٢) زيادة فى كل من ظ ، ت ، خ

(٣) زيادة فى خ

(٤) فى خ : بضم وهو أصح

(٥) فى ظ ، خ : ضم عدد الألف

هو أول الأشياء واحدا وضم أجزاء المخلوقات بعضها الى بعض والفها حتى صارت شيئا واحدا حتى ان ملكه كله انما هو شيء واحد وملك واحد لـرب واحد لا يقال له ملكان ولا ثلاثه ولا أربعة انما ملكه سبحانه ملك واحد لملك واحد وان كثرت العوالم الى ملا يحصى فيضم عالم الى آخر الى مائة الف عالم أو اكثر او انقص فيرجع الكل واحدا معتمدا على ملك واحد متعبدا لواحد كما كانت اجزاء الجسد كله جواهر لا تحصى وضمها الجسم فكانت به واحدا فسبحان الله ما اكثر دلايله وما ابين وحدانيته والوهيته ولو كان غير ما ذكرت لك لم يجز بوجه ولا حال وهو حقيقة معنى قوله عز وجل :

(لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا) (١)

لمن فهمه الله ذلك .

فانظر بهذا النظر فى جميع المخلوقات من الذرة الى ما فوقها لولا الوحدانية لما وجدت بوجه فان جسم الذرة من اعداد لا تحصى ومعنى الوحدانية ضمها حتى صارت موجودة ولو قدرت افتراق اجزائها بعضها من بعض لتلاشت وانعدمت ولم توجد كذلك لو قدرت افتراق جميع العوالم بعضها من بعض وافتراق جواهرها (٢) بعضها من بعض وزال عنها اسم الوحدانية التى تمسكها لفسدت ولم توجد .

مثال ذلك : ان تقدر طرح اجزاء جسدك فتخلله من تركيبه وهو واحد فى نفسه فتسقط اليد من (٣) الذراع والأصابع من اليد والرأس من العنق والأعضاء بعضها من بعض (فتكثرت وتفصلت بعضها من بعض) (٤) ثم تفصل كل عضو بعضه من بعض فيتلاشى الجسد ولا يوجد .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٢

(٢) جملة وافتراق جواهرها نقصت من خ .

(٣) فى خ فتسقط اليدين

(٤) ما بين القوسين سقط من خ .

فصـــل : (١)

فان اردت (٢) التركيب بالتقدير كما كان أول مرة عاد واحدا وظهر وجوده واستقام فلم يظهر وجوده ولا استقام أمره (٣) حتى صار واحدا وهكذا اجـزاء الأرض انضمت (٤) بعضها الى بعض فصارت واحدا ولو قدرت انفصال اجزائها بعضها من بعض لتلاشت وهكذا جسم البحر لو فصلته خلجانا خلجانا (٥)ونقطة نقطة لتلاشى واذا قدرت ضم أجزائه بعضها الى بعض ظهر وجوده واستقـــام أمره وهكذا الهواء والأفلاك والسماوات وجميع المخلوقات كائنا ما كان وهكذا (٦) الأرواح كل روح واحد فى نفسه وبضم بعضها الى بعض صارت عالما واحـــدا وبضمها الى الأجسام فصارت مع الأجسام كشىء واحد استقام أمرها ،ومن هــذا تفهم قوله عليه السلام :

((الجماعة رحمة والفرقة عذاب)) (٧)

---

(١) الكلام متصل بدون ذكر كلمة فصل فى كل من ظ ،ت وهو الأصح .

(٢) فى جميع النسخ فان ردت وهو الصواب .

(٣) فى ظ ،خ : ولا استقام حتى

(٤) فى ظ انضم

(٥) سقطت " خلجانا الثانيه من خ .

(٦) فى ظ ،خ ،ت : وكذلك .

(٧) ذكره الامام احمد فى مسنده عن النعمان بن بشير وفيـه :

من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب "

وقال " البنا " فى تخريجه ما نصه :

(أورده الهيثمى وقال : رواه عبد الله يعنى ابن الامام أحمد وابو عبد الرحمن راويه عن الشعبى لم أعرفه وبقية رجاله ثقات اهـ . . وكذلك أورده الحافظ المنذرى وقال رواه عبد الله بن احمد فى زوائده باسناد لا بأس به ورواه ابن ابى الدنيا فى كتابه (اصطناع المعروف باختصار .) راجع مسند الامام احمد ج ٤ ص٢٧٨ ،٣٧٥ والفتح الربانى لترتيب مسند احمد ج ١٩ ص ٩٥

وانظر تخريجه فى كتاب السنه لابى : بكر الشيبانى ج ١ ص ٤٤

فان هذه هى الرحم الواشجة (١) المتعلقة (٢) بعضها ببعض المؤتلفة (٣)
بعضها الى بعض فصارت شيئا واحدا وطكا واحدا لطك، واحد رحيم راحـــم :
((ومن فارق الجماعة شبرا فقد خلق ربقة الاسلام من عنقه ٠٠)) (٤)
وله أسلم من فى السموات والأرض ،كل له قانتون (٥)
وتفهم هذا جدا تفهم منه (وجود) (٦) جهنم فى الوجود وكيف كان

---

(١) فى أ ،ظ ،خ :هى الرحمة والصواب الرحم لأن الواشجة فى اللغه صفه للرحم
يقال الرحم الواشجه اى المشتبكه .
(٢) فى خ : المتعلق .
(٣) فى خ : المؤتلف .
(٤) هذا من حديث طويل
رواه احمد بلفظ (٠٠ فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقـــة
الاسلام من عنقه الى ان يرجع ٠٠)) الفتح الربانى بترتيب المسندج ٢٠ ص١٢٨
ورواه الترمذى فى سننه فى كتاب الأمثال برقم٢٨٦٣
وقال عنه :هذا حديث حسن صحيح غريب
وذكره ابن حجر فى فتح البارى أورده ثم قال :
اخرجه الترمذى وابن خزيمة وابن حبان وصححا من حديث الحارث بـــن
الحارث الأشعرى فى اثناء حديث طويل ،وأخرجه البزار والطبرانى فـــى
الاوسط " من حديث ابن عباس ٠٠٠ فتح البارى المجلد ١٣ ص ٧
(٥) يفهم من هذا النص انه بجملته آية من القرآن الكريم ــ وان كان المؤلف لـــم
ينص على انه من قوله تعالى ــ غير أنى لم اجد نصا فى القرآن بهذا اللفـظ
بل اخذ المؤلف ذلك من قوله تعالى (٠٠٠ وله اسلم من فى السموات والارض)
سورة آل عمران من الاية ٨٣
(٠٠٠ كل له قانتون ٠٠) من الآية ١١٦ من سورة البقرة ومن الآيه ٢٦
من الروم .
(٦) الزياده من ظ ،خ ،ت

سبب العذاب والفساد ولأى شيء كانت جهنم على صورتها المذكورة فـــى القرآن والأخبار ، والفزع الاكبر والأصغر وتفهم منه صورة النعيم ودار النعيـم لأهل الحق وتفهم من ذلك لأى شيء وقع القتال والعذاب فى دار الدنيـــا وفى دار الآخرة وتفهم منه فساد هذا العالم عند قيام الساعة وأقرأ قوله عز وجل :

(... وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) (١)

وتفهم واستعن بالله يعنك، وليس يمكن اكثر من هذا التفهم بالعلم (٢) والله أعلم .

فاذا فهمت ما تقدم تبين انه ليس فى العالم فراغ بوجـه ولا على حـــال والفراغ الذى يتوهمه الناس انما هو الهواء وكيف يكون الهواء فراغا وهو اعظـم خلقة من الارض والماء وانما هو جسم يأخذه الطول والعرض والعمق فليـــس فى العالم اذاً فراغ فاتصلت الموجودات بعضها ببعض كل جوهر الى الـــذى يليه وكل جسم الى الذى يليه وانزمت منضغطا حتى لا يمكن انفصال بعضهـــا من بعض فان انفصل جوهر أو جسم من جسم حصل الهواء بينهما فلم يكـــن ثم فراغ بوجـه فحق (٣) أقول ان العالم قد اتحد وصار جسما (٤) واحـدا ولو قدرت من العوالم مائة الف الف عالم لابد لها من هذا التوجيه يتصل عالـم بعالم فيكون الكل عالما واحدا .

وكذلك عالم الأرواح تألفت أيضا واتصل بعضها ببعض كل جنس الى جنـــس فان تناكرت وأنفصل بعضها من بعض فالتناكر أيضا خلق موجود بينهمـــــا بمنزلة الهواء للاجسام ، وانما كانت هذه الصورة للموجودات حتى صـــارت

---

(١) سورة ابراهيم من الاية ٤٦

(٢) فى ظ : بالقلم وفى خ : التفهيم بالقلم وهو الصواب

(٣) فى خ : فيحق أقول

(٤) فى ظ ،خ : وصار شيئا

كالماء في الاناء اذا امتلأبه لا فراغ فيه لأن وجود الواحد الحق الذى لا نهاية له قد (اكتنف) (١) مخلوقاته وزمها فهو الذى صيرها شيئا واحدا لأنهـــا من موجدها بمنزلة المعلوم فى نفس العالم به المحيط به فلو كان فى الطـــاء، الهة (٢) الا الله لذهب كل اله بطلكه وانحاز فى ناحية عن غيره وانفصلـــت الاشياء بعضها من بعض وأدى ذلك الى التلاشى المذكور ــ فيما تقدم (٣) فى تقسيم الجواهر وتحليلها ولم يكن اله ولا مألوه .

فالحق اذا هى الوحدانية والباطل هى الكثرة كما قال تعالى :

(ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ..) (٤)

فالباطل (٥) هو العدم الذى لا يجوز أن يكون موجودا والحق هو الوجـــود الذى (لا يجوز ان يكون معدوما ، والحق هو الشىء الواضح الظاهر البيـــن ، والباطل (٦) هو الشىء الخفى الذى) (٧) لا وجود له ، فلما ان كان البارى عز وجل هو الوجود الحق كانت أفعاله كلها حقا فتحقق وجودها به وبقـــى وجودها بموجدها الباقى الحق ، ولما ان كان الباطـــل لا وجود له كـــان كل من ادعى الهيا باطلا بضد ذلك (٨) فبطل وجود من ادعى ذلك وكـــان

---

(١) هذه الكلمة غير واضحة فى جميع النسخ وهى تحتمل أن تكون ، اكثف أو اكشـــف او اكتنف وأثبت الأخيرة لرجاحتها فى خ

(٢) فى خ الــه الا الله .

(٣) فيما تقدم : نقصت من : خ

(٤) سورة الحج الآية ٦٢

(٥) فى ظ ، خ : والباطل وراجــع ص ٨٨

(٦) فى خ والباطن وهو خطأ

(٧) الجملة بين القوسين سقطت من الصلب ووردت فى هامش وفيها غموض أوضحتــه بقية النسخ .

(٨) فى خ : يظن ذلك .

الآباد
يعرض البطلان والفساد أبد ولذلك كانت جهنم دار فساد قال الله عز وجل :

(... سيجزيهم وصفهم ...) (١)

وقال :

(... مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير) (٢)

ولما كان (٣) الههم الذى ادعوه لا وجود له الا في أوهامهم وظنونهم الكاذبة كانت النار جزاءهم ومولاهم على ذلك المعنى لأن النار لا ظهور لها الا في جسم تأكله وتفنيه فلو انعدم الكفر والعصيان من الوجود لم يكن للنار وجود ولما كان العدم الذى هو الباطل لا شيء أظلم منه ولا أخفى كانت جهنم سوداء مظلمة :

(... ان الشرك لظلم عظيم) (٤)

والظلم ظلمات (يوم القيامه) (٥)

وعلى هذا المعنى استقر جميعه في صفات جهنم (٦) وما ورد فيها (٧) وفي أهلها وتعذيبهم تجدها موافقة لعقائدهم وأعمالهم (٨) .

وبالضد من ذلك دار النعيم ، ولما كانت دار الدنيا ممتزجة من العالمين (واعمالهم) وكان فيها الخير والشر ومن كلا العالمين — أعنى الجنة

---

(١) سورة الانعام آية ١٣٩

(٢) سورة الحديد آية ١٥

(٣) في ظ ولما أن كان

(٤) سورة لقمان آية ١٣

(٥) الزيادة من ظ

(٦) في ظ خ : وعلى هذا المعنى استقر جميع صفات جهنم

(٧) في خ : كما ورد

(٨) كلمة " وأعمالهم " لم ترد في خ

والنار – زوجين اثنين كانت دار كون وفساد فاذا فصلت من الامتزاج بالقيامة عند غلبة الشر على الخير فسدت الدنيا وميز الخبيث من الطيب وعـــــاد كل واحد الى عنصره ولم يكن بعد الدنيا دار الا الجنـة أو النـــــار.

فصـــل :

واعلم أن العوالم كلها هى أفعال الله ومخلوقاته فليس فى الوجود الا الله وأفعالـه وجميع ما خلق من العوالم ملك واحد ـ كما تقدم ـ بمنزلة جسـد واحد وعلمه وصفاته محيطة بجزئيات المخلوقات وكلياتها .

واذا (١) اردت أن تفهم ذلك فهما شافيا ويتبين لك بطلان (٢) مذهب من يقول انه (٣) يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات وبطلان أيضا (٤) ... من يقول باضافة أفعال المخلوقات الى أنفسها (٥) ، وأنه ليس فـى الوجود فاعل الا الله (٦) وحده فانظر الى قول الله جل جلالـه :

(١) فى ظ ،خ : فاذا
(٢) فى ظ : بطلان قول . .
(٣) فى أ : بأنه يعلم
(٤) فى ظ : بطلان مذهب من يقول
(٥) فى خ : الى نفسها
(٦) كلام المؤلف هنا فى أفعال المخلوقات يحتاج منا الى أن نبين المذاهب فـى أفعال العباد ونبين رأى السلف فى ذلك .

ومن المعلوم انه بعد ان وجدت بدعة القدرية التى ابتدعها بالبصرة معبـد الجهنى وانكر عليه الصحابة ذلك صار للناس بعد ذلك فى أفعال العباد اراء ومذاهب :

١ ـ فالقدرية وهم قسمان :

أ ـ القدامى منهم : انكروا علم الله بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم وقالوا بأنها مستأنفه العلم اى انما يعلمها سبحانه بعـد وقوعها وأفعال العباد عندهم صادرة عن قدرتهم.

قال القرطبى وغيره : قد انقرض هذا المذهب ولا نعرف احدا ينسب اليه من المتاخرين .

ب ـ القدرية المتأخرون ويعرفون بالمعتزلة أصحاب واصل بن عطـاء قالوا : يعلم الله عز وجل بالأفعال قبل وقوعها كما يقول السلـف لكن قالوا :

ان أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال وانهم هم الخالقون لافعالهم.

....

٢ — مذهب الجبرية :

وهم الجهميه أصحاب جهم بن صفوان قالوا :

ان الانسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وانما هو مجبور في افعاله لا قدرة له ولا اختيار وانما يخلق الله تعالى الافعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب اليه الافعال مجازا كما ينسب الى الجمادات كما يقال اثمرت الشجرة وجرى الماء وطلعت الشمس .

٣ — مذهب الاشاعرة :

أن الافعال مخلوقة لله وليست من خلق العباد بل هي كسب للعبد وقالوا : ان قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاتها وان الله اجرى العادة بخلق مقدورها مقارنا لها فيكون الفعل خلقا من الله وابداعا واحداثا وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته فالعبد ليس محدثا لافعاله ولا موجدا لها ، وهذا القول يؤول بهم الى مذهب الجبر وهم يقولون لدرء هذا الاعتراض بأنا لا نقول بالجبر المحض بل نثبت للعبد قدرة حادثه والجبرى المحض الذى لا يثبت للعبد قدرة .

٤ — مذهب السلف :

اتفق سلف الأمه وائمتها مع ايمانهم بالقضاء والقدر وان الله خالق كل شيء وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء : ان العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم ان العباد لا يشاؤون الا ان يشاء الله فهم فاعلون حقيقة وأفعالهم تنسب اليهم على جهة الحقيقة لا على جهة المجاز والله خالقهم وخالق افعالهم .

واذا وازنا بين هذه المذاهب وبين كلام المؤلف في هذا الفصل وجدنا المؤلف مع الاشاعرة في وصفهم للعبد بالقدرة والاختيار على افعاله ثم سلبهم لهذه القدرة بقولهم ليس لها اثر في فعله وانما هي مقارنة لوجود الفعل الاختياري عند ما يخلقه الله في العبد وسموا مقارنة هذه القدرة للفعل كسبا ، والمؤلف صرح بمسألة الكسب في ما سيأتي في الشعبة ٣٣ : الايمان بالاقدار في قوله : —

(لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) (١)

فذكر الانسان بجملته مجملا ولم يذكر أجزاءه ولا أفعاله ثم اذا أراد أن يبين احاطة علمه وقدرته بجميع اجزائه وأفعاله ذكره عضوا عضوا وجزءا جزءا فذكــــر أصل خلقنه وأولهـــا فقال :

(افرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) (٢)

ولا يذكر الذاكر بكلامه ولا يصف الا ما يعلم بعلمه ويراه ببصره (٣) ويحيــط به احاطة كاملة ، ثم ذكر أنه خلقه من سلالة ثم من نطفة ثم من علقة الى ان قال

(... ثم أنشأناه خلقا آخــر ...) (٤)

= الأصــل الثالــث : العلم بأن الأعمال كسب للعباد لانها خلق لهم يراجع : صحيح مسلم بشرح النووى المجلد الاول ص ١٣٠ ،فتــــح الباري ج ١ ص ١١٨ ،الفصل لابن حزم ج ٣ ص ٥٤ وج ٤ ص ١٩٢ ،وشرح المواقف ص ٢٣٧ ،الملل والنحل للشهرستانــــى ج ١ ص ١١٣ ،مجموع فتاوى ابن تيميه ج ٨ ص ٤٥٦ ، شــــرح الطحاوية ٣٠٥ ، شرح أصول اعتقاد أهل السنه اللالكائــــى ٥٢١ ،خلق افعال العباد للامام البخارى تحقيق عبد الرحمن عميره ، مجموع الرسائل والمسائل لابن تيميه ج ٥ ص ١٤٢

(١) سورة التين آيه : ٤

(٢) سورة الواقعة آية ٥٨ — ٥٩

(٣) فى خ ويراه وببصــره

(٤) سورة المؤمنون آية ١٤

فوصف أطوار خلقته على ما هي عليه الى حين خروجه طفلا ثم اذا اراد ذكر اجزائه وصف وجهه فيقول :

(.. مكبا على وجهه) (١) (تعرف في وجوههم) (٢)

و(.. ابيضت وجوههم ..) (٣) (.. وصوركم فأحسن صوركم ..) (٤)

واذا ذكر البصر قال :

(وأبصاركم ..) (٥)

واذا ذكر الأذن قال :

(... في اذنيه وقرا ..) (٦) (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) (٧)

(في اعناقهم) (... فاضربوا فوق الاعناق ..) (٨) (.. السن بالسن) (٩) (والانف بالأنف والاذن بالاذن ..) (١٠) (.. من بين الصلب والترائب) (١١) (حصل ما في الصدور) (١٢) (في بطونهم) (١٣) (أيديهم ...) (... وارجلهم ..) (.. الى المرافق) (١٤)

(.. ويحفظوا فروجهم ..) (١٥) (ختم الله على قلوبهم .....) (١٦)

---

(١) سورة الملك، من الآية ٢٢

(٢) سورة المطففين آية ٢٤

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٠٢

(٤) سورة غافر من الآية ٦٤ وسورة التغابن من الاية ٣

(٥) سورة الانعام من الاية ٤٦

(٦) سورة لقمان من الآية ٧

(٧) سورة البلد آية ٨ ، ٩

(٨) سورة الانفال من الاية ١٢

(٩ ، ١٠) سورة المائدة الاية ٤٥ مع ملاحظة عدم الترتيب

(١١) سورة الطارق الايه ٧

(١٢) سورة العاديات الاية ١٠

(١٣) وضعت في البقرة ١٧٤ وفي النساء ١٠ ، وفي الحج ٢٠

(١٤) سورة المائده من الآية ٦

(١٥) سورة النور من الآية ٣٠

(١٦) سورة البقرة من الآية ٧

(... لمن كان له قلب ..) (١) (ثم لقطعنا منه الوتيـــن) (٢)

(.. حبل الوريد) (٣)

فيصف الجسد عضوا عضوا اذا أراد ذكر اجزائه فاذا وصفه بجملته قــال :

(الانسان) (٤)

فاذا وصف أفعاله قال :

(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) (٥) (واسروا قولكم أو اجهـــروا به ..) (٦) الآية (كلوا واشربوا ..) (٧) (.. يأكلوا ويتمتعوا) (٨)

(ان فى صدورهم الا كبر ..) (٩) (ولتعرفنهم فى لحن القول ..) (١٠)

(الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) (١١) (الزانية والزاني) (١٢)

(السارق والسارقة) (١٣)

فيصف أوصاف بنيته وأوصاف أفعاله ظاهرا وباطنا كذلك الطلاق كله اذا ذكـــره بجملته قال :

---

(١) سورة ق من الاية ٣٧

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٦

(٣) سورة ق من الآية ١٦

(٤) ملاحظة : الكلمات التى أوردها المؤلف على أنها من القرآن ووجدتها ذكرت فى أكثر من موضعين لم اذكر مكانها واحيل القارىء على المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم.

(٥) سورة غافر آية ١٩

(٦) سورة الطلاق آية ١٣

(٧) فى البقرة آية ٦٠ والاعراف ٣١ والطور ١٩ والحاقه ٢٤ والمراسلات ٤٣

(٨) سورة الحجر آية ٣

(٩) سورة غافر آية ٥٦

(١٠) سورة محمد آية ٣٠

(١١) سورة الانفال ٢ والحج ٣٥

(١٢) سورة النور آيه ٢

(١٣) سورة المائده ٣٨

(خالق كل شيء ٠٠) (١) (وكان الله بكل شيء عليما) (٢) (والله بكل شيء عليم) (٣) و (بصير) و (على كل شيء قدير)

فاذا أراد ذكر أجزاء الملك، كله عالما عالما وجنسا جنسا (٤) وشخصا شخصا ذكره بما هو عليه فيقول :

(رفع السموات بغير عمد) (٥)

فتجد ذلك، كما ذكره لا زيادة ولا نقصان .

والأرض وضعها للأنام) (٦) الشمس سراجا والقمر نورا (٧) (الجوار الكنس) (٨) (النجوم مسخرات) (٩) (بمواقع النجوم) (١٠) (الرياح مبشرات) (١١) (ريحا صرصرا) (١٢) (ينشيء السحاب الثقال) (١٣)
(أنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) (١٤) (يريكم البرق) (١٥)

---

(١) سورة الانعام ١٠٢ ، الرعد ١٦ وفي مواضع أخرى
(٢) سورة الاحزاب آية ٤٠ والفتح ٢٦
(٣) سورة البقره ٢٨٢ والنساء ١٧٦
(٤) في ظ ، خ : وجسما جسما
(٥) سورة الرعد "٢" وقد أوردها المؤلف بالافراد (رفع السماء)
(٦) سورة الرحمن الآيه ١٠
(٧) يشير الى الآية ١٦ من سورة نوح (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا)
(٨) سورة التكوير الآية ١٦
(٩) سورة الاعراف ٥٤ والنحل ١٢
(١٠) سورة الواقعة ٧٥
(١١) سورة الروم من الآية ٤٦
(١٢) سورة فصلت ١٦ والقمر ١٩
(١٣) سورة الرعد الآيه ١٢
(١٤) سورة النبأ ١٤
(١٥) سورة الرعد ١٢ والروم ٢٤

(.. يسبح الرعد بحمده ...) (١) (يرسل الصواعق) (٢)
(سخر البحر) (٣) (.. الجوار فى البحر كالأعلام) (٤) (لتأكلوا
منه لحما طريا) (٥) (الخيل .. البغال .. الحمير .. الابل ..
البقر اثنين ، المعز اثنين) (.. من يمشى على بطنه ..) (على رجلين)
(على اربع) (.. طائر يطير بجناحيه ..) (٦) الجنه .. النار .. العرش
العظيم (وسع كرسيه السموات والأرض) (٧) (التين والزيتون) (٨)
(البلد الأمين) (٨م) (من طور سيناء) (٩) (شجرة تخرج)(٩م)
(وهذا البلد آمنا) (١٠) (.. الليل اذا يغشى .. النهار

---

(١) سورة الرعد آيه ١٣
(٢) سورة الرعد آيه ١٣
(٣) سورة النحل آيه ١٤
(٤) سورة الشورى آيه ٣٢
(٥) سورة النحل آيه ١٤
(٦) سورة الأنعام آيه ٣٨
(٧) سورة البقره ٢٥٥
(٨) سورة التين آيه
(٩) سورة المؤمنون آيه ٢٠
(١٠) سورة التين

اذا تجلى) (١) (.. الشفق ..) (٢) (.. الصبح اذا تنفس)(٣)
(والفجـر) قوم نوح .. قوم موسى عباد .. ثمود .. قوم ابراهيـم
قوم لوط .. فرعون ال فرعون هامان قارون ابى لهب (.. امراتـه
حمالة الحطب..) (٤) بنى آدم الجن الانس الملئكـة الصـراط
الموازين (حور مقصورات ..) (٥) (سدر مخضود) (٦) (شجـرة
الزقوم) (٧) (الدرك الأسفل) (٨) (الدرجات العلى) (٩)والنخل
والزرع مختلفا اكله الزيتون الرمان من كل الثمرات المشرقين المغربين
المشارق المغارب (.. ويخلق مالا تعلمون..) (١٠) وعلـى
الجملة فلا اقدر على وصف بعض ما ذكر الله تعالى بكلامـه ووصفه لاجزاء
المخلوقات حتى الذره والخرذله فقد قال :
(ان الله لا يظلم مثقال ذرة..) (١١) (..وان كان مثقال حبة مـن
خردل ..) (١٢) (.. وما تسقط من ورقة.. ولا رطب ولا يابس.) (١٣)

---

(١) سورة الليل آيه ١
(٢) سورة الانشقاق آيه ١٦
(٣) سورة التكوير آيه ١٨
(٤) سورة المسد آيه ٤
(٥) سورة الرحمن آيه ٧٢
(٦) سورة الواقعه ٢٨
(٧) سورة الصافات ٦٢ والدخان ٤٣
(٨) سورة النساء آيه ١٤٥
(٩) سورة طـه آيه ٧٥
(١٠) سورة النحل آيه ٨
(١١) سورة النساء آيه ٤٠
(١٢) سورة الانبياء آيه ٤٧
(١٣) سورة الأنعام آيه ٥٩

حتى قوله جل وعـــز :

(.. أو جاء احد منكم من الغائـط..) (١)

فهو يصف الوجود كله ظاهرا وباطنا وأفعاله وحركاته وأجزاءه وأجزاء اجزائـــه ولا يصف الـــواصف ولا يذكر الذاكر الا مايرى ويشاهد ويعلم فتبا للقائليـــــن أنه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات ، وتبا لمن يقول ان أحدا يفعل فعـــلا في الوجود كله والله يقـــول :

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم..) (٢)

---

(١) سورة النساء آيه ٤٣ والمائده آيه ٦

(٢) سورة الأنفال الآية ١٧

وقد ذكر أبن تيميه في هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : انه مبني على ان الفعل المتولد ليس من فعل الأدمي بل من فعل الله والقتل هو الازهاق وذاك متولد . وهذا قد يقوله من ينفي التولد وهو ضعيف لأنه نفي الرمي أيضا وهو فعل مباشر ولانه قال : (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)وقال : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) فاثبت القتل ولأن القتل هو الفعل الصالح للازهاق ليس هو الزهوق ،بخلاف الاماتـــه .

الثاني : أنه مبني على خلق الأفعال وهذا قد يقوله كثير من الصوفية ،واظنــه مأثورا عن الجنيد سلب العبد الفعل نظرا الى الحقيقه لان اللـــــه هو خالق كل صانع وصنعته وهذا ضعيف لوجهين :

أحدها : أنا وان قلنا بخلق الفعل والعبد لا يسلبه بل يضاف الفعل اليه أيضا فلا يقال ما آمنت ولا صليت ولا صمت ولا صدقـــــت ولا علمت فان هذا مكابرة اذ أقل أحواله الاتصاف وهو ثابت

[الثاني]: وأيضا فان هذا لم يأت في شيء من الأفعال المأمور بهـــا الا في القتل والرمي ببدر ولو كان هذا لعموم خلق اللـــه أفعال العباد لم يختص ببـــدر . .

الثالث : ان الله سبحانه خرق العادة في ذلك فصارت رؤوس المشركين تطيـــر قبل وصول السلاح اليها بالاشارة وصارت الجريـــــــــده تصير سيفا يقتل بـــه وكذلك رمية رسول الله صلى الله عليه وسلـــم

(.. وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ..) (١)

أصابت من لم يكن في قدرته أن يصيبه فكان ما وجد من القتل واصابة الرمية خارجا عن قدرتهم المعهوده فسلبوه لانتفاء قدرتهم عليه وهذا اصح وبه يصح الجمع بين النفي والاثبات (وما رميت) اى ما اصبت (اذ رميت) اذ طرحت (ولكن الله رمى) أصاب .

وهكذا كل ما فعله الله من الأفعال الخارجة عن القدرة المعتادة بسبب ضعيف كانباع الماء وغيره من خوارق العادات أو الأمور الخارجة عن قدرة الفاعل وهذا ظاهر فلا حجة فيه لا على الجبر ولا على نفي التوليد .مجموع فتاوى ابن تيميه ج ١٥ ص ٣٩

(١) سورة الانفال آية ١٧

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ...) : (.. قوله : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) لم يرد به أن فعل العبد هو فعل الله تعالى - كما تظنه طائفة من الغالطين -فان ذلك لو كان صحيحا لكان ينبغي ان يقال لكل أحد حتى يقال للماشي : ما مشيت اذ مشيت ولكن الله مشى ويقال للراكب : وما ركبت اذ ركبت ولكن الله ركب ويقال للمتكلم : ما تكلمت اذ تكلمت ولكن الله تكلم ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم والمصلي ونحو ذلك وطرد ذلك يستلزم ان يقال للكافر ما كفرت اذ كفرت ولكن الله كفر ...

ومن قال مثل هذا : فهو كافر ملحد خارج عن العقل والدين ، ولكن معنى الآية :أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر رماهم ولم يكن في قدرته أن يوصل الرمي الى جميعهم فانه اذ رماهم بالتراب وقال : شاهت الوجوه " لم يكن في قدرته أن يوصل ذلك اليهم كلهم فالله تعالى أوصل ذلك الرمي اليهم كلهم بقدرته يقول :وما أوصلت اذ حذفت ولكن الله أوصل ، فالرمي الذى اثبته له ليس هو الرمي الذى نفاه عنه فان هذا مستلزم للجمع بين النقيضين بل نفى عنه الايصال والتبليغ واثبت له الحذف والالقاء ، وكذلك اذا رمى سهما فأوصله الله الى العدو ايصالا خارقا للعادة كان الله هو الذى أوصله بقدرته .

راجع مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٣٢١

وانظر مرويات غزوة بدر أحمد محمد العليمي ص ٢١٥

ويعم ذلك قوله عز وجل :

(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) (١)

وقولـــه :

(والله خلقكم وما تعلمون) (٢)

(.. يضل من يشاء ويهدى من يشاء ..) (٣)

واما النظر (٤) فى ذلك من جهة العقل فان الأجساد انما هـي جمادات لا حراك لها ولا ادراك ، أى جسم كان من المخلوقات ، وانمـــا الأفعال والادراك للأرواح هى تصرف الأجساد فهى لها كالالات (للاجساد)(٥) والادراك العلمى وغيره انما هى للارواح (٦) أيضـا .

وهى كلها اعراض كائنه (٧) ومخلوقة فى الأرواح بعد ان لم تكـن فيها ، فالارادات (والقدر) (٨) والعلوم والفكر والالام واللذات والنوم واليقظه والحركة والسكون والموت والحياة والصبر والفرح والجزع والمحبة والبغضه ، وبالجملة : كل صفة أو عرض قائم بالأرواح انما هو مخلوق فى الأرواح بمعنى الجبر والاختيار فاذا كان الفعل اختياريا خلق له الاختيار فى ذلك الوقت وتحركـت الأجساد واذا كان جبرا خلق فيه جبرا فكان الجبر على الروح والجســـد سواء لا ينفك عنه واحد منهما ولو كان الأمر للأرواح تفعل ما تريد لكانت أروا ح

(١) سورة الجاثية آيه ١٣

(٢) سورة الصافات آية ٩٦

(٣) سورة النحل من الآية ٩٣ وسورة فاطر من الآية ٨

(٤) فى خ : وانما النظر

(٥) فى ع : للارواح وهو خطأ صححته من ظ والعبارة فى ت هكذا :
" فهى للارواح كالآلات للاجساد " وبها يستقيم المعنى

(٦) من قوله : هى تصـــرف .. الى قوله انما هى للارواح سقط من خ

(٧) فى خ : اعراض قائمـــة

(٨) سقطت كلمة (والقدر من ظ)

جميع المخلوقات كل واحد منها يفعل ما يريد ويحب ويجانب ما يكره ولا تبع كل واحد مراده وهواه :

(ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) (١)

فافهم فهمك الله (٢) .

ومن اعجب شيء وأغربه في هذا المعنى أن أرواح الملئكة والمقربين والحملة والحافين لما كانوا في محل القرب والمشاهدة والسماع للوحي كانت أفعالهم وحركاتهم بغير اختيار منهم وكانت تنفعل انفعالا وذلك ان الانسان اذا شاهد ملكا عظيما ذاهيبة وسطوة دخلت ذاته منه هيبة ورهبة وتواضع وذلة واستكانة وطاعة فان أمره بشيء لم يمتنع من الاستجابة للطاعة فكيف بملك الملوك الذي لا يسع كلامه الا سمعه الذي وسع ذاته ولا يحمل نظره وقدرته شيء غيره وكذلك ورد :

" انه ينظر الى العرش فيتسع اضعاف ما هو عليه ويثقل على الحملة" أو كما ورد (٣)

((قال جبريل عليه السلام : وكيف لو رأيت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود كالوضع)) (٤) .

---

(١) سورة المؤمنون آية ٧١

(٢) كلمة " فافهم فهمك الله " لم ترد في خ

(٣) لم أجد هذا الحديث في الكتب المشهورة التسعة .

(٤) لم أجده في كتب الحديث المشهوره وانما ذكره النيسابوري في تفسير غرائب القرآن المطبوع بهامش تفسير الطبري ج ٢٤ ص ٢٧ وذكره الرازي في التفسير الكبير ج ٢٧ ط ٢ ص ٣١ وكلاهما ينقله عن الزمخشري في الكشاف وقال المعلق عليه عن هذا الحديث : لم أجده ج ٤ ص ١٥١ وفسروا كلمة الوضع بأن الوضع : طائر صغير شبيه بالعصفور .

(يسبحون الليل والنهار لا يفترون) (١)

ولذلك، كانت دورات الافلاك والنجوم لا تفتر طرفة عين ولا أقل ولا أكثر قائمة من المشرق الى قرب الاستواء ، ثم مستوية فى قيامها فى حال الاستواء ثم راكعة بعد الزوال وساجدة فى حال الغروب ثم دائرة طائفة حول الأرض أبدا لا تستطيع العصيان ولا المخالفة فصارت الطاعة والانقياد لها طبعا مطبوعا ثم كلما بعدت الأشياء عن مشاهدة الحضرة العلية شاهدت أنفسها وذواتها وذهلت عن مشاهدة مالكها وباريها فتوهمت أنها فاعلة الى غير ذلك، مما دخل عليها من (فساد) (٢) العقايد والأفعال فمن هنا ، دخلت عليها الآفات ومن أضاف حركة واحدة الى شيء من المخلوقات فقد أشرك ، فلابد لك من توحيد الأفعال فلايتم التوحيد الا بـه .

---

(١) سورة الانبياء آية ٢٠

(٢) فى ع ،أ : فسايد والصواب " فساد " كما فى بقية النسخ ويصح فسود ولا يصح فسايد لأن المصدر المؤكد لا يثنى ولا يجمع ،راجع أوضح المسالك الى الفية ابن مالك ٢٨٩ ومعانى القرآن للفراء ج ١ ص ١٢٤

فصـــل :

واعلم ان التوحيـد في نفسـه ثلاث مراتـب :

توحيد الأفعال ، وتوحيد صفات الفاعل وتوحيد وجود ذات الفاعل . (١)

---

(١) يقول شارح الطحاويه رحمه الله :

(ثم التوحيد الذى دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان :

توحيد في الاثبات والمعرفة وتوحيد في الطلب والقصـد .

فالأول : هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله واسمائه ليس كمثله شيء في ذلك، كله كما اخبر به عن نفسه وكما اخبر رسوله صلـى الله عليه وسلم وقد افصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح كما في أول (الحديد) و(طه) وآخر (الحشر) وأول (الم تنزيل السجده) وأول (أل عمران) وسورة (الاخلاص) بكمالها وغير ذلك.

والثاني : وهو توحيد الطلب والقصد مثل ما تضمنته سورة (قل ياايها الكافرون) و (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) آل عمران : ٦٤ وأول سورة (تنزيل الكتاب) وأخرها وأول سورة (يونس) وأوسطها وأخرها وأول سورة (الأعراف) وأخرها وجملة سورة (الأنعام)

وغالب سور القرآن متضمنه لنوعي التوحيد ، بل كل سورة في القرآن ، فالقرآن اما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري واما دعوة الى عبادته وحده لاشريك له وخلع ما يعبد من دونه فهـو التوحيد الارادى الطلبي واما أمر ونهي والزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، واما خبر عن اكرامه لاهل توحيده وما فعل بهـم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده ، واما خبر عـن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم فـي العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهلـه وجزائهم .

شرح العقيدة الطحاويه ط ٦ ص ٨٨

....

= وعقب الدكتور محمد الهراس فى كتابه دعوة التوحيد على هذا التقسيم بقوله :
وواضح ان هذا التقسيم الذى ذكره شارح الطحاوية انما هو باعتبار مايجب على الموحد فاحيانا يطلب منه مجرد العلم والمعرفه بعقيدة التوحيد ، وأحيانا يطلب منه توجيه القصد والارادة واخلاص العبادة لله ،
أما تقسيم التوحيد باعتبار متعلقه فيذكره فى مكان آخر حيث يقول :
فان التوحيد يتضمن ثلاثه انواع :
أحدها : الكلام فى الصفات
والثانى : توحيد الربوبيه وبيان أن الله وحده خالق كل شىء
والثالث : توحيد الالهيه وهو استحقاقه أن يعبد وحده لا شريك لـه
دعوة التوحيد ط ٢ ص ١٢
وراجع شرح الطحاويه ص ٧٦
والمؤلف لم يسلك هذه الطريقة التى جاءت عن السلف بل سلك طرق المتكلمين قال عنها ابن تيميه :
فان عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد فى كتب الكلام والنظر :
غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة انواع : فيقولون :
هو واحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا شبيه له وواحد فى أفعاله لا شريك لـه وأشهر الأنواع الثلاثه عندهم هو الثالث وهو " توحيد الأفعال " وهو ان خالق العالم واحد وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وان هذا هو معنى قولنا لا اله الا الله حتى قد يجعلوا معنى الالهية القدرة على الاختراع .
ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اولا لم يكونوا يخالفونه فى هذا بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شىء حتى انهم كانوا يقرون بالقدر أيضا وهم مع هذا مشركون .... الخ
راجع مجموعة فتاوى ابن تيميه ج ٣ ص ٩٧ — ٩٨

المرتبة الأولى :

توحيد الأفعال :

وهو اضافة الأفعال والمفعولات كلها الى الله وأنه خالق الذرة وأفعالها والفيل وأفعاله والعرش وأفعاله وخالق أعيان الموجودات كلها وأفعالها على كثرتها واختلافها فسبحان من لا يشغله شأن عن شأن لان الفعل من فاعلين بحال فى العقل والله يقول :

(والله خلقكم وما تعملون) (١)

(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) (٢)

(١) سورة الصافات الآية ٩٦

وقد اختلف فى " ما " فى الآية هل هى مصدرية ام موصوليه والصحيح الذى يدل عليه سياق الآية أن ما موصوليه اى خلقكم وخلق الاصنام التى تعملونها وسياق الآية لا يجوز ان تكون مصدرية أى " خلقكم وعملكم " لأن ابراهيم عليه السلام انما انكر عليهم عبادة المنحوت لا النحت. والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى وهو ما صار منحوتا الا بفعلهم فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقا لله تعالى ولو لم يكن النحت مخلوقا لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقا له بل الخشب او الحجر لا غير :

راجع شفاء العليل ... لابن القيم ص ١١٠

مجموعة فتاوى ابن تيميه ج ٨ ص ٧٩ — ٨٠

شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٩٦

وفتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٣ كتاب التوحيد ص ٥٢٨

(٢) الأنفال الاية ١٧ وقد تقدم تفسيرها . ١٣٣

(.. قل كل من عند اللـــه) (١)

ولو كانت أفعال العباد وحركاتهم في ظواهرهم وبواطنهم مضافة اليهـــم لأدى ذلك الى أن العاجز قادر والقادر عاجز وهذا محال لأن الحركـات لو كانت للعباد لكانت (٢) باختيارهم والاختيار والقدرة ليس للعبد بهمـا علم قبل حدوثهما فيه ولا قبل الفعل ولا يقدر أيضا على ردها بعد أن حدثت فيه ولا بعد الفعل فاذا لم يكن له بها علم قبل الفعل ولا قبل حدوثهـــا فيه ولا قدرة له على ردها بعد الفعل لم يبق الا انها محدثة فيه في حيـن الفعل ثم تزول بزوال الفعل (٣) فان أريـد منـــه فعـــل آخـــــر

---

(١) سورة النساء الآية ٧٨ والآية بكمالها :

(.. اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنـة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل مـن عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)

قال ابن تيمية رحمه الله في الرد على الجبرية في استدلالهم بهذه الآيـــة في كتابه : الحسنة والسيئة : وليس للقدرية المجبرة ان تحتج بهذه الآيـة على نفي أعمالهم التي استحقوا بها العقاب فان قوله " كل من عند الله " هو النعم والمصايب ولأن قوله :

(ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك" حجة عليهم وبيان أن الانسان هو فاعل السيئات وأنه يستحق عليها العقاب واللـــــه ينعم عليه بالحسنات ـ عملها وجزائها ـ فانه اذا كان ما اصابهم من حسنة فهو من الله فالنعم من الله سواء كانت ابتداء او كانت جزاء واذا كانت جزاء وهي من الله فالعمل الصالح الذي كان سببها هو أيضا من الله أنعم بهما الله على العبد والا فلو كان هو من نفسه كما كانت السيئات من نفسه لكان كل ذلك من نفســه والله تعالى قد فرق بين النوعين في الكتاب والسنه ...

الحسنة والسيئة لابن تيميه ص ٣١

(٢) في ت : اذا كانت باختيارهم .

(٣) في خ : ثم تزول بعد زوال الفعل .

أحدث له (١) اختيار آخر وقدرة أخرى

وانما الأشياء كلها كما قال تعالى في بعض الكتب

((كنت سمعه وبصره ٠٠٠٠)) (٢) الحديث (٣)

وكما ورد :

((٠٠ فبي يسمع وبي يبصر ٠٠٠)) (٤)

---

(١) في خ : حدث لـه

(٢) في أ ، ظ ، خ : وبصره ويده

(٣ ، ٤) هذين اللفظين من الطرق التي ورد بها حديث الولايه الذى سبق تخريجه ص٦٧

وقد اشكل كيف يكون البارى سمع العبد وبصره . . . الخ .

وقد أورد هذا الاشكال ابن حجر في فتح البارى ص ٣٤٤ من الجزء ١١ وأورد للجواب على هذا الاشكال جملة أقوال ولكني لا أرى واحدا منهـا هو قول المؤلف اذ المؤلف هنا أورد الحديث والآية دليلا على ماذهب اليه من ان العبد لا فعل له وأنه مجبور على أفعاله اذ هو يقول بالكسب الذى يقول به الأشاعره وهو يؤل بهم الى الجبر والحديث لا يساعده على رأيه هذا اذ فيه وجوه اخرى تدل على فساد تأويله للحديث .

وقد قال ابن تيمية في كلامه عن هذا الحديث ، في مجموع الفتاوى ج ٢ ص ٣٧٣ :

(٠٠٠ والحديث حق كما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فان ولي اللـه بكمال محبته لله وطاعته لله يبقى ادراكه لله وبالله وعمله لله وبالله فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه وما يسمعه مما يبغضه الحق أبغضه وما يراه مما يحبه الحق أحبه وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه ويبقى في سمعه وبصره من النور ما يميز به بين الحق والباطل كما قال النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته :

((اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصرى نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يسارى نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا واجعل لي نورا ٠٠) الخ .

اى هو يحرك سمعه وبصره وكل شيء منه ومن العالم لكن للولى بحكم الولايه وللعدو بحكم اللعنة

(... وأنه هو أضحك وابكى (١))

فتوحيد الأفعال : رؤية الأشياء وجميع حركات الأشياء من عند الله وان الأشياء بيد القدرة (٢) كالآلة بيد الصانع.

ولقد اخرج الله صنعة الخيال آية (٣) عظيمة على توحيده فلا تظنن أن الخيال أو شيئا من المخلوقات من حيث فعلها هو سبحانه أنه لعب (٤) ولهو بل يشاهدها كل أحد من مقامه وذلك أن الصور التى (٥) يتكلم صاحب الخيال فيها يظن الظان أن تلك الحركات للخيال وليس هى الا للمتكلم فى الخيال والمحرك للصور الخياليه فكذلك كل جزء من المخلوقات ظاهرا وباطنا ينفعل عن كلام الله تعالى وعن صفاته (٦) القائمة بكل شيء الذى (٧) هو أقرب الى كل شيء من كل شيء ويظن الظان أن الحركات مضافة للاشياء والظن اكذب الحديث .

---

(١) سورة النجم آية ٤٣

(٢) فى خ : وان الأشياء بين القدر وهو خطأ

(٣) فى ت : دلالة

(٤) فى ت : هو لعب وفى خ : أنها لعب وهو الأصح

(٥) فى خ : الذى

(٦) فى أ ، ظ ، ت : من معانى صفاته

(٧) فى ظ ، خ ، ت : التى هي

بيان :

فان قلت زدني بيانا فاعلم ان الانسان قد يكلم انسانا بكلام يرضيه فيظهر البشر والرضى على بشرة المخاطب ويكلمه بكلام (يؤذيه فيتغير بجملته ظاهرا وباطنا ويكلمه بكلام) (١) يغضبه فيغضب ويظهر في ظاهره (وفي باطنه) (٢) الغضب وبكلام يضحكه فيضحك وبكلام يبكيه او بخير (٣) يحزنه فيحزن ويبكى الى غيرذلك فما أكثر تعداده (٤) حتى ان الكلمة بين الخلق لتوقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يؤدى ذلك الى الحروب والقتل والشرور والعظيمة والمتكلم بها انما تكلم بكلمة أو كلمات والله تعالى يقول :

(انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٥)

والذات متكلم (٦) بالكلام الذى وسع وجود الذات وبكلامه (٧) قد ذكر كل شيء كما قال تعالى :

(ان هو الا ذكر للعالمين) (٨)

---

(١) ما بين القوسين من أ ،ظ ،خ

(٢) ما بين القوسين من ظ

(٣) في ظ أو خبر محزن

(٤) في أ : ما كثر تعداده وفي ظ ،ت ،خ : مما يكثر وهو أصح مما في الأصل

(٥) سورة النحل الاية ٤٠

(٦) في خ والذات متكلمة

(٧) في ظ ،خ : وكلامه قد ذكر

(٨) سورة التكوير الاية ٢٧

فالوجود كليه قد ذكره بكلامه فهو يتكون عن كلامه القايم بنفسه ويتصرف في جميع حركاته وسكونه (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه : ماله ضرب الله عنقه اليس هذا خيرا فقال الرجل في سبيل الله يارسول الله (فقال في سبيل الله) (١) فضربت عنقه في سبيل الله) (٢) فكيف بكلام رب العالمين .

فأتل كتاب الله وانظر اى مذكور ذكره (٣) تجد صورة المذكور في الوجود كما ذكر بلا زيادة ولا نقصان :

(انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) (٤)

والذى حدث عن كلامه في باطن الوجود (٥) هى الروحانيات لأن الروح نفخت في الجسد والجسد متحرك وساكن بالروح وليس له حركة بنفسه انما هو جماد ولا للمنفوخ الذى هو الروح حركة بنفسه ولا وجود الا بادامة النفخ من النافخ فالجسد يتحرك بالنفخة والنفخة صادرة عن النافخ بالضرورة فالمخلوقات كلها على هذا لم تملك من ظواهرها ولا من بواطنها قليلا ولا كثيرا . والنفخ من البارى على ما يليق به سبحانه فالذرة والبعوضة اذا رفعت رجلها أو جناحها او ضمته فالله يرفعه ويضمه والعين اذا فتحها الناظر بها أو غضها فالله يفتحه ويغضه (٦)

---

(١) ما بين القوسين من ظ وهو الصواب كما ورد في الحديث .

(٢) ذكره مالك في الموطأ عن زيد بن اسلم عن جابر بن عبد الله الأنصارى في باب ما جاء في لبس الثياب للجمال بها راجع شرح الزرقانى على موطأ الامام مالك ج ٤ ص ٢٦٧ الحديث رقم ١٧٥٣

(٣) في ت : ذكر

(٤) سورة النحل آية : ٤٠

(٥) ث ظ ، خ : في باطن الموجودات هي

(٦) في ظ ، ت : فالله يفتحها ويغضها وهو الأنسب

والرجل هو محركها ومسكنها والله يقبض الوجود كله ويبسطه واليه
يرجع الأمر كله لا اله الا هو "
فاذا فهمت ما تقدم من أن الوجود كله يتكون عن سماع الكلام فسأضرب
لك في ذلك مثلا لعل الله أن يفتح بصيرتك لفهم الفايده فيه بمنه وذلك
أن تقدر نفسك من حملة القرآن العظيم وقد حصل القرآن كله محفوظا
عندك وقايما بقلبك ثم تريد أن تقرأه فقدر أن لو قدرت أن تقرأه جملة
واحدة (و) (١) في حال واحدة فتخرج كلمات القرآن من أوله الى آخره
خروجا واحدا في حال واحدة ولا يمكنك ذلك الا بأن تقدر أن تجعل
ذاتك كلها ووجودك متكلما بجميع أعضائك ومفاصلك (٢) وعروقك
ويكون كل عضو متكلما بآية وحرف على حياله فيقول لسانك : بسم الله
ويقول : العضو الذي يليه الرحمن الرحيم والذي يليه : الحمد لله
رب العالمين والذي يليه : الرحمن الرحيم ،هكذا الى قوله : من الجنة
والناس وقدر أن يتأثر بكلامك كل مذكور ذكرته في حالة واحدة حتى تكون
في قراءتك وتلاوتك مثل قول

---

(١) الزياده من ت

(٢) في ت : وفواصلك

ابراهيم بن أدهم (١) للجبل : تحرك، فتحرك الجبل بقوله تحرك، (٢) .

(١) هو ابو اسحاق : ابراهيم بن أدهم بن منصور التميمى البلخي
زاهد مشهور كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ فتفقه ورحل الى بغداد
وجال فى العراق والشام والحجاز واخذ عن كثير من علماء الاقطار الثلاثة
قال ابن الجوزى فى صفة الصفوة :
قد روى ابراهيم عن جماعة من التابعين كأبى اسحاق السبيعى وابى حازم
وقتاده ومالك بن دينار وأبان والأعمش وغيرهم وقد روى عن خلق من تابعى
التابعين الا أنه شافه بعض من روى عنه وأرسل الرواية عن بعض ..١ هـ
وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك
مع الغزاة فى قتال الروم وجاءه عبد لابيه يحمل اليه عشرة الاف درهم ويخبره
ان أباه قد مات فى بلخ وخلف له مالا عظيما فاعتق العبد ووهبه الدراهم
ولم يعبأ بمال ابيه كان شديد الزهد فيلبس فى الشتاء فروا لا قميص تحته
ولا يتعمم فى الصيف ولا يحتذى يصوم فى السفر والاقامه وكان ينطق بالعربية
الفصحى ولا يلحن .
اخباره كثيره وفيها اضطراب واختلاف فى نسبته ومتوفاه ولعل الراجح
انه مات ودفن فى سوفنن (حصن من بلاد الروم) كما فى تاريخ ابن عساكر
وقيل انه توفى بالجزيرة وحمل الى صور فدفن بها وكان ذلك سنة ١٦٢ وقيل
١٦١ قال ابن الجوزى فى صفة الصفوة :
اقتصرنا من اخبار ابراهيم على هذا القدر لأنا قد وضعنا كتابا جمعنا فيه
اخباره ..

المراجع : الأعلام للزركلى ج ١ ص ٢٤
حلية الأولياء ج ٧ ص ٣٦٧ وج ٨ أول الجزء
صفة الصفوة لابن الجوزى ج ٤ ص ١٥٢
الرسالة القشيريه ج ١ ص ٦٣

(٢) انظر الحليه ج ٨ ص ٤

وهذا المثل وان لم يكن في حقك حقيقة لعجزك عن الكلام بالقرآن كله (١)
فانه في حق الباري تعالى حقيقه لا ن الله تعالى ليس كلامه حرفـــا
بعد حرف ولا كلمة بعد كلمة بترتيب وانما الباري جل جلالـه متكلـم
بالكلام الذى وسع وجود الذات وهو المعنى القايم بالقول الذى فـي
النفس (٢) ، فيصدر عن المعاني القايمة بذات البـاري تعالـى
ما شاكل تلك المعاني جملة واحدة في جميع العالمين ما حضر منهـا

---

(١) في أ . . كله جملة واحدة وفي خ . . بالقرآن جملة واحدة

(٢) قول المؤلف هنا في كلام الله تعالى هو مذهب الأشاعره وسيذكره المؤلـف ويستدل له في ما يأتي في الشعبة الثانية والثلاثين ، الايمان بالأسمـاء والصفات حيث خصه بكلام مستقل تحت عنوان : الاصل الخامس : الكـلام ولذا رأيت تأجيل مناقشته في ما ذهب اليه الى ذلك الموضع واقتصرهنا على ذكر المذاهب في مسألة الكلام وقد لخصها شارح الطحاوية بقوله :
وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال :
أحدها : ان كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معان اما من العقـل الفعال عند بعضهم أو من غيره وهذا قول الصابئة والمتفلسفـه
وثانيها : انه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه وهذا قول المعتزله .
وثالثها : انه معنى واحد قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبروالاستخبار وانه عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرانية كان تـوراة وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالاشعري وغيره .
ورابعها : أنه حروف واصوات أزلية مجتمعة في الأزل وهذا قول طائفـة من أهل الكلام ومن اهل الحديـث .
وخامسها : انه حروف وأصوات لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمـا وهذا قول الكرامية وغيرهم .
وسادسها : ان كلامه يرجع الى ما يحدثه من علمه وارادته القائم بذاتـه وهذا يقوله صاحب المعتبر ويميل اليه الرازي في " المطالب العالية "

وما غاب كما قال :

(ويخلق مالا تعلمــــون) (١)

فصدر عن هذه الآية من العوالم ما لم يعلم وهي موجودة (في طك) (٢)

الله والكلمة قائمة بها ومكونة لوجودها (٣) وكذلك كــل مذكـــــــور

= وسابعها : ان كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره وهــذا

قول أبي منصور الماتريدي .

وثامنها : أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقـــــه

في غيره من الأصوات وهذا قول ابي المعالي ومن اتبعــه .

وتاسعها : أنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهــــو

يتكلم به بصوت يسمع وان نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين

قديما

وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة .

شرح العقيدة الطحاويه ص ١٧٩ / ١٨٠

وانظر مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم

لابن تيميه ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٣٨

ومنهاج السنة النبويه ج ١ ص ٢٢١

وانظر شرح ال للهراس ص ١١٢

(١) سورة النحل من الآية ٨

(٢) في ظ ، ت ، خ وفي هامش ع : في طك الله ، اما صلب ع ففيها : في علم الله

(٣) هذا بناء على أن مذهب الأشعرية والمؤلف على ذلك يرى أن وجود الأشياء متعلق بكلامه الأزلي وكلمه "كن" دالة عليه وهذا خلاف ما عليه اهل السنـــة من أن وجود الأشياء متعلق بالايجاد والتكوين فله ان يفعل ما شاء متى شاء

راجع : الفقه الاكبر لابي حنيفه مع شرحه للملا على القاري ص ٥١

ومجموعة الفتاوى لابن تيميه ج ٨ ص ٩٨

في القرآن كما قال تعالى :

(ان هو الا ذكر للعالمين) (١)

ومن هذا المعنى يفهم معنى سبق المقادير (٢) وقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(كتب في الذكر كل شيء) (٣)

(. . وكل شيء احصيناه في امام مبين) (٤)

فبقوله :

(. تبت يدا ابي لهب وتب .) (٥)

في الأزل كان أبو لهب وصفاته في كتب المقادير لأن الكلام قديم وفي أصلاب الآباء وفي وجود الدنيا وفي الآخرة وفي أبد الآباد لان الكلمة قائمة به (٦) ومكونة به وبصفاته (٧) فلا محيص له عنها لا في الأزل ولا في وجود الدنيا

---

(١) سورة ص آية ٨٧ وسورة التكوير آية ٢٧

(٢) يشير الى مثل ما ورد في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة . .) رواه مسلم في الصحيح ج ١٦ كتاب القدر ورواه أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٦٩ ورواه الترمذى في كتاب القدر حديث ٢١٥٦

(٣) من حديث رواه البخارى في صحيحه في كتاب التوحيد ج ١٣ من فتح البارى رقم الحديث ٧٤١٨

(٤) سورة يس من الآية ١٢

(٥) سورة المسد آية (١)

(٦) في ظ ، ت : لابد الكلمة قائمة بأبي لهب

(٧) في ظ ، ت ، أ ، خ : ومكونة له ولصفاته وهو أصح

ولا في الأبد (١) ، وكذلك لو لم يتكلم بقوله

(يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ...) (٢)

لم يكن مؤمن ولا ايمان ولو لم يذكر الزاني والزانية لم يكن زنا ولا زان ولا زانية ولو لم يذكر المصلين والخاشعين لم يكن شيء من ذلك ،

وكذلك استقر كل مذكور لعلك تشرف على معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ((وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك))(٣)

---

(١) يقول ابن تيمية : ان العبد اذا اراد الطاعة التي اوجبها الله عليه ارادة جازمة كان قادرا عليها وكذلك اذا أراد ترك المعصية التي حرمت عليه ارادة جازمة كان قادرا على ذلك . . ثم قال : وهذا ما اتفق عليه المسلمون وسائر أهل الملل حتى ائمة الجبرية . . ثم قال : وانما ينازع في ذلك بعض غلاة الجبرية الذين يقولون : ان الأمر الممتنع لذاته واقع في الشريعة ويحتجون بأمره ابا لهب بأنه يؤمن بما يستلزم عدم ايمانه . . ثم بين ابن تيمية ان قول غلاة الجبرية هذا خلاف ما اجمع عليه ائمة الاسلام . . وان احتجاجهم بقصة أبي لهب حجة باطلة فان الله أمر أبا لهب بالايمان قبل ان تنزل السورة فلما أصر وعاند استحق الوعيد كما استحق قوم نوح حين قيل له : (انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) وحين استحق الوعيد أخبر الله بالوعيد الذي يلحقه ولم يكن حينئذ مأمورا امرا يطلب به منه ذلك . .

راجع ج ٨ من مجموع فتاوى ابن تيميه ص ٤٣٧ — ٤٣٨

(٢) سورة النساء من الاية ١٣٦

(٣) ورد هذا المعنى بما يقارب هذا اللفظ في عدة أحاديث منها :

أ — اخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ...)

قال الترمذي وهذا حديث غريب

سنن الترمذي : باب ما جاء في الايمان بالقدر رقم الحديث ٢١٤٤ ===

فان الكلام قديم (١) لم يزل قائما بذات البارى تعالى ولا يزال لا تبديل لكلمات الله والكلام الأزلى هو الكلام الأبدى لم يتغير ولا يتغير .

= ب ـ واخرج أبو داود عن ابن الديلمى قال اتيت أبى بن كعب فقلت له : وقع فى نفسى شىء من القدر فحدثنى بشىء لعل الله ان يذهبه من قلبى فقال :

(... وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وان ما أخطأك لم يكن ليصيبك ....)

سنن ابى داود ج ٤ كتاب السنه رقم الحديث ٤٦٩٩

وسنن ابن ماجه ايضا باب القدر حديث ٧٧

جـ ـ واخرج أبو داود عن ابى حفصة قال : قال عباده بن الصامت لابنه : يا بنى انك لن تجد طعم حقيقه الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك ...)

سنن ابى داود ج ٤ كتاب السنه رقم الحديث (٤٧٠٠)

واخرجه احمد فى مسنده عن عباده بن الوليد بن عباده ج ٥ ص ٣١٧

واخرجه الترمذى من طريق اخرى وليس فيها اللفظ الذى أورده المؤلف هنا وقال عنه الترمذى بعد ايراده وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، . سنن الترمذى كتاب القدر رقم الحديث (٢١٥٥)

راجع جامع الأصول ج ١٠ ص ١٠٣ ومشكاه المصابيح تحقيق الألبانى ج ١ ص ٣٤

(١) فى ع : فان كان الكلام قديم . فزيدت اكان خطأ بدليل عدم نصب" قديم" واستقامة المعنى بدونها .

ولا يتجدد عليه كلام فيتكلم بما لم يتكلم

وهكذا جميع صفات البارى تعالى (١) .

---

(١) يقول شارح الطحاوية :

ان الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال : صفات الذات وصفات الفعل ولا يجوز أن يعتقد ان الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها لان صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفة نقص ولا يجوز ان يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده ، ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها كالخلق والتصوير والاماتة والاحياء والقبض والبسط والطى والاستواء والاتيان والمجيء والنزول والغضب والرضى ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، وان كنا لا ندرك كنهه وحقيقة التى هى تأويله ولا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ولكن أصل معناه معلوم لنا كما قال الامام مالك رضى الله عنه لما سئل عن قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الاعراف : ٥٤ وغيرها كيف استوى ؟ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول وان كانت هذه الأحوال تحدث فى وقت دون وقت كما فى حديث الشفاعة

(ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع ولا يطلق عليه انه حدث بعد ان لم يكن الا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلما بالأمس لا يقال : انه حدث له الكلام ولو كان غير متكلم لانه لآفة كالصغر والخرس ثم تكلم يقال : حدث له الكلام ، فالساكت لغير آفة يسمى متكلما بالقوة بمعنى انه يتكلم اذا شاء وفى حال تكلمه يسمى متكلما بالفعل ، وكذلك الكاتب فى حال الكتابة هو كاتب بالفعل ولا يخرج عن كونه كاتبا فى حال عدم مباشرته الكتابة ، ص ١٢٧ — ١٢٨

فان قلت : قد نجد كافرا ذكره بالكفر فكان كافرا أو عاصيا ثم كان بعد ذلك مؤمنا طائعا أو تائبا بعد العصيان فاعلم ان هذا لا يتناقض فارجع نظراك الى القرآن تجده قد ذكره بالكفر ثم بالايمان أو المعصيه ثم بالتوبه :

(ان الذين كفروا ثم امنوا . . .) (١)

(يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا . .) (٢)

فلم يكن له محيص عن المعنيين جميعا (٣) وعن الف معنى ان ذكره بهما ومن هذا المعنى تفهم ان علم القرآن هو البحر الذى لا ساحل له فانه وصف الله على ما هو به (٤) ووصف أفعاله على ما هي عليه فيحق أن يقول علي رضى الله عنه :

((لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب)) (٥) .

---

(١) لم أجد عن طريق المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم آية بهذا النص في مادة " كفروا " وأقرب آية اليها هي في سورة النساء آية ١٣٧ وهي :
(ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا)

(٢) سورة التحريم من آية ٨

(٣) الزيادة من " ت "

(٤) في خ : على ما هو عليه وهو أصح

(٥) لم أجده ،غير ان ابن تيميه رحمه الله اشار الى عدم صحته حيث قال :
وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم : لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب . . الخ فهذا اذا صح عمن نقل عنه كعلي وغيره لم يكن فيه دلالة على الباطن المخالف للظاهر . . .
مجموع الفتاوى جـ ١٣ ص ٢٤٤

فانظر الى قوله عز وجل :

(وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) (١)

هل رأيت هذه الموجودات كلها (٢) الا مستمرة في تسخيرها لم تقف طرفة عين هذا لأن الآية قائمة بها .

وهكذا كل مذكور ، فلو أمسك عن التكلم سبحانه لم يكن لهذه المذكورات وجود وقامت القيامة وانخرم هذا العالم وانتثرت النجوم وزال حكم الليل والنهار بقوله (٣) :

(اذا السماء انشقت) (٤)

وعلقها باذا تشقق في المستقبل لا بد ولا محاله ، وبقوله :

(رفع السماوات بغير عمد ترونها . . .) (٥)

ارتفعت لا بد ولا محالة الى أجل مسمى كما قال أيضا

(لأجل مسمى) (٦)

فافهم فهمك الله فان البلادة وقلة الفهم من أوصاف من لا يبالي الله به بالة

---

(١) سورة النحل الآية ١٢

(٢) في ت : الموجودات قـط الا مستمره

(٣) في ت : وقوله

(٤) سورة الانشقاق آية ١

(٥) سورة الرعد الاية ٢ وفي جميع النسخ : رفع السماء ، ولم ترد آية بهذا النص فصححته .

(٦) نفس السورة والآية وأوردتها النسخ " الى أجل " وصححتها : لأجل مسمى

ولولا قول الله تعالى لنبيه عليه السلام :

(.. لتبين للناس ما نزل اليهم ...) (١)

ما بين لهم حرفا واحدا ولا قدر على ذلك ، ولولا قول الله تعالى للعلماء في بواطن ذواتهم :

(.. لتبيننه للناس ولا تكتمونه ...) (٢)

لم يكن عالم يبين حرفا .. (٣)

ولولا قوله :

(ان الذين يكتمون ..) (٤)

لم يكن كاتم ولا مكتوم لأن القرآن قائم بجميع بواطن المخلوقات كما تقدم يسمعه من قامت به هذه الآية :

(..واسمعوا وأطيعوا ...) (٦)

ولا يسمع من قال له : في اذنيه ، وقر ولا حول ولا قوة الا بالله .

فالجسد والأجساد كلها لا حركة لها ولا سكون الا بالأرواح ولا قوام (٧) للارواح ولا وجود الا بادامة المتكلم التكلم لأن الروح من المتكلم بمنزلة المصدر الصادر عن المتكلم ما دام متكلما ظهرت الكلمات عنده

---

(١) سورة النحل الاية ٤٤

(٢) آل عمران من الآية ١٨٧

(٣) في أ : حرفا مكتوبا

(٤) سورة البقره من آية ١٥٩ وآية ١٧٤

(٥) لم ترد كلمة " بجميع " في ت

(٦) سورة التغابن آية ١٦

(٧) من هذا الموضع الى قوله في الشعبة الثانية : والحمد لله على المنه ص سقط من ت

فلو أمساه عن التكلم طرفة عين لم يكن للأرواح وجـــود وكانت تنعدم بلازمـان كما ينعدم مصدر الكلام الصادر عن المتكلم اذا لم يرد المتكلم (١) ويبقـــى المتكلم قايما بكلامه القائم بنفسه الدايم في خلده الذى لم يزل قايما به ولا يزال .

---

(١) في ظ : اذا لم يكن التكلم وفي خ : اذا لم يرد التكلم وهو الأصح

فصـــل :

المرتبة الثانية من مراتب التوحيد وهو : توحيد الصفات ، اعلم رحمـــك الله أن هذا المقام من التوحيد قل ما تبينه العبارة وانما هو من علـــم القلوب ،ومن ظن أن حقيقة علمه مستوفى فى الكتب والصحف فليس له مـــن مقام المعرفـة الا مقام كل ناقص مؤوف (١) وكيف يكون ذلك، وسيد المرسلين وامام

---

(١) الذى يعتقده سلف الأمة الصالح ومن نهج نهجهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد علم امته كل شيء وقال :
((تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك))
وقال فيما صح عنه أيضا :
((ما بعث الله من نبى الا كان حقا عليه أن يدل امته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهـم))
وغير ذلك من النصوص الصريحة والواضحة فى ذلك.
ومحال مع تعليمه لهم كل شيء لهم فيه منفعة فى الدين ـ وان دقت ـ ان يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه فى قلوبهم بالنسبة لربهـــم ومعبودهم الذى معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصـــول اليه غاية المطالب واذا كان ذلك قد وقع من الرسول صلى الله عليه وسلـــم فمن المحال أن يكون خير أمتـه وأفضل قرونها قصروا فى هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه ثم من المحال أيضا أن يكون القرون الفاضله ، القـــرن الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهـم كانوا غير عالمين وغير قائلين فى هذا الباب بالحق المبين لأن ضد ذلك اما عدم العلم والقول واما اعتقاد نقيض الحـق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع.
ثم ان سلف الأمة عندما تلقوا ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربـــه اثبتوا ذلك واجروه على ظاهره ونفوا الكيفية والتشبيه ولم يسلكوا مسالك الذين نفوا الصفات فابطلوا بنفيهم ما أثبته ولم يسلكوا مسلك الفريق الآخر الذيـــن طلبوا حقائق تلك الصفات فخرجوا فى ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييـــف وانما سلكوا الطريق المستقيم بين الأمرين اذ الأصل الذين يسيرون عليه ـــ

جميع (١) العالمين قد أظهر العجز فيه وقال :

((.. لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ...)) (٢)

= ان الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، فاذا كان معلوما ان اثبات الباري تعالى انما هو اثبات وجود لا اثبات كيفية فكذلك اثبات صفاته انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف .

انظر مجموع فتاوى ابن تيميه ج ٥ ص ٥٨

وانظر باب قول النبي "ص" (أنا اعلمكم بالله) في صحيح البخاري ج ١ كتاب الايمان حديث رقم ٢٠ وشرحه .

(١) سقطت كلمة "جميع" من خ

(٢) رواه مسلم عن ابي هريرة عن عائشة ج ١ ص ٣٥٢ رقم الحديث ٢٢٢ ، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة رقم الحديث ٨٧٩ ، والنسائي في باب الدعاء في الوتر ج ٣ مجلد ٢ ص ٢٤٨ عن علي وأخرجه ابن ماجه عن ابي هريرة عن عائشه في كتاب الدعاء باب ٣ رقم الحديث ٣٨٤١ وأخرجه أيضا عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب اقامة الصلاة باب ما جاء في القنوت رقم ١١٧٩ وأخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٩٦ ، ١١٨ ، ١٥٠ وج ٦ ص ٥٨ وأخرجه الترمذي في جامعه عن عائشه وقال : هذا حديث حسن قد روى من غير وجه عن عائشة كتاب الدعوات رقم ٣٤٩٣ ، وأخرجه أيضا عن علي وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث علي لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث حماد بن سلمه رقم ٣٥٦٦ ورواه مالك في الموطأ انظر شرح الزرقاني ج ٢ ص ٣٧ رقم الحديث ٥٠٠ .

قيل في شرح الحديث (لا أحصى ثناء عليك) أي لا اطيقه ولا آتي عليه وقيل لا احيط به وقال مالك رحمه الله تعالى : معناه لا أحصى نعمتك واحسانك والثناء بها عليك وان اجتهدت في الثناء عليك .

(انت كما اثنيت على نفسك ..) اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد للثناء الى الجملة دون التفصيل والاحصاء والتعيين فوكل ذلك الى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه .

راجع : صحيح مسلم بشرح النووي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج ١ ص ٣٥٢ ، وشرح الزرقاني ج ٢ ص ٣٧

وانما القى العلماء (١) منه تنبيهات لتنتبه العقول الى ذلك، فتكون سابحه عاكفه هنالك .

ولولا أن الله تبارك وتعالى امتن على عباده بأن أوجد لهم في الوجـــود عن كل معنى من اسمائه وصفاته صفات كثيرة خلقهم بها وأمرهم بالتخلـــق بها لما ا فهموا أبدا معانى صفات الخالق سبحانه لأن أمر الله تعالـــى أمر عظيم (٢) لا تناله الألسن .

فأوجد البصر والعلم والسمع والحياة والقدرة والاراده والكلام والرحمـــة والرأفة والكرم والجود والسيادة والملك والعزة والقدرة (٣) والعفو والاحسان والطهارة والقدس .

وبالجملة جميع الصفات أوجد على معناها في الوجود معان يستدل بهـــا عليه الا اسم " الله " تعالى وحـده وصفة (٤) الألوهية فانه لم يوجد فـــى الوجود كله من تسمى الله لانه لم يخلق في الوجـود صفة الألوهيـــة (٥)

---

(١) في خ : وانما الذى للعلماء وهو خطأ والصحيح كما في الصلب لأن المؤلـــف أراد ان العلماء هم الذين القوا من حقائق علم الصفات تنبيهات ويريـــد بالعلماء علماء التصوف اذ هم الذين يكلفون انفسهم في البحث في الحقائق كما سيذكر المؤلف ذلك، في آخر هذا الفصل عند قوله : . . ان علم الصفـات لا يوجد الا عند العارفين بالله فان أهل الحديث انما نقلوا . . .

(٢) في خ : لأن أمر الله عظيم

(٣) في ظ ،خ : والملك والقوة والعفو وهذا هو الصواب اذ يقتضى ما في الأصل تكرر ذكر القدرة .

(٤) في خ : وصفتـــه

(٥) في كتاب كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وضح ذلك، بقوله :

(. . . اسماء الله كلها تصلح للتخلق الا اسم " الله " فانه للتعلق دون ـ التخلق ومعناه : انك، اذا ناديته باسم الرحيم قال انا الرحيم فكن عبدا رحيما وكذلك، اذا ناديته باسم الكريم او الحليم ونحو ذلك،

وغاية ما وصل (١) اليه فرعون أن قال :

(... ما علمت لكم من اله غيرى ..) (٢)

على لفظ النكرة ولم يقل أنا الله (٣)

وقال أيضا :

(... انا ربكم الأعلى) (٤)

هذا من أجل معاني الأسماء كلها قد ظهرت في الوجود كله فأوجد العلم المحدث عن علمه والحياة عن حياته والقدرة عن قدرته والارادة عن ارادتـــه والسمع كله والأبصار عن سمعه وبصره والكرم عن و جوده (٥) والرحمـــــــة والعزة (٦)عن رحمته وقـــوتـــه هكذا الى جميع ما اتصـــف بـــه ،

= واما اسم " الله " فلا يمكن التخلق به بل هو لتعلق العبادة به دون تخلقهم به لقول الله تعالى :

(..هل تعلم له سميا) مريم ٦٥

اى هل تعلم أحدا يسمى الله غيره ولم يسم بــه أحد قــط ، قال العلمـــاء لم يوجد في الوجود كله من يسمى الله غير الله لانه سبحانه لم يخلق فـــــى الوجود صفة الالوهية .. ثم أورد صاحب هذا الكتاب بعد ذلك كلام المؤلف حيث قال : قال الشيخ عبدالجليل القصرى : وغاية ما وصل اليه فرعون ان قال : كشف الغطاء ص ١١٢

(١) في خ : وغاية ما بلغ

(٢) القصص من الآية ٣٨

(٣) لم يقل ذلك لأنه كان مستيقنا بالله تعالى في الباطن يدل لذلك تحول موسى عليه السلام له : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر) الاسراء ١٠٢

وقال الله تعالى عن فرعون وقــومه :

(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) النمل ١٤

انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧

(٤) سورة النازعات آية ٢٤

(٥) هكذا وردت بواو والصواب زيادتها فتكون الكرم عن جوده

(٦) في ظ . والرحمة والقوة وهو الأصح لقوله : عن رحمته وقوتـــه

ومع هذا كله وان أوجد تلك المعانى لنستدل بها على (صفاتـــه) (١) فانها كلها مرتبطة بأضدادها فلذلك كانت صفات (٢) الله أحادا لا يشبهها شيء ومثال ذلك :

أن المخلوق يكون عالما فيسمى بذلك لاتصافه بصفة العلم ولكـــن قد ارتبط علمه بضده من الجهل فانه من حيث أدرك علمه ما أدرك مـــن المعلوم فقد غاب عن علمه اكثر مما علم فمن حيث عجز علمـه عما غاب عنه فقـد عاد جهلا من وجـه .

وكذلك بصره من حيث أدرك مبصرات ما وغاب عن بصره اكثر مما أدرك فقد عمى بصره عن ذلك ، وقدرته وحياتـه وكرمه وسيادته وجميع صفات العباد كذلك كل صفة مقرونة مرتبطة بضدها أبد الآبدين ودهر الداهرين .

وصفات (٣) البارى سبحانه ليست كذلك لأن صفات (٤) العلـم من الله مدركة لذات البارى (٥) تعالى ولجميع المعلـومات فلم يخف عليـه من علمه بذاته ولا من علمه بمخلوقاته ما أوجده وما لم يوجده شيء فليس لـه ضد يرتبط بـه (٦) .

---

(١) هكذا وردت فى جميع النسخ غير (ع) ففيها : صفاتها

(٢) فى خ : صفة الله والاصح صفات

(٣) فى خ : وصفة والصحيح : صفات

(٤) فى خ ، ظ : وصفة وهو الصحيح

(٥) فى خ : لذات الله تعالى

(٦) فى خ : فليس لها ضد ترتبط به . وكلاهما يصح هنا يعود الضمير على صفات البارى وبقية النسخ يعود الضمير على الله تعالى .

وكذلك قدرته لأنه لا يقتدر الا على ما علم وهو بكل شيء عليم

وكذلك لا يوجد الا ما علم (١) وكذلك جلاله وكبرياؤه غيرمرتبطة (٢) بضده وكبر المخلوق المحمود والمذموم وعزه المحمود والمذموم مرتبطة بضده فانه وان كان عزيزا وكبير القدر وجليلا بالله فانه ذليل لله وصغير حقير بين يديه وهكذا جميع الصفات ، وقد نبهتك ببعضها لتفطن لسايرها ان شاء الله فانما يشرح هذا العلم في الصدور لا في السطور الا ترى لقول (٣) الخضر لموسى عليهما السلام :

((ما علمي وعلمك وعلم جميع الخلائق في علم الله الا كما أخذ منقار العصفور من البحر أو كما قال)) (٤) .

---

(١) في خ : وكذلك ما يريد الا ما علم بدل من لا يوجد ،
وقولة لا يوجد اصح اذ الايجاد للاشياء يكون بارادة والارادة تستلزم تصور المراد وتصور المراد هو العلم بالمراد فكان الايجاد مستلزما للعلم انظر الكواشف الجليه عن معاني الواسطيه ص ٨٣ ط ٤

(٢) في خ : غير مرتبط وهو أصح

(٣) في خ : الا ترى الى قول .

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وذلك في حديث طويل عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس . . وفيه : وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر فقال له الخضر (اى قال الخضر لموسى) ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر .
راجع : صحيح البخاري كتاب العلم حديث رقم ١٢٢ ، وكتاب أحاديث الانبياء باب حديث الخضر . . رقم ٣٤٠١ ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل : فضائل الخضر عليه السلام رقم ٢٣٨٠
وأحمد في مسنده ج ٥ ص ١١٧ — ١١٨
والترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن : سورة الكهف رقم الحديث ٣١٤٩
وقد ورد حديث الخضر هذا في مواضع أخرى غير ان اللفظ الذي أورده المؤلف لم يرد فيها فلم اذكرها وانظر جامع الاصول في أحاديث الرسول ج ٢ ص ٢٢٦

فنبه الخضر عليه السلام لأنه من العلماء بالله (١) الى أمر عظيم لا ساحل له ولا آخر واضرب لك في هذا مثلا مما ورد في الشرع (٢) ليكون لك أصلا في جميع الصفات :

(ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له جبريل حين سأله عن زوال الشمس فقال :

لا نعم ان الشمس جرت بين لا نعم مسيرة خمس مائة عام) (٣)

فكيف (٤) تمشي الشمس من لا نعم من أول النهار الى الليل ومن أول الليل الى آخر الليل فقدر في نفسك عظيم (٥) وجود السماء والتي فوقها اعظم منها والتي فوق أعظم من التي تليها هكذا الى الكرسي .

---

(١) الخضر لقب واختلف في اسمه وفي اسم أبيه وفي نسبه
والكثير من العلماء يذهب الى أن الخضر عليه السلام ولي وليس نبيا
واختلف العلماء فيه هل هو حي أم ميت فقيل انه حي وهو ما يذهب اليه قوم منهم الصوفية . وابن تيمية يرى القول بأنه ميت حيث قال :
والصواب الذي عليه المحققون انه ميت .
ولكل فريق أدلته ودعواه ولمعرفتها يراجع : الزهر النضر في نبأ الخضر لابن حجر في مجموعة الرسائل المنيريه ج ٢ ص ١٩٥
فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٤٢٣
تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٩٩
تفسير الخازن المسمى لباب التأويل ج ٤ ص ٢٢٨
وجامع الاصول في أحاديث الرسول ج ٢ ص ٢٢٠
ومجموع فتاوى ابن تيميه ج ٢٧ ص ١٠٠ ، ج ٤ ص ٣٣٧ ، ج ١٠ ص ٤٣٤

(٢) في خ : من موارد الشرايع وفي ظ : مما ورد في الشرائع

(٣) ذكره العلامة محمد طاهر الهندي في كتابه تذكرة الموضوعات وقال عنه : لم يوجد له اصل ص ١٣ وكذا قال الشوكاني في الفوائد ص ٤٥١
وكذلك ذكره علي القاري في كتابه المصنوع في معرفة الحديث الموضوع تحقيق أبي غده ص ٩٨

(٤) في ظ ، خ : فكم تمشي وهو أصح

(٥) في خ : عظم وهو أصح

والأرضون كذلك . واعلم أن هذه الأرض أصغر الأرضين كما أن سماء الدنيا أصغر السموات وانظر (١) الى قوله عليه السلام فى الكرسى الذى وسع السموات والأرض (٢) :

((ما السموات السبع والأرضون السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض)) (٣)

قيل : انها كحلقة من حلق الدرع القيت فى فلاة (٤) من الأرض .

فانظرنسبة السموات والأرضين (٥) على عظمها من الكرسى ثم نبه القلوب فقال :

(ما الكرسى بما فيه فى العرش الا كحلقة (٦) ملقاة فى أرض فلاة) (٧)

---

(١) فى خ : اصغر السموات انظر ، بدون واو العطف

(٢) فى أ . والأرضين وهو الصحيح .

(٣) فى خ : من أرض

(٤) فى خ : فى الفلاة

(٥) فى خ : والأرض والجمع أصح

(٦) فى خ : الا كحلقة فى فلاة .

(٧) الحديث اورده ابن كثير فى تفسيره بسنده عن ابى ذر الغفارى أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكرسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وان فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة))

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣٠٩

ورواه ابن جرير فى تفسيره ج ٣ ص ٨ ، وقال ابن تيميه : الحديث له طرق ج ٤ ص ١١٢ من مجموعة الرسائل والمسائل ، وفى فتح البارى شرح صحيح البخارى قال :

(وفى حديث ابى ذر الطويل الذى صححه ابن حبان وله شاهد عن مجاهد اخرجه سعيد بن منصور فى التفسير بسند صحيح ،
وصححه الألبانى فى تخريجه لاحاديث شرح الطحاوية ص ٣١٢ .

فنبه النبي عليه السلام القلوب على صفة العظمة تنبيها ليتذكر اولو الألباب وقال الله عز وجـل :

(الله لا الـه الا هو رب العرش العظيم) (١)

فوصف العرش بالعظمة وليس شيء أعظم مما عظم الله تعالى ، واذا تفهمت حديث الحلقه وجدت الكرسي محيطا بالسموات والارض علوا وسفلا والعرش قد أحاط بالكل من جميع الجهات ، وقد روى أنس بن مالك في وصف عظمة العرش قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن عرش رب العزة فقال :

يا أبا حمزه لقد سألتني عن أمر عظيم ، ان عرش رب العزة له ثلاث مائة وستون قائمة (كل قائمة) (٢) كطباق الدنيا (ستين) (٣) الف مرة بين كل قائمة وقائمه الف صحراء كل صحراء مثل الدنيا (ستين) (٤) الف مرة في كل صحراء ستون الف عالم كل عالم مثل الثقلين الانس والجن (ستون) الف مرة لا يعلمون هل خلق الله آدم ولا ابليس الهمهم الله : يستغفرون (٦) لمحبي أبي بكر وعمر رحمهما الله ورضي الله عنهما ، وبين المشرق والمغرب ستون الف عالم مثل الجن والانس (ستون) (٧) الف مرة الهمهم الله (٨) أن يلعنوا مبغضي أبي بكر وعمر رحمة الله ورضوانه عليهما)

---

(١) سورة النمل آية ٢٦

(٢) ما بين القوسين اثبته من خ

(٣ ، ٤) هكذا في ظ ، خ وفي ع : ستون

(٥) في ظ " ستين "

(٦) هكذا ذكرتها النسخ والصواب : أن يستغفروا لمحبي

(٧) في ظ : ستين

(٨) في خ : مثل الجن والانس الهمهم الله فلم تذكر : ستون الف مرة .

وهذا الحديث وان لم يرد في الصحيح (١) فالأمر اعظم من ذلك وأعظم

وقول الله تعالى :

(. . ويخلق مالا تعلمون) (٢)

مصداق لذلك ، وقوله :

(الحمد لله رب العالمين) (٣)

ايضا مصداق لذلك .

وروى (ابو) (٤) اسحاق (٥) في كتاب المصابيح (٦) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) في تذكرة الموضوعات : بعد أن اورد نصا يقارب من هذا النص : قال : فيه محمد بن النضر لم يكن ثقة . ص ١٣ وانظر اللآلي للسيوطي الجزء الأول ص ٣٠٨ ،

وفي تنزيه الشريعه المرفوعة عن الأخبار الشنيعه الموضوعه قال مؤلفه بعد ان اورد نص هذا الخبر : (ذكره ابن النجار) في تاريخه مسلسلا سألت فلانا عن عرش رب العزة وفيه محمد بن النضر لم يكن ثقه . ثم قال : قلت : قال الحافظ ابن حجر في فتاويه هذا كذب ظاهر لا يرتاب فيه من له المام بالأحاديث النبوية والله تعالى اعلم وانظر الجزء الأول من تنزيه الشريعه ص ٢١١ و ص ٣٤٨

وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعه ص ٤٥٠ وقال عنه :

في اسناده من لا يحتج به وهو موضوع .

(٢) النحل آيه ٨

(٣) الفاتحة آيه ٢

(٤) في ع : أبي اسحاق وهو خطأ صححته

(٥) في بقية النسخ وروى اسحاق وهو الصواب وهو اسحاق بن ابراهيم بن مسرة (ابو ابراهيم سكن قرطبه كان خيرا فاضلا دينا ورعا مجتهدا . حافظا للفقه على مذهب مالك له كتاب النصايح وكتاب معالم الطهارة والصلاة . توفي بطليطلة في رجب سنة اثنين وقيل أربع وخمسين وثلاثمائه وسنه : خمس وتسعون سنه . انظر ترجمته في كتاب الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون ص ٩٦ ، والحلل السندسيه لشكيب ارسلان ج ٢ ص ٣١

(٦) في بقية النسخ : النصايح وهو الصواب كما سبق ذكره في الترجمة لمؤلفه .

((أن لله تعالى ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد)) (١)

وقال عليه السلام :

((ان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس فيها أربعون يوما (٢) .. الحديث (٣) .

(وغير ذلك مما ورد في حديث القدرة) (٤) .

وانما خفيت هذه العوالم بعضها عن بعض من أجل أنه انما يشاهد أهل كل عالم ما يليه من عالمه .

والمراد من هذا كله في توحيد الصفات ان العرش على عظمته بما حوى من جميع المخلوقات والعوالم ما علم وما لم يعلم بالنسبة الى عظمة وجود الباري سبحانه أقل من الجزء الذى لا يتجزأ بل لا حصل له في وجوده ولا مس في شهوده وكما أن من في أسفل سافلين يقول : ويقر أن الباري تعالى أقرب اليه من نفسه لنفسه (ويقول العرش) (٥) ويقر أن الباري سبحانه أقرب

---

(١) لم يرد في الصحاح واورده ابن كثير في تفسيره عن وهب من منبه بهذا اللفظ جـ١ ص ٢٣ - ٢٤ واورد رواية اخرى عن الربيع بن أنس عن ابي العالية وفيها : الانس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر الف عالم أو اربعة عشر الف عالم - هو يشك - ثم قال ابن كثير عن هذه الرواية :
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ثم قال : وهذا كلام غريب يحتاج مثله الى دليل صحيح . اهـ ورواية ابن جرير وردت في تفسيره لسورة الفاتحه .

(٢) في خ : مسيره الشمس اربعين يوما

(٣) لم يذكر في الصحاح وذكر في كنز العمال المطبوع بهامش مسند الامام احمد جـ٤ ص ٧٦ وقال مؤلفه :
رواه ابو الشيخ عن ابي هريره
وأورده العجلوني في كشف الخفاء جـ١ ص ٣١٠ رقم الحديث ١٠٠٤

(٤) ما بين القوسين لم يذكر في ظ

(٥) الزياده من ظ وهي زياده لا مكان لها هنا

للعرش من نفس العرش كذلك، يقول العرش ويقر أن قرب البارى منه كقربه من الذى فى تخوم أسفل سافلين ومن فى المشرق يقول كذلك، ومن فى المغرب يقول كذلك، . .

(واهل كل عالم يقول كذلك) (١) وادراكه لجريان الغذاء فى عروق النملة الصغيرة وادراكه لسمعها وبصرها وصوتها (٢) ومعرفتها كادراكه لجميع عوالم العرش وبعده عن أوصاف العرش على عظمته كبعده عن أوصاف الذرة على حقارتها ،ولولا ان الله تبارك وتعالى تجلى الى العرش بصفه الرحمة كما قال :

(الرحمن على العرش استوى) (٣)

لما ثبت العرش ولا نهد وجوده ولكن بلطفه ورحمته صح منه وجود الخلق سبحانه ،

ولم يظهر أيضا للعرش من صفة الرحمه (الا) (٤)ما يليق به ويحمله وجود العرش فان الرحمة صفة الذات وخلق من أخلاق الذات فالرحمة على سعة العظمة والجلال على سعة الكبرياء كما ان الحياة وسعت ما وسع العلم والعلم على سعة البصر والحلم كذلك

---

(١) الزيادة من أ ، ظ

(٢) فى خ : وادراكه لصوتها وسمعها ومعرفتها

(٣) سورة طه اية ٥

(٤) كلمة " الا " لم ترد فى ع واثبتتها بقية النسخ .

وبالجملة كل صفة قد وسعت ما وسعت العظمة وما وسعت كل صفة لا يجوز أن يترجح وصف من أوصاف الذات على وصف تعالى وصفه عن الزيادة والنقصان فتفهم هذا فقل ما تجده الا اشارة (١) يسيرة فى (٢) أقوال العارفين قل من يحكيها . ولولا خشية الانكار من أجل قلة فهم السامع لذكرت من علم الصفات ما لم يخطر قط على بال من ليس من أهل هذا الشأن ولكن عسى الله أن يأتي بالفتح اوامر من عنده (٣) .

ولو أنه تبارك وتعالى أظهر من صفة (٤) جماله وجلاله للعرش وجميع المخلوقات اكثرما تجلى لها وظهر لذابت المخلوقات وتلاشت شوقا وكمدا وتلفت الأرواح وانعدمت الأشباح لكن أظهر للكل بمقدار ما يحتمله وجودهم ويستقيم به نشأهم وايجادهم فاذا الف العرش وجميع المخلوقات ذلك المعنى ونشأوا عليه الى حد يحتملون معه اكثر من ذلك الذى تجلى لهم أعطاهم أيضا من التجلى زيادة على ما تقدم بمقدار ما يحتملون ،والتجلى دائم بدوام وجوده أبد الآباد يدركون فى النَّفس الواحد ما لم يدركوه فى النفس الذى قبله ويسمعون من الكلام ما لم يسمعوا (قبل) (٥) :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ..) (٦) .

---

(١) فى ظ : الا اشارات

(٢) فى خ : من أقوال

(٣) الجمله من قوله : ولو لا خشية ـ الى قوله : أوأمر من عنده غير موجودة فى ظ

(٤) فى أ : من صفات

(٥) كلمة قبل اثبتها من ظ

(٦) سورة الكهف آية ١٠٩

(ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ...) (١)

ولولا أن جهنم كلها حجاب صرف لما كان لها ثبات ولا وقف ولولا أن الدنيا كلها غفلة لتلاشى وجودها (في لحظة مع أن الله لم ينظر اليها منذ خلقها ولولا ان الجنة كلها رحمة لا نعدم وجودها) (٢) من نظرة فافهم ياتائها في بحار (٣) الأوهام واسلك طريق (٤) اهل الفهم والالهام فبحق أقول ليس في الوجود من يستحق (اسم) (٥) الوصف بالعظمة الا الله ولا من يستحق (اسم) (٦) الوصف بالعلم الا الله ولا بالقدرة و لا بالحياة ولا بالحكمة ولا بجميع الصفات حقيقة ومعنى الا الله فهو الواحد الصفات لا اله الا هو رب الأرضين (٧) والسماوات .

---

(١) لقمان آية ٢٧ وفي هامش خ ورد تفسير لهذه الآيه قال فيه :
معناه ما نفدت الموجودات الكاينه عن كلمات الله لان كل موجود فهو كاين عن كلام الله :
(انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) (النحل ٤٠) اهـ
قلت : أورد الألوسي في تفسيره لهذه الآية هذا القول وقال عنه : اطلاق الكلمات على ما ذكر من اطلاق السبب على المسبب .. ثم قال وفي انطباقه على سبب النزول خفاء ... اهـ
واكثر المفسرين يرجع أن المراد بكلمات الله هو المتبادر منها مايدل على عظمة الله تعالى وصفاته وجلاله .
راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤٥٠
وروح المعاني للالوسي ج المجلد ٧ الجزء ٢١ ص ١٠٠

(٢) ما بين القوسين سقط من خ

(٣) في خ : في بحر

(٤) في خ ، ظ : طريقة

(٥ ، ٦) الزياده في الموضعين من خ

(٧) في خ : الأرض .

واعلم أن علم الصفات لا يوجد الا عند العارفين بالله فان أهل الحديث انما نقلوا الأحاديث وأمروها كما جاءت ولم يطلبوا فقه معانيها ولكنهم على الطريقة الحسنى حتى يظهر لهم في الآخرة المضمن الذى اعتقدوه ـ وكذلك كل من سلك هذه الطريقة من الفقهاء والعوام هي الطريقة السابله (١) والسنة المستقيمة ، ومن تكلف تأويل ذلك، وفسر على رأيه وفهمه فتارة يخطئ وتارة يصيب ومن ها هنا دخل ما دخل على أهل البدع الناظرين بآرائهم. والعارفون الموقنون الذين اختصهم الله به هم الذين شاهدوا الأمر على ما هو عليه فتجلى سبحانه لقلوبهم في الدنيا كما يتجلى لهم في الآخرة بالأبصار (٢) جعلنا الله واياكم منهم برحمته آمين .

---

(١) في خ : السالمه وكلاهما يصح وفي القاموس : السابلة من الطرق : المسلوكة .

(٢) يتضح لنا من كلام المؤلف هنا تقسيمه الناس في موقفهم من الصفات الى ثلاث طوائف :

أ ـ اهل الحديث ومن سلك مسلكهم من الفقهاء والعوام .

ب ـ المتكلمون واشار اليهم بقوله : الذين تكلفوا تأويلها بموجب ارائهم وفهمهم .

جـ ـ أهل التصوف واشار اليهم بقوله : والعارفون الموقنون الذين اختصهم الله به هم الذين شاهدوا الامر على ما هو عليه فتجلى سبحانه لقلوبهم في الدنيا كما يتجلى لهم في الآخره بالابصار .

والذى يجب معرفته أن أهل الحديث : سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان كانوا مقتدين بنبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى بلغ البلاغ المبين واوضح الحجة للمستبصرين وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وقد وصفهم الله سبحانه بأنهم على بصيره في قوله تعالى :

(قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيره انا ومن أتبعنى) يوسف ١٠٨ .

فان كان قوله (ومن اتبعنى) معطوفا على الضمير في "ادعو" فهو دليل ان أتباعه هم الدعاة الى الله وان كان معطوفا على الضمير المنفصل فهو صريح أن اتباعه هم أهل البصيره فيما جاء به دون غيرهم ـ وكلام المعنيين حق . شرح الطحاويه ص ٦٨

....

وكان سبيلهم في الاعتقاد رضوان الله عليهم هو :

الايمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه وسمى بها نفسه في كتابه او على لسان نبيه من غير زيادة عليها ولا نقصان منها ولا تجاوزلها ولا تفسير لها ولا تأويل بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين بل أمروها كما جاءت وردوا علمها الى قائلها ومعناها الى المتكلم بها .

يروى عن الشافعي رضي الله عنه قوله :

((آمنت بما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد الله))

مجموعة فتاوى بن تيميه ج ٤ ص ٢

وينبغي أن يعلم أن عدم طلب أهل الحديث لفقه معاني الصفات ليس عن جهل منهم بل ذلك لقلة تكلفهم ولكمال بصائرهم وعمق علمهم بأن السنة انما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها وانما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والتكلف .

فأهل الحديث بذلك كانوا اعلم ممن جاء بعدهم وكانوا على كشف المعاني أقوى وبتفصيلها أحرى وقد وصفوا منها ما يكفي وتكلموا فيها بما يشفي فمن دونهم مقصر ومن فوقهم مفرط روى أنه جاء رجل الى مالك رضي الله عنه فقال : يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال : فما رأيت مالكا وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء (يعني العرق) وأطرق القوم فسرى عن مالك وقال : الكيف غيرمعقول والاستواء منه غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه واني أخاف ان تكون ضالا وأمر به فأخرج

(مختصر العلو للعلي الغفار ص ١٤١)

قال ابن تيمية :

وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شأن كان في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها . . (مجموع فتاوى ابن تيميه ج٤ ص٤)

وعلى هذا كان اعتقادنا بأن طريقة السلف الصالح اهل الحديث هي الطريقة السليمة الحكيمة لا كما يقول المتكلمون بان طريقة السلف اسلم وطريقتهم اعلم واحكم فطريقة اهل الحديث اسلم واعلم واحكم بدليل تناقض المتكلمين

واضطرابهم وعدم الاتفاق بينهم على رأى واحد ورجوع كثير منهم عن رأيه المخالف لطريقة السلف وندم الكثير منهم عند حصول أجله فالرازى — مثلا — يقول :

(لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ..

(الكواشف الجليه عن معانى الواسطية ص٥٠٣ونماذج أخرى)

وقال الجوينى عبد الله بن يوسف والد امام الحرمين في نصيحه له :

(... وكنت أخاف من اطلاق القول باثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصا تشير الى حقائق هذه المعانى واجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبرا عن ربه واصفالها وأعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر فى مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكى والبليد والأعرابى والجافى ثم لا أجد شيئا يعقب تلك النصوص التى كان يصف ربه بها لا نصا ولا ظاهرا ما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخى الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء ونزول الأمر للنزول وغير ذلك ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه فى صفته لديه من الفوقيه — واليدين وغيرها ولم ينقل عنه مقالة تدل على ان لهذه الصفات معان آخر باطنه غيرما يظهر من مدلولها ... ثم قال : اذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا . من شبه التأويل وعماوة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل واثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح فى ذلك والصدور تنشرح له .. فان التحريف تأباه العقول .. الصحيحة والوقوف فى ذلك جهل وعي مع كون ان الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها .... والذى شرح الله صدرى فى حال هؤلاء الشيوخ الذين اولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بالأمر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علمى بأنهم ما فهموا فى صفات الرب تعالى الا مايليق بالمخلوقين فما فهموا عن الله استواء يليق به ولا نزولا يليق به ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله تعالى =

وقد قال ابن مسعود لما مات عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال :

(اني لأحسب هذا الرجب ذهب بتسعة أعشار العلم فقيل لـــه :

اتقول هذا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير – أو كما قال (١)

فقال : لست أعني العلم الذي تذهبون اليه انما أعني العلم بالله) (٢)

ولولا طول الكلام لذكرت من ذلك اكثر مما ذكرنا لكن قد قلت لك انما هـــو

من علم القلوب فاستعن بالله يعنك والسلام.

= نفسه بــه).

مجموعة الرسائل المنيريه ج ١ ص ١٧٤

وانظر رسالة التحف في مذاهب السلف محمد علي الشوكاني ص ٩ وما بعدها

وهي ضمن الرسائل السلفيه للمؤلف المذكور وانظر أيضا موقف الغزالي

من المتكلمين في الاحياء ج ١ ص ٩٥

(١) في خ : او كما قيل

(٢) بهذا اللفظ اورده الغزالي في الاحياء ج ١ ص ٢٣

ولم أجده بهذا اللفظ عند غيره ولكن بمعنى يقاربــه :

ففي الصواعق المحرقه لابن حجر عند ذكره لخلافة عمر بن الخطاب رضي الله

عنه وثناء الصحابة عليه قال : اخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود قال :

لو أن علم عمر يوضع في كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر

بعلمهم ولقد كانوا يرون انه ذهب بتسعة اعشار العلم ص ٩٨

وفي مجمع الزوائد ، أورد أقوال لابن مسعود تحت عنوان : باب في علم عمـــر

ومنها :

عن ابي وائل قال قال عبد الله : لو أن علم عمر وضع في كفة الميزان ووضـــع

علم أهل الارض في كفة لرجح علمه بعلمهم ، قال وكيع قال الأعمش : فانكــــرت

ذلك فأتيت ابراهيم فذكرت له فقال وما أنكرت من ذلك فو الله لقد قال عبد الله

أفضل من ذلك قال : اني لا حسب تسعة أعشار العلم ذهب يوم ذهب عمــــر

ثم قال : رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير اسد بن موسى

وهو ثقة

مجموع الزوائد ج ٩ ص ٦٩

وانظر كتاب العلم لابن خيثمة النسائي تحقيق الالباني ضمن رسائل أربع ص ١٢٤

المرتبة الثالثة من مراتب التوحيد : وهو توحيد الذات :

اعلم ان هذا المقام من التوحيد قليل وجوده لا يوجد الا عند الآحاد الا أنه من ترقى من توحيد الأفعال الى توحيد الصفات يرجى له وقوع العلم به ان شاء الله ومن تكلف طلبه من غير هذا الطريق وقع في التشبيه والالحاد (١) ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) :

((تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله)) (٣)

---

(١) في خ : والاتحاد

(٢) في خ : عليه السلام

(٣) خرجه العراقي في تخريجه لأحاديث الاحياء وقال :
حديث ابن عباس : ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره)
اخرجه ابو نعيم في الحليه بالمرفوع منه باسناد ضعيف .
ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر اصح منه ، ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا اسناد فيه نظر ، قلت فيه الوازع بن نافع متروك، أ هـ
قلت : وأخرجه ايضا اللالكائي في اصول اعتقاد أهل السنه رقم الحديث ٢٣٦ واورده السيد سابق في كتابه : العقائد الاسلاميه وذكر ضعف سنده ثم قال : ومعناه صحيح ص ٢١
راجع المغني عن حمل الاسفار بهامش الاحياء للغزالي ج ٤ ص ٤٢٤ والجامع الصغير في احاديث البشير النذير للسيوطي ج ١ ص ٣٢ ١ ومجمع الزوائد للهيثمي ج ١ ص ٨١
وقال محمد عبده في رسالة التوحيد تحت عنوان : كلام في الصفات اجمالا قال :
ابتدىء الكلام فيما أقصد بذكر " حديث " ان لم يصح فكتاب الله بجملته وتفصيله يؤيد معناه وهو قوله صلى الله عليه وسلم :
(تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذاته فتهلكوا) رسالة التوحيد ص ٣٨ ط ٤ دار الفكر .

وانما الطريق الى علم هذا المقام بالتفكر في الأفعال والنظر والاستدلال فاذا حكموا النظر في الأفعال دلتهم الأفعال على الصفات(فتتجلى لهم معاني الصفات القائمة بالذات لأن الأفعال صادرة عن الصفات) (١) وفي الخبر :

((. . ما تجلى الله لشيء الا خشع له . . .)) (٢) .

---

(١) ما بين القوسين لم تذكره ع واثبته من بقية النسخ

(٢) هذا جزء من حديث :

رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٦٧ و ٢٦٩ ورواه ابن ماجه باب ١٥٢ باب ما جاء في صلاة الكسوف رقم ١٢٦٢

وهذا الجزء عندهما بلفظ :

(. . فاذا تجلي الله (عز وجل) لشيء من خلقه خشع له .)

ورواه النسائي ج ٣ ص ١٤١ في صلاة الكسوف وهو عنده بلفظ :

(. . أن الله عز وجل اذا بدا لشيء من خلقه خشع له . .)

قال البنا في الفتح الرباني : وأخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ . ثم قال : قلت : وأقره الذهبي وأخرجه الشيخان أيضا ولكن بغير هذا اللفظ كما قال الحاكم وبدون قوله : فاذا تجلى الله . .الخ الفتح ج ٦ ص ١٩٤ رقم الحديث ١٦٩٣ .

قال ابن القيم رحمه الله في : مفتاح دار السعادة . . . :

(. . . قد قال أبو حامد الغزالي ان هذه الزيادة (اى قوله في الحديث : فاذا تجلى الله عز وجل لشيء من خلقه خشع له . .) - لم يصح نقلها فيجب تكذيب قائلها وانما المروى ما ذكرنا يعني الحديث الذى ليست هذه الزيادة فيه قال : ولو كان صحيحا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي لا تتبين في الوضوح الى هذا الحد واعظم فانفرج به الملحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع . . . .

ثم قال ابن القيم - : وليس الأمر في هذه الزيادة كما قاله أبو حامد =

. . . .

= فان اسنادها لا مطعن فيه قال ابن ماجه حدثنا محمد بن المثنى وأحمد ابن ثابت وحميد بن الحسن قالوا حدثنا عبد الوهاب قال حدثنا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن النعمان بن بشير فذكره وهؤلاء كلهم ثقات حفاظ لكن لعل هذه اللفظه مدرجة في الحديث من كلام بعض الرواة ولهذا لا توجد في سائر أحاديث الكسوف فقد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم بضعة عشر صحابيا . . . فمن هنا نخاف أن تكون أدرجت في الحديث ادراجا وليست من لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم .
على أن ههنا مسلكا بعيد المأخذ لطيف المنزع يتقبله العقل السليم والفطرة السليمة وهو :

ان كسوف الشمس والقمر وجب لهما من الخشوع والخضوع بانمحاء نورهما وانقطاعه عن هذا العالم ما يكون فيه سلطانهما وبهاؤهما وذلك يوجب لا محالة لهما من الخشوع والخضوع لرب العالمين وعظمته وجلاله ما يكون سببا لتجلى الرب تبارك وتعالى لهما ولا يستنكرون أن يكون تجلى الله سبحانه وتعالى لهما في وقت معين كما يدنو من أهل الموقف عشية عرفة وكما ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا عند مضي نصف الليل فيحدث لهما ذلك التجلي خشوعا آخر ليس هو الكسوف ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله اذا تجلى لهما انكسفا ولكن اللفظة : فاذا تجلى الله لشيء من خلقه خشع له ولفظ الامام أحمد في الحديث . اذا بدا الله لشيء من خلقه خشع له — (تنبيه : يلاحظ ان هذا ليس لفظ أحمد بل لفظ النسائي) — فهنا خشوعان خشوع أوجبه كسوفهما بذهاب ضوئهما وانمحائه فتجلى الله سبحانه لهما فحدث لهما عند تجليه تعالى خشوع آخر سبب التجلي كما حدث للجبل اذ تجلى تبارك وتعالى له ان صار دكا وساخ في الأرض وهذا غاية الخشوع لكن الرب تبارك وتعالى ثبتهما لتجليه عناية بخلقه لانتظام مصالحهم بهما ولو شاء سبحانه لثبت الجبل لتجليه كما ثبتهما ولكن أرى كليمه موسى أن الجبل العظيم لم يطق الثبات له فكيف تطيق أنت الثبات للرؤيه التي سألتها . أ هـ مفتاح دار السعاده ج ٢ ص ٢١٢
وقال السبكي : انكار الغزالي هذه الزيادة غير جيد فانه مروى في النسائي وغيره وتأويله ظاهر . . والمزيد من البحث في هذا المعنى يراجع شرح السيوطي وحاشية الامام السندي على سنن النسائي ج ٣ ص ١٤١
وتهافت الفلاسفة للغزالي تحقيق سليمان دنيا ص ٨٠ — ٨١ ط ٤

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) (١)

وقال النبى عليه السلام :

((الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)) (٢)

---

(١) سورة الحشر آية ٢١

(٢) ورد هذا القول فى حديث سؤال جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وقد روى هذا الحديث عمر بن الخطاب وأبو هريره وأبو ذر رضى الله عنهم : صحيح البخارى كتاب الايمان باب ٣٧ حديث (٥٠) ، وصحيح مسلم كتاب الايمان الأحاديث ٨ ، ٩ ، ١٠

سنن أبى داود كتاب السنه رقم الحديث ٤٦٩٥ وسنن الترمذى كتاب الايمان حديث رقم ٢٦١٠ وابن ماجه حديث رقم ٦٣ ، ٦٤ باب فى الايمان والنسائى ج ٨ ص ٩٧ ، وأخرجه أحمد عن عمر بن الخطاب انظر الفتح الربانى ج ١ بيان الايمان والاسلام حديث رقم ٥ وقال ابن حجر فى شرح هذا الحديث :

(الاحسان هو مصدر تقول : أحسن يحسن احسانا ويتعدى بنفسه وبغيره تقول : أحسنت كذا اذا اتقنته وأحسنت الى فلان اذا أوصلت اليه النفع والأول هو المراد لأن المقصود هو اتقان العبادة وقد يلحظ الثانى بأن المخلص مثلا محسن باخلاصه الى نفسه . واحسان العبادة : الاخلاص فيها والخشوع وافراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود .

وأشار فى الجواب الى حالتين :

أرفعهما ان يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله : كأنك تراه اى وهو يراك .

والثانية : أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل وهو قوله " فانه يراك " وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته وقد عبر فى رواية عمارة بن القعقاع بقوله : " ان تخشى الله كأنك تراه " وكذا فى حديث أنس .

وقال النووى : معناه انك انما تراعى الآداب المذكورة اذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك فأحسن عبادته وان لم تره فتقديـر الحديث : فان لم تكن تراه فاستمر على احسان العبادة فانه يراك . قال :

وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين وهو من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله عليه وسلم ، وقد ندب اهل التحقيق

وقال الله تعالى :

(شهد الله أنه لا اله الا هـو) فهذا هو علمه بنفسه .

(والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط فهذا هو علمه بنفسه) (١)

(اى شهدت الملئكة واولوا العلم قائما بالقسط) (٢) شهدت قيامه

= الى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من التلبس بشئ من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله مطلعا عليه في سره وعلانيته ؟ أ هـ .

راجع : فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ج ١ ص ١٢٠

وانظر شرح السيوطى وحاشية السندى على سنن النسائى ج ٨ ص ٩٦

(١) سورة آل عمران آية ١٨ والآية بتمامها هى :

(شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) .

(٢) ما بين القوسين لم يذكر فى ع وانما ذكر فى هامشها وفى بقية النسخ ففى : أ ، ظ : (اى شهدت الملئكة . . .)

وفى : خ وهامش ع : (اى شهدته الملئكه . . .) وهو خطأ لأن لفظ الملئكة — كما قال المفسرون : معطوف على الاسم الشريف " الله " وأولوا العلم معطوف على ما قبله وشهادتهم اقرارهم بأن لا اله الا الله وأن كان المؤلف فى كلا العبارتين (شهدت وشهدته) لم يرد هذا المعنى بذاته كما سيتضح فيما يأتى .

بالملك كله يعطي كل شيء من الملك قسطه وحظه من كل شيء (١)
فهكذا مقام مشاهدة الصفات قائمة بالأفعال وموجدة لها على الدوام

---

(١) تنوعت عبارات المفسرين في لفظ شهد كما ذكر ذلك ابن تيمية :
فقالت طائفة : اى حكم وقضى
وقالت طائفة : اى بين
وقالت طائفة : أى أعلم
وقالت طائفة : معنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملئكة والمؤمنين : الاقرار/وقال ابن تيمية بعد أن أورد هذه الأقوال
وكل هذه الاقوال صحيحه وما في معناها صحيحه . . الخ . . لكن قال الشوكاني :
لابد من حمل الشهادة على معنى يشمل شهادة الله وشهادة الملئكة واولي العلم/ووضح ابن تيمية معنى شهادة الرب فقال :
وشهادة الرب وبيانه واعلامه يكون بقوله تارة وبفعله تارة :
فالقول : هو ما أرسل به رسله وانزل به كتبه وأوحاه الى عباده . . وقد علم بالتواتر والاضطرار أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد ويشهد ان لا اله الا هو بقوله وكلامه . . واما شهادته بفعله فهو ما نصه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل وان لم يكن هناك خبر عن الله وهذا يستعمل فيه لفظ الشهادة والدلالة والارشاد . . قال ابن كيسان : شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه أنه لا اله الا هو . . .
وقال ابن تيمية أيضا : واثبات شهادة أولي العلم يتضمن أن الشهادة له بالوحدانية يشهد بها له غيره من المخلوقين والملئكة والبشر وهذا متفق عليه يشهدون ان لا اله الا الله ويشهدون بما شهد به لنفسه .
ويتضح لنا من تفسير العلماء لمعنى الشهاده هنا ومقارنته بتأويل المؤلف هنا ان المؤلف سلك في تفسيرها مسلك المتصوفة فحمل شهادة الملئكة واولي العلم على معنى المشاهدة كما هو في اصطلاح المتصوفة بمعنى الحضور والقرب المقرون بعلم اليقين وهذا المعنى وان صح فهو لا يتناسب مع أقوال المفسرين في معنى الشهادة — كما تقدم — وقد أشار ابن تيمية الى المعنى الذى ذهب اليه المؤلف في استطراده لتفسير هذه الآية حيث قال : ـــ

والأفعال حجب الصفات كما قال ابن عباس :

(حجب الذات بالصفات وحجب (١) الصفات بالأفعال) (٢)

= ومن شهادته ما يجعله في القلوب من العلم وما تنطق به الألسن من ذلـك كما في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فاثنوا عليهـا خيرا فقال : وجبت وجبت ومر عليه بجنازه فأثنوا عليها شرا فقال : وجبت وجبت قالوا : يارسول الله ؟ ما قولك وجبت وجبت ؟ قال : (هذه الجنـازة اثنيتم عليها خيرا فقلت وجبت لها الجنه وهذه الجنازة اثنيتم عليها شـرا فقلت وجبت لها النار أنتم شهداء الله في الأرض

فقوله : " شهداء الله " أضافهم الى الله تعالى ...)

المراجع : دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ج ٢ ص ١٦-٥٠

تفسير فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٣٢٥

تفسير الطبرى ج ٣ ص ١٣٩

اللمع لابى نصر الطوسى ص ١٠١و٤١٢

والفلسفة الاسلاميه وملحقاتها لعمر رضا كحاله ص ٢٣٧

(١) في خ لم ترد كلمة حجب الثانية

(٢) لم أجد هذا القول لابن عباس

وكما أنه لا يتجلى لشيء الا خشع له ، كذلك لايتجلى لقلب عبد مختص الا أحبه ذلك العبد ضرورة لا يقدر على الامتناع من حبه فعلى قدر الاحسان اليه بالتجلي يكون الحب ، وعلى قدر الحب يكون الاستغراق في مشاهدة الموصوف بالأسماء الحسنى الصادر عنها كل حسن وجمال ، والموصوف هو الذات والحقيقة .

فصـــل :

واعلم أن الخلق على سبع مقامات فى مشاهدة التوحيـــد :
العامة فى أول تلك المقامات وأدناها والخاصة فى أعلاها والنـــاس فيما بين ذلك على قدر قربهم وكل أحد من الخلق اذا تفهم هـــذه المقامات المذكورة ميز مقامه منها وحيث هو من جملتها (١) :

---

(١) يلاحظ ان المؤلف فيما سبق قسم التوحيد فى نفسه الى ثلاث مراتب وقسم هنا الخلق فى مشاهدة التوحيد على سبع مقامات ، وقريب من هذا التقسيم تقسيم الغزالى فقد قسم التوحيد على أربع مراتب فى كتابه " احياء علوم الدين" ثم زاده بيانا فى كتابه " الاملاء عن اشكالات الاحياء" وقال : بيان المرتبة الرابعه وهو توحيد الصديقين . . وهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا فى الدارين غيره ولا اطلعوا فى الوجود على سواه . . .
وقد نبه صاحب كتاب كشف الغطاء على هذا التقسيم للتوحيد بقوله :
تنبيه : ينبغى للناظر فى هذا التوحيد الذى أشار اليه الغزالى والقصرى وغيرهما أن يتثبت ويعتصم بالكتاب والسنة وأقوال السلف من الأئمة ولا يسترسل فى قبول ما أشاروا اليه مما يشبه أقوال أهل الاتحاد فان السنى قد يجد كلاما له وقع فينقله غيرمتأمل لما يؤدى اليه ويكون الكلام لغال او ملحد اولشىء نسج على منوالهم ذاهلا عن ضلالهم فتفطن لذلك واعتصم بالسنة عن التهور فى مهادى التعسف والاتحاد . .
وكذلك نبه شارح الطحاوية على مثل هذه التقسيمات بقوله :
(واذا عرف أن توحيد الالهيه هو التوحيد الذى ارسلت به الرسل وانزلت به الكتب كما تقدم الاشارة اليه ـ فلا يلتفت الى قول من قسم التوحيـــد الى ثلاثة انواع وجعل هذا التوحيد توحيد العامة والنوع الثانى توحيـــد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائـــق . والنوع الثالث توحيد قائم بالقـــدم وهو توحيد خاصة الخاصة فان اكمل الناس توحيدا الأنبياء صلوات الله عليهم والمرسلون منهم اكمل فى ذلك واولوا العزم من الرسل اكملهم توحيدا وهـــم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين واكملهـــــم توحيدا الخليلان : محمد وابراهيم صلوات الله عليهما وسلامه فانهما قامـــا =

....

من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علما ومعرفة وحالا ودعوة للخلق وجهادا
فلا توحيد اكمل من الذى قامت به الرسل ودعوا اليه وجاهدوا الامم عليه
ولهذا امر سبحانه نبيه أن يقتدى بهم فيه كما قال تعالى بعد ذكر مناظرة
ابراهيم قومه فى بطلان الشرك وصحة التوحيد وذكر الأنبياء من ذريته
(اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الانعام ٩
فلا اكمل من توحيد من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتدى بهم،
وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا أصبحوا ان يقولوا :
(أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد وملة ابينا
ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين) ..
فهذا توحيد خاصة الخاصة الذى من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء قال
تعالى : (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى
الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب
العالمين) البقرة ١٣١-١٣١

وكل من له حس سليم وعقل يميز به لا يحتاج فى الاستدلال الى أوضاع
أهل الكلام والجدل واصطلاحهم وطرقهم البتة بل ربما يقع بسببها فى شكوك
وشبه يحصل له بها الحيرة والضلال والريبة فان التوحيد انما ينفع اذا سلم
قلب صاحبه من ذلك، وهذا هو القلب السليم الذى لا يفلح الا من أتى الله به .
ولاشك ان النوع الثانى والثالث من التوحيد الذى ادعوا انه توحيد الخاصة
وخاصة الخاصة ينتهى الى الفناء الذى يشمر اليه غالب الصوفيه وهو درب خطر
يفضى الى الاتحاد ... (الى ان قال) : فاين قال الرسول : هذا
توحيد العامة وهذا توحيد الخاصة وهذا توحيد خاصة الخاصة ؟ او مايقرب
من هذا المعنى ...

راجع ملحق احياء علوم الدين للغزالى ج ٥ ص ١٩-٣١ ج ٤ ص ٢٤٥
كتاب كشف الغطاء عن حقائق التوحيد الحسين اليمنى ص ١٢٣
شرح العقيدة الطحاوية ص ٩٦ — ٩٨
وانظر التصوف والمتصوفة لعبد الكريم الخطيب ص ١٤٥
وانظر مدارج السالكين جـ ٣ ص ٥١٣

فأصحاب المقام الأول هم الذين عقدوا بقلوبهم على التوحيد ولم يشتغلوا بالبحث وصدقوا بما قد سمعوا وهم الجم الغفير (١) وحبهم وخوفهم على قدر ما سمعوا من أسمائه وذكر لهم من وعده ووعيده .

وأصحاب المقام الثانى هم الذين سمعوا مثل ما سمع أهل المقام الأول وصدقوا بما صدقوا به وزادوا عليهم بالبحث والنظر فى المخلوقات واستدلوا بالوجودات على الموجد واكثر أهل علم الكلام فى هذا المقام ومثلهم مثل قول القايل :

ما رأيت شيئا الا رأيت الله بعده ،

اى رأى الشىء فاستدل به على موجده .

وأصحاب المقام الثالث : ترقوا عن رؤية الموجودات الى رؤية الايجاد وعن مشاهدة المصنوع الى مشاهدة الصنع فان الأشياء كلها لما خلقها البارى عز وجل وكملت صورة الموجودات لم يكن لها قيام بأنفسها فهى مفتقرة الى دوام الايجاد على الدوام ولو تخلى عنها الايجاد طرفة عين لتلاشت :

(وترى الجبال تحسبها جامده وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء . . .) (٢)

فنبه على الايجاد القايم بالموجودات بقوله " صنع الله " ولم يقل مصنوع الله واكثر الناس يدعى فهم الايجاد وهم (٣) عن فهمه بمعزل فكيف بما فوقه من المقامات ، وهؤلاء هم أهل المراقبة ومثل (٤) أهل هذا المقام مثل (٥) قول القايل :

ما رأيت شيئا الا رأيت الله معه

---

(١) انظر روضة التعريف لذى الوزارتين ابن الخطيب ج ٢ ص٤٣٢ فى ذكره لاقسام العارفين بالله .

(٢) سورة النمل آية ٨٨

(٣) فى خ وهو

(٤)(٥) فى خ : مثال فى الموضعين

(وهو معكم) بالايجاد (اينما كنتم) (١) لأنه لا يتحرك في الوجود حركة الا وهو يحركها .

وأصحاب المقام الرابع هم الذين ازدادت مراقبتهم وقويت مشاهدتهم فرأوا الأشياء بالله ونظروا به اليها ومثلهم مثل قول القائل :

ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبلـه

وفيهم قال بعض العارفين :

اثبت الله للعامة المخلوق فاثبتوا به الخالق (وأثبت للخاصة نفسه فاثبتوا به المخلوق) (٢)

وهم أهل الجمع جمع الحق هممهم فشاهدوا الطلل كله فعلا واحدا (٣) قام به الواحد (٤) فرأوا الحيثيات كلها بالله وهؤلاء كلهم أعنى أهل المقامات الأربع وان اختلفت أحوالهم فهم مع الأفعال يشاهدها كل أحد منهم (٥)

---

(١) سورة الحديد من الآية ٤ وقد قال ابن كثير في تفسيرها :
(وهو معكم اينما كنتم ..) اى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم واين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار في البيوت او في القفار الجميع في علمه على السواء ... ج ٤ ص ٣٠٤
وقال ابن تيمية : المعيه تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال :
(يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) الى قوله (وهو معكم اينما كنتم) دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف : انه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته ..

مجموع فتاوى ابن تيميه ج ٥ ص ١٠٣

(٢) ما بين القوسين سقط من خ

(٣) في خ : ملكا واحدا بدل من فعلا واحدا .

(٤) في خ : قام بالواحـد

(٥) العبارة في خ هكذا : .. يشاهدونها كل أحد على حسب ما قسم لـه ..

على ما قسم له من العطاء . (١)

وأما أهل المقام الخامس ، والسادس والسابع ففانيون عن الفعل كله

وعندهم يوجد مقام التوحيد الذى ذكرت لك فى أول هذا الباب " (٢)

---

(١) قال ابن تيمية :

اذا قال القائل : ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله لانه ربه والرب متقدم على العبد او رأيت الله بعده لأنه آيته ودليله وشاهده والعلم بالمدلول بعد الدليل او رأيت الله فيه بمعنى ظهور آثار الصانع فى صنعته فهذا صحيح بل القرآن كله يبين هذا ويدل عليه وهو دين المرسلين وسبل الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو اعتقاد المسلمين أهل السنة والجماعة ومن يدخل فيهم من أهل العلم والايمان ذوى المعرفة واليقين اولياء الله المتقين :مجموع فتاوى ابن تيميه ج ٢ ص ٤٠١

وقد نبه صاحب الكشف على أن الرؤية هنا محمولة على معنى العلم لامتناع الرؤية فى الدنيا كما حكى اجماع المتصوفة على ذلك الكلاباذى :

انظر كشف الغطاء ص ١٢٠ والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص ٨٥ ومجموع الفتاوى ج ٥ ص ٧٩

(٢) اى فى أول المرتبة الثالثة من مراتب التوحيد عند قوله : اعلم ان هذا المقام من التوحيد . .الخ (ص ١٧٥) واصحاب هذه المرتبه . وهم اصحاب المقام الخامس والسادس والسابع هم الذين خصهم الغزالى بالمرتبة الرابعة فى تقسيمه كما تقدم وعرفها بقوله :وهى توحيد الصديقين وهى الفناء فى التوحيد .

وقد عرف ابن تيمية الفناء بقوله :

والمعنى الذى يسمونه الفناء ينقسم ثلاثة أقسام : فناء عن عبادة السوى وفناء عن شهود السوى وفناء عن وجود السوى .

فالأول أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه وبخوفه عن خوف ما سواه وبرجائه عن رجاء ما سواه وهذا هو حقيقة التوحيد والاخلاص الذى أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه وهو تحقيق " لا اله الا الله " فانه يفنى من قلبه كل تأله لغير الله ولا يبقى فى قلبه تأله لغير الله وكل من كان اكمل فى هذا التوحيد كان أفضل عند الله .

والثانى :أن يفنى عن شهود ما سوى الله وهذا الذى يسميه كثير من =

....

الصوفية حال الاصطلام والفنا والجمع ونحو ذلك .

وهذا فيه فضيلة من جهة اقبال القلب على الله وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه فانه اذا شهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وأنه المعبود لا اله الا هو الذي ارسل الرسل وانزل الكتب وامر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته ومعصية رسله فشهد حقائق اسمائه وصفاته واحكامه خلقا وأمرا كان اتم معرفة وشهودا وايمانا وتحقيقا من ان يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر وشهود التفرقة في الجمع والكثرة في الوحدة وهو الشهود الصحيح المطابق لكن اذا كان قد ورد على الانسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا كان معذورا للعجز لا محمودا على النقص والجهل .

والثالث : الفناء عن وجود السوى وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب الفصوص وأتباعه الذين يقولون : وجود الخالق هو وجود المخلوق وما ثم غير ولا سوى في نفس الأمر فهؤلاء قولهم أعظم كفرا من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام .

قال صاحب الكشف بعد أن اورد كلام ابن تيمية هذا في معنى الفناء :

(حاصلة ان الفناء الاول مكتسب بتوفيق الله تعالى والثاني عارض ناقص والثالث كفر ومباهته وجحد للمحسوسات المعقولات وتفسيره هنا للفناء حسن صحيح لا تكاد تجد مثله فاعتقده) أ هـ .

مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٣٦٩

وكشف الغطاء ص ١٢٤

ولا يكون ذلك، الا بعد مقام المحبة والاستغراق في ذكر المحبوب ، والطريق الى ذلك، تصفية القلب من المحبوبات سواه وجلاؤه بالذكر الدايم والاقبال اللازم حتى يعود كالمرآة الصافية من الصدأ فعند ذلك يتجلى المحبوب الى قلب المحب :

((لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)) (١)

فيشاهد محبوبه على ما هو عليه فمنهم من لا يطيقه فيطلب الرجوع الى الأفعال ليسكن عنه عظيم ما ورد عليه ،

وهذا التوحيد هو توحيد الرب نفسه بنفسه عن عبده باشهاد العبد لذلك(٢) اى أشهده ان الرب ينوب عنه منابه في توحيده لأن هذا لا ينال الا بحكم الفضل لكن بقي من العبد فضلة فلذلك لم يطق حمله ومن هذا المقام قوله عليه السلام :

" حركيني يا عائشة" (٣)

---

(١) أورده ابن تيمية في أحاديث القصاص الحديث رقم (١) وقال عنه : هذا مذكور في الاسرائيليات وليس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه :وسع قلبه الايمان بي ومحبتي ومعرفتي والا فمن قال : ان ذات الله تحل في قلوب الناس فهو اكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده .

راجع :أحاديث القصاص تأليف ابن تيميه تحقيق محمد الصباغ

وانظر تخريج المحقق لهذا الحديث ص ٦٧

(٢) في ظ : بذلك

(٣) لم أجد هذا الحديث الا بلفظ كلميني يا عائشة ذكره الغزالي في الاحياء وقال العراقي في تخريجه : حديث : كان يضرب يده على فخذ عائشة أحيانا ويقول كلميني يا عائشة " لم أجد له أصلا .

احياء علوم الدين للغزالي المجلد الثالث ص ١٠١

وقول الله تعالى :

(وما تلك بيمينك ياموسى) (١)

شغله بذكر العصا لئلا ينقطع عن مشاهدة عظيم ما ورد عليه

وقال بعضهم : دخلت على الشبلي وهو ينتف اللحم من حاجبه بمنقاش

فسألته فقال : الحقيقة بادية الى ولا أطيقه (٢) فهو ذا ادخل الألم

على نفس فلعلي احس به فيستتر (٣) عنى فلست أجد الألم وليس يستتر عنى

وليس لى به طاقة "(٤) .

---

(١) سورة طه آية ١٧

(٢) فى ظ ،خ : وأنا لا أطيقه

(٣) فى خ : فيستر

(٤) هذا مما يعرف عند المتصوفة بالفناء وغير ذلك من تعبيراتهم

وقد قال ابن تيمية :

(وما يعرض لبعض العارفين فى مقام الفناء والجمع والاصطلام والسكر فانه قد يعرض لأحدهم لقوة استيلاء الوجد والذكر عليه من الحال ما يغيب فيه عن نفسه وغيره فيغيب بمعبوده عن عبادته وبمعروفه عن معرفته وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده . . .

ثم قال : وهذه الحال تعرض لكثير من السالكين وليست حالا لازمة لكل سالك ولا هى أيضا غاية محمودة بل ثبوت العقل والفهم والعلم مع التوحيد باطنا وظاهرا كحال نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه اكمل من هذا واتم .

وقد بحث صاحب الكشف فى حكم مثل هذا الفناء ووصل الى أن حكم التكليف والتأديب فيها قائم عند الجمهور .

راجع : مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٩٦

وكشف الغطاء ص ١٧٨

وهذه الجسألة وان علت فانه مع نفسه وانما كان هذا القلق من أجــــل ما بقى عليه من مشاهدة نفسه لان الحق سبحانه لا يطيقه شئ ولا يقوم لــه فان سلب الحق هذا العبد عن مشاهدة نفسه زال عنه الاحساس بنفســه وحصل فى المقام السادس ولم يشاهد الا الحق سبحانه وزال عنه ثقل ما كان يجد فى المقام الخامس لأنه فيه محمول وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلـم هذا المقام فى بعض مقام (١) الاسراء حيث قـال :

(لم ار عند رؤية ربى أحدا من خلقه (و) وقع الطرب والاستبشار فى وجعلت انتفض وأميل كما يميل القنديل فمكثت عنده ماشاء الله — فى كلام كثير اختصرته .. حتى رده على (٢) جبريل عليه السلام (٣)) وفى هذا المقام قال الصديق رضى الله عنه :

---

(١) فى خ : فى بعض أحاديث الاسراء ...٠

(٢) فى خ : حتى رده عنى .

(٣) ذكر ابن كثير رحمه الله فى أول تفسيره لسورة " الاسراء " الأحاديث الوارده فى الاسراء من ص ٢ — ٢٤ من الجزء الثالث ولم أجد هذا المعنى الـذى أورده المؤلف فى شئ منها ، غير أننى وجدت هذا المعنى فى حديـــث طويل جدا أورده الكنانى فى كتابه : تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبـــار الشنيعة الموضوعة وهو بطوله من ص ١٥٥ الى ص ١٦٩ والجزء الذى اورده المؤلف فى ص ١٦٤ وقال الكنانى بعد أن اورد هذا الحديث :
ذكر ابن حبان قطعة منه وابن مردويه فى تفسيره بطوله كلاهما من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه واتهم به الا ان ابن مردويه أخرجـــه من طريق آخر دل على أن الآفة فيه من غير ميسرة وأنها من شيخـه عـمــر ابن سليمان الدمشقى أ هـ
وقال الذهبى : عمر بن سليمان عن الضحاك بن حمره فذكر حديث الاســراء بلفظ موضوع ، الميزان ج ٣ ص ٢٠٢
وقال أيضا فى ج ٤ ترجمه ميسره ص ٢٣٠ :
قال ابن حبان : روى ميسرة عن عمر بن سليمان الدمشقى عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا : لما اسرى بى الى السماء الدنيا ... وذكر حديثا طويلا ـــ

(من ذاق شيئا من خالص محبة الله الهاه ذلك عما سواه) (١)
وهذا توحيد الرب نفسه بنفسه عن عبده ، لكن حمله البارى فى ذلك حملا وغيبه عن مشاهدة نفسه (٢) فلذلك زال القلق (٣) الذى كان فى المقام الأول الذى قبل هذا ولم يبق الا المشاهدة للبارى فقط ، فان سلبه الرب سبحانه عن مشاهدته لربه (٤) وعن مشاهدته لمشاهدته لم يكن للعبد ولا للمشاهدة (٥) اثر ولا خبر وبقى الرب (٦) سبحانه كما لم يزل . وهذا توحيد الرب نفسه بنفسه لنفسه يغيبه عنه وعن نفسه ما شاء ثم يرده بالأحوال السنية والمقامات العليه ، ويفهمه بعد ذلك معنى توحيد هذا المقام .

= فى اخراج نحو عشرين ورقه وذكر ان ابن حبان ذكر ان ميسرة هذا كان ممن يروى الموضوعات عن الاثبات ويضع الحديث وانظر مبحث اختلاف العلماء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج فى الفتح الربانى فقد لخص هذا الخلاف ثم قال : والخلاف فى هذه المسألة مشهور بين السلف والخلف ـ والله أعلم .

الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد ج ٢٠ ص ١٦١

، ج ١٨ ص ١٩٣

(١) نسب الغزالى هذا القول فى الاحياء الى أنه من أخبار عيسى عليه السلام وكذلك ـ نسبه الى أبى بكر الصديق بمعناه ، انظر الاحياء المجلد ٤ ص ٣١٠ و٣٣٣

(٢) فى ظ ،خ : عن مشاهدته نفسه

(٣) فى خ زال النطق

(٤) فى ظ ،خ : فان سلب الرب سبحانه عبده عن مشاهدته لربه

(٥) فى خ : وعن مشاهدة لم يكن للعبد ولا لمشاهدته اثر ولا خبر .

(٦) فى خ : وبقى البارى سبحانه .

وقد أشار المشايخ (١) من أهل المعرفة الى هذا المقام فى عبارات كثيرة :

فقال ابن عطاء (٢) :

حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو أن يكون القايم به واحـــدا

وقال الشبلى :

ما شم الرايحة للتوحيد من تصور عنده التوحيـــد (٣) .

وسئيل الجنيد رحمه الله عن التوحيد فقال :

معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل (٤)

وقال أبو سعيد الخراز (٥) :

المقام الذى لا بعده مقام الا الزيادة منه ان شاء الله نسيان العبـــد

---

(١) فى خ : الأشياخ وهو جمع شيخ والمشايخ جمع مشيخه / تهذيب اللغة ج ٧ ص ٤٦٥

(٢) تقدمت ترجمته وهذا القول له ورد فى الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٨٨

(٣) ذكر هذا القول فى الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٨٧

(٤) ذكره القشيرى أيضا فى رسالته ج ٢ ص ٥٨٣ وذكره صاحب اللمع أيضا ص ٤٩ وقد جمع صاحب اللمع بين ما تقدم فى تعريف الجنيد للتوحيد [illegible] وبين ما ذكره هنا بأن ما تقدم يحمل على توحيد العامه وهذا يحمل على توحيد الخاصه وقد قدمت نقدى لهذا التقسيم وتحذير بعض العلماء من الاسترسال فى قبول ما أشاروا اليه مما يشتبه بكلام اهل الالحاد ، وانظـــــر كشف الغطاء ص ١٢٠

(٥) ترجمتـــه : هو أبو سعيد احمد بن عيسى الخراز من اهل بغداد يقال انـــه أول من قال بالرأى فى الفناء والبقاء وعندما عرف كتابه الذى الفه وسماه " كتاب السر " خاف على نفسه بسببه فخرج الى القاهره والتقى بالجنيـــد وبذى النون فيها وبقى حتى مات بها سنة ٢٧٩ وقيل ٢٨٦ .

المراجع : الرسالة القشيريه ج ١ ص ١٦١ والحليه ج ١٠ ص ٢٤٦

تاريخ الادب العربى لبروكلمان ج ٤ ص ٦٣

تاريخ التراث العربى فؤاد سزكين ج ٢ ص ٤٥١

حظه من الله ونسيان حاجته اليه ، اقتطعه قرب الله عن اللـــه بلا وجود كينونة مع امتلاء مما (١) وجد من الله فلم يجد مدخـــلا بينه وبين الله فاسلبه الهجوم على الله عن وجود الله فسقط وبقي الله كما لم يزل وهذا المعنى في قوله عليه السلام :

((حجابه النور لو كشفه لا حرقت سبحات وجهه ما ادركه بصـــره من خلقه)) (٢) .

---

(١) في خ : بما وجـد

(٢) هذا جزء من حديث :

اخرجـه مسلم في صحيحه في كتاب الايمان باب ٧٩ رقم الحديث ٢٩٣ و ٢٩٤ بلفظ : حجابه النور وفي رواية (النار)"

وأخرجه ابن ماجـه في سننه في المقدمة الباب ١٣ باب فيما انكرت الجهمية رقم الحديث ١٩٥ / ١٩٦ واخرجه احمد في مسنده ٤ / ٤٠٥ وذكره البنـا في الفتح الرباني وشرحه وخرجـه في الجزء الاول ص ٢٨ في باب في عظمه الله .

وذكره ابن منده في كتاب الايمان تحقيق د / على الفقيهي الاحاديـــث رقم ٧٧٥ / ٧٧٦ / ٧٧٧ / ٧٧٨ / ٧٧٩ وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ١٩

قال النووى : السبحات جمع سبحه . . وقال . . : معنى سبحات وجهـــه نوره وجلاله وبهاؤه . وقال محقق الرسالة القشيريه د / عبد الحليم محمود وزميله في تعليقهما على هذا الحديث : اى أن العبد . . لا يطيق رؤيـــة الحق تعالى ولا كمال جلاله وانما يكشف لكل عبد من رؤيتـه في الدنيـــا ما تقوى عليه بصيرته ، وليس المراد بقولهم المكاشفة" والمشاهدة" ونحوهمـــا من الألفاظ : معاينة الذات حقيقة . . . ص ٢٧٨ ج ١

وانظر تأويل هذا الحديث في كتاب مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر بن فورك ص ٨٤

فعلى قدر كشف الحجاب يكون احتراق المحب (١) بنيران محبة تجلي المحبوب الذى ليس كمثله شيء .

وأهل هذه المقامات الثلاثة مختصون ومقربون ومنهم من تعتريه هذه الأحوال مرة فى العمر (٢) .. أو مرة فى السنة (أو) مرة فى الشهر (أو) مرة فى الجمعه (أو) (٣) مرة فى اليوم أو أقل أو اكثر على قدر تقرب الله له (٤) وهم الذين لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين" (٥)

قال سهل : لا تعلم نفس من غير نفوسهم المرحومة ما أخفى لهم من قرة أعين هداهم (٦) فى الدنيا فطوبى لهم وحسن مآب (٧) .

---

(١) فى خ : احتراق الحجب

(٢) مكان النقط " أو مرة فى الشهر" حذفتها لتكررها وهى لم ترد فى خ

(٣) كلمة " أو " فى المواضع الثلاثه لم ترد فى ع وذكرت فى خ .

(٤) فى خ : على قدر تقريب الله لهم وهو أصح .

(٥) قال اليمنى فى كشف الغطاء :

وليعلم ان ما يذكره اهل الحق من الفناء والغيبة عن الخلق ونحو ذلك، انما هى احوال تطرق أحيانا ولا تدوم حتى قال الغزالى فى الاحياء تكون كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادرعزيز وقد تقدم فى كلام القصرى الاشارة الى تدور ذلك فتأمله والله أعلم .. (ثم قال) : وهذه المشاهدات احوال فى الحقيقةلا مقامات فافهم والله اعلم ص ١٢٠

(٦) فى ظ : هذا لهم فى الدنيا

(٧) الظاهر من كلام المؤلف باستدلاله بكلام سهل هذا أن سهلا والمؤلف يدعيان أن الصالحين يعلمون ما اخفى لهم فى الآخرة فى الدنيا ، خاصة اذا صح لفظ : ظ وهو قوله :هذا لهم فى الدنيا وهذا الذى يدعيانه مما ينافى كلام العلماء من ان النكرة فى سياق النفى يعم فعليه يكون قوله تعالى فى سورة السجده (فلاتعلم نفس ما اخفى لهم ..) الآية ١٧ اى لا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عمن سواهم .

وبهذا المعنى وردت أحاديث : =

نفعنا الله بذكرهم ورزقنا مما رزقهم بمنه وفضله انه على كل شيء قدير

فان قلت : كيف لم تظهر هذه الأحوال على الصحابة رضى الله عنهم ؟

فاعلم انك غافل أعمى عن أحوال الصحابة رضى الله عنهم ، بل أحوال الصحابة ومقاماتهم أعظم وكلما ذكر عندهم موجود (١) لكنهم أقوى من غيرهم وأمكن في الأحوال الا ترى الى قول أبي بكر رضى الله عنه :

(من ذاق شيئا من خالص محبة الله تعالى الهاه ذلك عما سواه) (٢)فتأمل هذه الكلمة (٣) من الصديق تجد المقامات كلها فيها .

وكذلك اذا تأملت بذلهم نفوسهم واطراحها بين يدى الله في الحروب وقتالهم القريب والبعيد في الله تعالى دلك ذلك على امتلاء بواطنهم بحب الله ومشاهدته .

وكذلك بذل أموالهم وخروجهم من ديارهم وصبرهم على الجهد الذى لا يقدر غيرهم عليه ليس ذلك الا عن أمر عظيم ملكوا البواطن وصرفوها على حكم محبة الله . (٤)

= ففي صحيح البخارى ج ٨ رقم ٤٧٧٩ و ٤٧٨٠ :

(.. قال الله تبارك وتعالى :اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولااذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ...) .

وفي مسلم كتاب الايمان برقم ٣١٢ وفيه : (.. سال موسى ربه ما أدني أهل الجنه منزلة ؟

وذكر الحديث الى أن قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ اولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر" .

وانظرتفسير القرآن لابن كثير ج ٣ص ٤٦٠

وروح المعاني للالوسى ج ٢١ ص ١٣٢

(١) في خ : وكلما ذكر موجود عندهم وهو الاصح

(٢) تقدم قريبا ص ١٩٢

(٣) لم تذكر عبارة هذه الكلمة في خ

(٤) في خ العبارة كذا : أمر عظيم ملك البواطن وصرفها على حكم محبة الله

وفي ظ ،، ،، : أمرعظيم ملأالبواطن ..الخ .

وانظر كيف يخبر الله عن اسرارهم فى كتابه فان القرآن انما نزل بالثناء عليهم وانظر الى وصفه لباطن على (بن ابى طالب) رضى الله عنه وزوجه فاطمة وابنيه الحسن والحسين على جميعهم السلام واخباره عن سرائرهم فى (قوله :) (١)

(هل اتى على الانسان) (٢) (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) (٣) .

وان تفهمت هذه الآية حقيقة الفهم (٤) علمت ما ذكرت لك وان بواطنهم مملوءة مشحونة بالذخاير النفيسة والهمم العالية الزكية وان مرادهم النظر الذى هو قرة العين .

---

(١) كلمة " قوله من ظ "

(٢) العبارة فى خ هكذا : واخباره عن أسرارهم فى قوله (ويطعمون الطعام . .) الخ

(٣) سورة الانسان الآيات (١ ، ٨ ، ٩)

(٤) لم أجد فيما تتبعت من التفاسير التى تفسر بالمأثور من قال ان سورة " الانسان " نزلت فى آل البيت عليهم السلام خاصة ، وقد ذكر النيسابورى فى تفسيره : غرائب الفرقان المطبوع بهامش جامع البيان ان الواحدى والزمخشرى والاماميه أطبقوا على أن السورة نزلت فى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ولا سيما فى هذه الآى وذكر الرواية التى يستندون عليها عن ابن عباس وقد أجاب ابن تيمية على هذا الادعاء واستدلالهم بهذه الرواية ونقدها من ثلاثة عشر وجها وقال فى الوجه الثانى : ان هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث . . . . الخ .

وقال الهندى فى تذكرة الموضوعات عن هذا الحديث ص ٩٩ : حديث مفتعل تنكره القلوب .

انظر بقية الأوجه التى ذكرها ابن تيمية فى نقده لهذا الحديث فى منهاج السنة النبوية ج ٤ ص ٤٨ .

وكذلك انظر كيف أخبر عن سر أبي بكر رضى الله عنه في سورة :

(والليل اذا يغشى) حيث قال :

(وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) (١) (ولسوف يرضى) (٢)

وارتفاع همته الى الغاية القصوى (٣) ، وكذلك آيات القرآن كلها انما نزلت في أوصاف الصحابة . فمن تفهمها بحقيقة الفهم أشرف في الآيات على ماذكرناه ، وكذلك الفاظهم تدل على ذلك الا أنهم كانوا أقوى من غيرهم ملكوا الأحوال ولم تملكهم الأحوال (٤) وغيرهم ملكتهم الأحوال لضعفهم عن أحوال الصحابة فظهرت عليهم الأحوال (٥) لأن قوتهم رضى الله عنهم من قوة النبى عليه السلام الذى هو أقوى الأقوياء لأنه مثل من يصحب (٦) الانسان يكون ،

---

(١) سورة الليل ١٧ — ٢٠

(٢) سورة الليل الاية ٢١ انفردت خ : بايرادها

(٣) قال ابن كثير في تفسيره لهذه السورة : ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه حتى ان بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ولا شك أنه داخل فيها وأولى الامة بعمومها . . . الخ
تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٥٢١

(٤) لم تتكرر كلمة الأحوال في خ .

(٥) في ظ ، خ : فظهرت عليهم آثار الأحوال

(٦) في خ : مثل من صحب

وكذلك نبينا عليه السلام كل ما شاهده ليلة الاسراء من عجائب أمر اللـــــه ومن حقائق القرب الذى لا ينبغى الا له عليه السلام أنما كانت فى أول ابتــداء أمره ونبوته ثم كان فى بقية عمره كله أعظم مشاهدة وأقوى حالا من ابتداء أمــره الا تراه يقول :

((انــه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة)) (١)

ولقد قال سهل بن عبدالله التسترى كلمة أمرها عظيم قليل من يفهم حقيقتهــا يخبر بها عن نفسه رضى الله عنه لانه كان من الأقوياء فكيف بأحوال الصحابــة رضى الله عنهم قال سهل :

((لى أربعون سنه أكلم الله والناس يظنون انى اكلمهم)) ،

فان فهمت فاحمد الله والا فسلم كل صنعة لأربابها ولا تنكر مالم تفهم فتخســر أقل أنصفة المؤمنين وهو التصديق (٢) ولا حول ولا قوة الا باللــه .

---

(١) هذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه رقم الحديث ٢٧٠٢ ورواه أحمد ٤ / ٢٦٠ وأبو داود فى كتاب الصلاه باب فى الاستغفار رقم ١٥١٥ وهو عن الأغر المزنى وكانت له صحبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((أنه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم مائه مرة))

فلم يقل فيه سبعين مرة كما ذكر المؤلف ، وانما قال : سبعين مره فى احاديث اخرى كثيرة ، وقد قال أهل اللغه فى معنى الغين ان الغين والغيم بمعنى واحد والمراد هنا مايتغشى القلب قال القاضى : قيل المراد : الفــترات والغفلات عن الذكر الذى كان شأنه الدوام عليه فاذا فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر الله ، وقيل فى معناه غير ذلك ، انظر : مسلم بشرح النووى ص ٢٠٧٥

وفتح البارى ج ١١ ص ١٠١ باب استغفار النبى صلى الله عليه وسلم فى اليوم والليله .

(٢) فى خ : أنصبة المؤمن : التسليم ..

فصـــل :

فان قلت كيف الطريق الى هذه المقامات الشريفة فاعلم أن ذلك لا ينـــال بالحركات والسمايات وانما هو من فضل الله يختص (به) (١) مـــن يشاء من خصوص عباده ولكنه مع ذلك قد جعل ما بين ودعا الخلق للدخول (٢) عليهما لينال ذلك بفضل جوده (٣) فهما الطريق الموصل لنيـل المرغوب ان شاء اللـه .

واعلم ان الطريق اليهما هو العلم والعمل ، وقد تقدم في هذا الكتـاب طريق العلم والتنبيه اليه وبقي أن نذكر العمل والله تبارك وتعالى يعصمنا بكرمه من الخطأ والزلل أنه على كل شيء قدير .

وأعلم أن هذا الشأن مبنى على ثلاث مقامات :

مقام الاسلام ومقام الايمان ومقام الاحسان الواردة في حديث جبريـــل اذ سأل النبي عليهما السلام عن الايمان والاسلام والاحسان (٤) فالاسلام أصل وبدايه والاحسان فرع ونهاية والايمان واسطة رابطة لهما ومثـــل الثلاثه مثل الجسد والنفس والروح .

---

(١) الزيادة من : خ

(٢) في خ : الى الدخول

(٣) في خ : بفضل الله

(٤) سيورده المؤلف قريبا وقد تقدم تخريجه ايضا

فالجسد ظاهر والنفس باطنه والروح باطن الكل (١)
فالاسلام ظاهر على الجسد لأنه أعمال باللسان والاركان الظاهرة التي هي الجوارح الظاهره ، والايمان باطن الاسلام مخاطب به النفس لانه تصديق بالغيب والنفس غايبة في الجسد مقبلة على الهوى والشهوات بكليتها الا ان يغلبها الايمان بالغيب فتزهد في الحاضر وتقبل على الغايب وهذه صفة (٢) الايمان بالغيب والوعد والوعيد .
والاحسان باطن الايمان مخاطب به الروح الكاين عن أمر ربي وفي هذا المقام معادن أسرار المعرفة لانه حال من المشاهده كما قال عليه السلام (الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) (٣)
وليس يخرج شيء من أمور الدين التي تعبد الخلق بها من علم أو عمل أو نهي عن ضدهما عن هذه المقامات الثلاثه (٤) والناس كلهم مأمورون بها وأخذ الكل منها بمقدار ما قسم له .
فمن الناس من غلب عليه مقام الاسلام وجمد على ظاهر الشرع من العلوم والأعمال وخفي فيه المقامان الأخران واكثر الناس على ذلك .

---

(١) حقق ابن القيم في : هل الروح والنفس شيء واحد اوهما متغايران وقال : فمن قائل أن مسماهما واحد وهم الجمهور ومن قائل انهما متغايران وهم فرق من أهل الحديث والفقه والتصوف .
وجمع بين هذه الأقوال بقوله : قلت اما الروح التي تتوفى وتقبض فهي روح واحدة وهي النفس وأما ما يؤيد الله به أولياءه من الروح فهي روح اخرى غير هذه الروح ...
راجع الروح لابن القيم ط ١ ١٤٠٢هـ ص ٢٩٣
(٢) في خ : صفات .
(٣) تقدم تخريجه وسيذكره المؤلف بتمامه قريبا
(٤) في خ : الثلاث .

ومن الناس من غلب عليه مقام الايمان وأنار الله قلبه به فكان الغالب عليه امور الآخرة والبحث عنها والتسبب لاسباب النجاة فيها وطلب العلم لها (١) قال الله عز وجل :

(ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا) (٢)

ومن هؤلاء علماء وعامة ، ومن الناس من غلبت عليه أمور الاحسان الروحانية فكان شغله كله بالله وعلومه كلها متعلقة بالله ومراده كله الله (٣) وهؤلاء خصوص جميع عباد الله وهم المقربون من الله وأهل محبة الله والشوق اليه والانس به والرضى به وعنه الى غير ذلك من مقامات اليقين وثمرات الايمان والاسلام وقد ذكر الله هذه المقامات الثلاثه فى آية من كتابه فقال : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات)

هذا هو المقام الأول ذكر فيه الأعمال التى هى للجسد :

(ثم اتقوا وآمنوا)

هذا هو المقام الثانى لم يذكر فيه الأعمال :

(ثم اتقوا واحسنوا)

هذا هو المقام الثالث ذكر فيه الاحسان (ثم قال) (٤) :

---

(١) فى ظ : العلم بها

(٢) سورة الاسراء الآية : ١٩

(٣) فى خ : مراده كله لله

(٤) كلمة : ثم قال من ظ ،خ .

(والله يحب المحسنين) (١)

فهؤلاء هم المحبون واولياؤه المقربون ونص الحديث الجامع لهذه المقامات المذكورة هو ما رويناه في صحيح الحديث مسندا عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال (٢) :

بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبته الى ركبته ووضع كفه على فخذه فقال (٣) يامحمد : أخبرني عن الاسلام قال (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت (قال) (٥) : فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : فأخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر كله خيره وشره قال : صدقت ، قال

---

(١) سورة المائدة من الاية ٩٣

وما ذكره المؤلف هنا هو بعض ما ذهب اليه المفسرون في بيانهم لمعنى التكرار في هذه الآية حيث ذكروا لذلك وجوها قال عنها الشوكاني : هذه الوجوه كلها مع قطع النظر عن سبب نزول الآية أما مع النظر الى سبب نزولها وهو أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة : كيف بمن مات منا وهو يشربها ويأكل الميسر ؟ فنزلت فقد قيل ان المعنى " اتقوا " الشرك " وآمنوا " بالله ورسوله (ثم اتقوا) الكبائر (وآمنوا) اى ازدادوا ايمانا (ثم اتقوا) الصغائر (واحسنوا) اى تنفلوا ، قال ابن جرير الطبري : الاتقاء الاول هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل، والاتقاء الثاني الاتقاء بالثبات على التصديق والثالث : الاتقاء بالاحسان والتقرب بالنوافل .

راجع : فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٧٤

روح المعاني للألوسي ج ٧ ص ١٨–٢١

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث في ص٧٨ ، وقد ذكر المؤلف هنا رواية مسلم من حديث عمر بن الخطاب .

(٣) في صحيح مسلم : فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : . .

(٤) في صحيح مسلم : فقال

(٥) الزيادة من خ وهي كذلك في رواية مسلم ففيها : قال : صدقت قال : فعجبنا

فأخبرني عن الاحسان قال : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن اماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ،قال : ثم انطلق فلبث مليا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياعمر) (١) أتدري من السائل قال : قلت: الله ورسوله أعلم قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم) (٢) .

ففي هذا الحديث معاني الدين كلها مجملة (لانه) (٣) قال فيه : يعلمكم دينكم وأمور الدين لا تخرج عن هذه المقامات الثلاث المذكورة في هذا الحديث وقد بين النبي عليه السلام ما أجمل في هذا الحديث بحديث آخر في قوله :

(الايمان بضع وسبعون شعبة) (٤)

وكل شعبة من شعبه تشتمل على أبواب وفصول من العلم لا نهاية لها ولا غاية لانه عليه السلام أوتي جوامع الكلام (٥) واختصرت له الحكمة اختصارا وأنا أبين ان شاء الله معاني هذه الشعب على قدر ما يسر الله ونسأل الله أن يعصمنا جميعا من الزلل في جميع الامور آمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما .

---

(١) في مسلم : ثم قال لي ياعمر وكلمة " ياعمر " لم تذكرها خ

(٢) في صحيح مسلم : يعلمكم دينكم

(٣) كلمة " لأنه " من خ

(٤) سيذكره المؤلف قريبا في أول الشعبة الأولى

(٥) في خ الكلم

فصـــل : (١)

أول ذلك، مقام الاسلام وهو مقام عظيم وحال شريف من تحقق به في الدنيـا

فحاله حال أهل الجنه في العقبى ومعناه :

الانقياد للأوامر وترك الاستعصاء لها والامساك عن الاذاية من دخل الاسلام

(من جميع المخلوقات) (٢) ونفع أهل الاسلام في جميع المخلوقـــات

وهو دار السلام" سبحانه" (٣) من دخله من جميع المخلوقات فقد سلـــم

من الاذاية كلها وهذه الدار قد سكنها كل من دخل في ملك الله سبحانه

قال الله تعالى :

(.. وله اسلم من في السموات والارض ...) (٤)

---

(١) قد بين المؤلف فيما مضى ان جانب الاسلام وشعبه تمثل الطريق العملـي لتحقيق التوحيد ،وتحدث في هذا الفصل عن هذا المقام وشرع في ذكـر شعبه وقد ذكر ايضا في ص ان جميع ما تقدم من هذا الكتاب انما هو في توضيح الجانب العلمي الذي يدخل فيه المقامان الاخران : الايمـان والاحسان فلم يعد التحدث عنهما هنا .

ولزيادة البيان عن تقسيم المؤلف وترابط هذا التقسيم نذكر بأن المؤلـــف في أول الكتاب ذكر ان أول شيء يجب على العبد أمران هما : العلموالتعبد وذكر ان العلم له طريقان هما السمع والبرهان العقلي وسار في توضيح ذلك، في جميع ما تقدم من الكتاب.

وهو هنا يشرع في توضيح الجانب الآخر وهو ما عبر عنه هناك بطريق التعبد وذكر هنا بطريق العمل وشرع في توضيحه بدأ من هذا الفصل :

وقد عرف هذا الطريق مختصرا في ص بأنه مأخوذ من جهة السمع وعلـــى العقل التسليم والانقياد حتى يظهر له وجـه الحكمه في الاستعباد ...

(٢) الزيادة من ظ ،خ .

(٣) الثناء بكلمة سبحانه يعود على السلام وهو يصح بناء على القول بأن المضاف اليه له حكم المضاف.

(٤) سورة آل عمران آية ٨٣

وهو موجود عن معنى أسمه "السلام" وما في معناه من اسمائه تعالى
ومبنى هذه الدار على الاقرار بالشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج
هذه دعائمه الذى قام بناؤه عليها كما قال عليه السلام :
(بنى الاسلام على خمس ....) (١)
وما بقى من شعب الاسلام يجرى مجرى تحسين البناء وتكميله مصداق
ما تقدم الحديث المشهور عن جابر قال :
((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : انى رأيت
فى المنام كان جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه
اضرب له مثلا فقال : أسمع سمع (٢) اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك
ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مائدة (٣)
ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من
عصاه فالله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنه وأنت يا محمد رسول
الملك من أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنه ومن دخل
الجنه أكل ما فيها)) (٤) .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الايمان رقم (٨) ومسلم فى كتاب الايمان حديث رقم ١٩، ٢٠ والنسائى ح ٨ ص ١٠٧، ١٠٨ والترمذى رقم ٢٦٠٩ وقد ورد بطرق مختلفه انظر كتاب الايمان لابن منده المجلد الاول ص ١٨٥ والفتح الربانى ج ١ ص ٧٨

(٢) فى خ : اسمع سَمِعَتْ : وقد ورد كذلك فى الترمذى

(٣) فى ظ : مأدبة وهى هكذا فى رواية البخارى .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ج ١٣ رقم الحديث ٧٢٨١ ورواه الترمذى فى كتاب الامثال رقم الحديث ٢٨٦٠ بهذا اللفظ الذى أورده المؤلف وقال الترمذى : وقد روى هذا الحديث من غيروجه عن النبى صلى الله عليه وسلم باسناد أصح من هذا

راجع: جامع الاصول ج ٨ ص ٤١ ه — ٤٢ ه وشرح السنه للبغوى الجزء الاول باب الاعتصام بالكتاب والسنه الحديث رقم ٩٤

وكل من أسلم فقد سلم فى نفسه وسلم منه غيره من كل من دخل دين الاسلام وسكن دار السلام واحبه جميع الخلق من المسلمين ومن كان بضد هذا الوصف فقد أذى نفسه وآذى الخلق اجمع بقدر كفره (١) وعصيانه فوجبت اذايته وطرده :

(ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله . . .) الى آخر المعنى (٢)

فهذا المقام الأول من المقامات الثلاثة ظاهر لأنه عبادة الأجساد بالظاهره وشعبه مفترقة (٣) على جوارح الجسد وعلى جملة الجسد والكل متعاون بعضه مع (٤) بعض فمن شعبه ما فرض على اللسان مثل الاقرار والتلاوة والاذكار والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من طاعات اللسان أو ترك ضد الطاعات التى نهى اللسان عنها من شهادة الزور وغير ذلك من معاصيه ، وهكذا اليد والعين والرجل وجميع الجوارح كلها وجميع أعضاء الجسد .

(والحمد لله رب العالمين ،جعلنا الله من أهل التوحيد آمين وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما ،ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم)(٥)

---

(١) فى ط : كفرانه

(٢) فى خ : الى آخر الآية : وهى من سورة الاحزاب الاية ٥٧

(٣) فى ظ : مفرقة

(٤) فى خ : بعضه من بعض

(٥) ما بين القوسين من خ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما (١)

الشعبة الاولى شهادة ان لا الــه الا الله (٢)

=========================

فأول شعب الاسلام (٣) ظاهرا قول لا اله الا الله محمد رسول الله . ودليل ذلك الحديث الذى رواه ابو داود باسناده وذكــــر

---

(١) هكذا وردت البسملة والصلاة ٠٠ فى ج دون غيرها أما غيرها فذكرت بــــدلا منها كلمة : فصل الشعبة الاولى ٠٠٠ والراجح صوابه هو ج لعدم ذكـــر كلمة " فصل " مع كل شعبة سوى الشعبة الثانية ٠

(٢) فى أ : محمد رسول الله ولم تذكرها بقية النسخ لان المؤلف اوردهـــا شعبة مستقلة ٠

(٣) اختلف العلماء فى مسألة هل الاسلام والايمان شىء واحد ام هما مختلفان؟ وكثر الخلاف فيها فذكر ابن حجر وابن تيمية عن الخطابى قوله : صنــــف فى المسألة إماما ن كبيران واكثرا من الادلة للقولين وتباينا فى ذلك ٠
وملخص هذا الخلاف ان العلماء على قولين :
القول الاول : أن الاسلام والايمان عبارة عن معنى واحد اى انهما مترادفــان وهو مذهب الامــــام البخارى وغيره ٠
والقول الثانى : ان بينهما فرق حقق ذلك ابن حجر بقوله :
والذى يظهر لى من مجموع الادلة ان لكل منهما حقيقة شرعية كما ان لكــل منهما حقيقة لغوية لكن كل منهما مستلزم للاخر بمعنى التكميل له فكما ا ن العامل لا يكون مسلما كاملا الا اذا اعتقد فكذلك المعتقد لا يكون مؤمنــا كاملا الا اذا عمل وحيث يطلق الايمان فى موضع الاسلام او العكــــس او يطلق احدهما على ارادتهما معا فهو على سبيل المجاز ويتبين المـــراد بالسياق فان وردا معا فى مقام السؤال حملا على الحقيقة وان لم يـــردا معا اولم يكن فى مقام سؤال امكن الحمل على الحقيقة او المجاز بحســـب ما يظهر من القرائن ٠
وقد حكى ذلك الاسماعيلى عن اهل السنة والجماعة فقالوا : انــهما ===

ايضا فى الصحيح :

عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الأذى من (١) الطريق "(٢) •

وقوله :

= تختلف دلالتهما بالاقتران فان افرد احدهما دخل الاخر فيه •• الخ

وقد ذهب الى هذا القول ايضا ابن تيمية فى كتاب الايمان فقال :

" ••• ولكن التحقيق ان الدلالة تختلف بالتجريد والإقتران ــ كما قد بيناه ــ ومن فهم هذا انحلت عنه اشكالات كثيرة فى كثير من المواضع ••

قلت : وعلى التفريق بينهما سلك المؤلف فى كتابه فقد فرق بينهما فى مواضع كما صرح بذلك عند ايراده الحديث جبريل وجمع بينهما فى مواضع فهو يقول احيانا : الشعبة كذا من شعب الاسلام او كذا من شعب الايمان او يقول :

الشعبة كذا من شعب الايمان والاسلام كما ذكر ذلك فى شعبة الجهاد ••

المراجع : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ج ١ ص١١٤ ــ ١١٥ •

الايمان لابن تيمية ط ١٣٨١ ص٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ وغيرها •

اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة اللالكائى ص ٧٧٧ •

كتاب الايمان لابن منده تحقيق د / فقيهى ص ١٨٧ ج أ التعليق •

(١) فى ظ ، خ " عن الطريق " والروايات بهذا وردت •

(٢) رواه البخارى فى كتاب الايمان الحديث رقم ٩ ، ومسلم فى كتاب الايمان باب بيان عدد شعب الايمان رقم الحديث ٥٧ ، ٥٨ •

وابو داود فى كتاب السنة رقم ٤٦٧٦ والترمذى فى كتاب الايمان ٢٦١٤، والنسائى فى باب الايمان ج ٨ ص ١١٠، وابن ماجة فى المقدمة باب فى الايمان رقم الحديث ٥٧ •

" امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسـول الله " (١) فمن قالها بلسانه فقد سلم من السيف والقتل وكانـت (له) (٢) حرمة الاسلام والمسلمين ظاهرا فى مقام الاسـلام (٣) فان اسلم قلبه كما اسلم لسانه فقد سلم من عذاب الاخرة كمـا سلم من عـذاب الدنيـا .

وهو (٤) على ثلاثة مقامـات :

المقـام الاول :

اقرار اللسان بالشهادة ظاهرا وانقياد الجسد لامور الاسـلام والمسلـمين .

والمقـام الثانى :

انقياد النفس لقبول الاسلام وترك النفور والإبابه عنه باطنـا والا كان صاحب النطق به منافقا وباطنه (٥) بخلاف ما ينطق بـه لسـانه .

---

(١) ورد هذا الحديث فى الصحاح بروايات متعدده ، انظر هذه الروايـات وتخريجها فى كتاب جامع الاصول فى احاديث الرسول ج ١ ص ٢٤٥ تحـت عنوان : الفصل الاول فى حكم الاقرار بالشهادتـين .

(٢) كلمة " له " من أ ،ظ ،خ وبها يتم المعنى .

(٣) قال فى فتح المجيد : قد اجمع العلماء على ان من قال " لا اله الا اللـه " ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها انه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليـه من النفى والاثبات ... "

راجع فتح المجيد شرح كـتاب التوحيد ط ٨ ص ١١٢ .

(٤) فى ظ " وهـى " .

(٥) فى خ : صاحب النطق منافقا بباطنه بخلاف .. وهو الاصح .

والمقام الثالث :

استسلام الروح والقلب للذى فطر السموات والارض كما قال (تعالى)

" ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ..." (١)

فيكون اسلامه طوعا ولا يكون كرها كما قال تعالى :

" ... وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها .." (٢)

وهو بتفويض (٣) الجملة الى الله واسلام (٤) الامور اليه والتبرى عن الدعوى ومن الحول والقوة فى شىء من الاشياء : الى الله جل جلاله ، ورؤية الملك كله بجميع حركاته وسكناته لله فيكون شاهدا معنى (٥) " لا اله الا الله " على الحقيقة ويؤدى الشهادة فيكون شاهدا من الشهداء كما قال :

" ... اشهدوا بأنا مسلمون " (٦)

ويشهد بلسانه وقلبه وسره ، ويؤدى الشهادة (عنه) (٧) جميع

---

(١) سورة لقمان الاية ٢٢.
(٢) سورة ال عمران اية ٨٣.
(٣) فى ظ ، خ وهو تفويض وهو الاصح .
(٤) فى خ : .. الى الله تعالى وتسليم الامور...
(٥) فى ظ فيكون " مشاهدا وفى خ فيكون شاهدا بمعنى .
(٦) سورة ال عمران من اية ٦٤.
(٧) فى الاصل : عند وكذا فى خ .

المخلوقات بـ " لا اله الا الله " فيكون من الذين قال الله فيهـم :
" شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم ٠٠٠ "(١)
وهذه الشعبة قد تقدم الكلام عليها فيما تقدم من الكلام فى معـنى
الوحدانية لكن ظاهر معناها الذى يلزم الخلق كلهم فى فـرض
التوحيد العلم به فى هذا الموضوع ينقسم قسمين :

القسم الاول :

أن تعلم ان الملك كله ليس له (الا اله واحد)(٢) وملك واحد ليس
باثـنين ولا ثلاثة ولا اكثر.

القسـم الثانى :

ان تعلم انه ليس من مخلوقاته ومالكه (٣) اله ولا والد ولا من
يستحق الا لاهية ٠

فأما القسـم الاول وهو :

امـتناع الالهين او اكثر فبرهانه من القرآن قولـه :
" لو كان فيهما الهـة الا الله لفسـدتا ٠٠٠ "(٤)
فان " لو " حرف يدل على امتناع وجود الشيء لامتناع وجود غيـره ٠

---

(١) سورة آل عمران اية ١٨ وقد تقدم ذكرها ٠
(٢) هكذا ذكرت أ ، ظ وهو الصواب اما فى ع فورد : ليس له الا الله وحده ٠
(٣) فى خ : ومماليكه ٠
(٤) سورة الانبياء من الاية ٢٢ ٠

فالفساد اذا يمتنع (١) وجوده فى الملك لامتناع وجود الاثنين او اكثر لانه لوكان الهين (٢) لعلم بالضرورة انهما غيران واذا كانا غيرين فقد انحاز كل واحد من صاحبه وامتاز منه وصار فى حيز غير حيز الاخر واذا انحازا فقد اتحدا بجهتين بالضرورة ودليلة من القرآن :

" ... وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق .. "(٣)

معنى ذهب كل اله بما خلق اى انحاز كل واحد بملكه وصار فى جهة وفى ذلك هلاك الالهين او الالهة وهلاك الملكين والممالك لانه قد صار كل واحد فى محل يحله وصار المحل حاملا له وكان معتمدا على المحل مفتقرا لان يحمل وجوده لان الجهة او جبت له ذلك .

وكذلك المحل الحامل له مفتقر وجوده ايضا الى حامل اخر لانه فى جهة هكذا يتسلسل فان لم يوجد حامل فى غير جهة يتدكدك الكل وانعدم لان المحل الذى ينقطع فيه التسلسل ليس بعده الا الفراغ من المحل وذلك الفراغ هو عدم الكل المحل الحامل فاذا عدم الحامل فسد الكل فى دفعه واحدة ، وهذا يلزم الاله الثانى والثالث ولوكانوا مائة الف او اكثر لان الجهات محيطة بكل محدود .

---

(١) فى خ : امتنع وجوده .

(٢) فى خ : لامتناع وجود الهين اثنين فى الملك او اكثر لانه لو كانا الهين لعلم ... وهذا هو الصواب .

(٣) سورة المؤمنون اية ٩١ .

والواحد بالحقيقة هو الذى لا يحويه حيز ولا يحله محل لانـــــه اذا لزم الجهة اخذته القسمة واذا اخذته القسمة ظهر فيه التأليـف واذا ظهر فيه التاليف فليس بواحد ولزمه الفساد والتلاشـــــــى ــ كما تقدم ــ ولو كان ذلك لم يوجد فعل بوجه ولا فاعل وقـــــد ظهرت الافعال ووجدت بالضرورة فقد تبين ان الاله واحد لايحويه مكان وانه لا اله غيره ٠ (١)

---

(١) سلك المؤلف استدلالة ــ فى هذا القسم ــ على وحدة الربوبية مسلكـــــا خاصا لم يتبع فيه مسلك المتكلمين ولا مسلك السلف٠

اما لانه لم يسلك مسلـك المتكلمين فلانهم يستدلون على ذلك بما يعـــرف عند علماء الكلام بدلالة التمانع فلم ينهج المؤلف نهجهم فى ذلك بـــل انه حمل قوله تعالى " لوكان فيهما الهة الا الله لفسدتا ٠٠" ٠

حمل هذه الاية على مقدمات اوصلته الى القول بان تعدد الالهة مستلزمـــا لوجود كل واحد منهما فى جهه ٠٠٠ ثم انه استدل على استلزام الجهـــــة هذا بقوله تعالى :

" ٠٠٠ وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ٠٠٠ "

ووجه دليله منها بان معناه لو قدر وجود اكثر من اله لانحاز كل واحـــــد بملكه وصار فى محل وصار ذلك المحل حاملا له وكان مفتقرا وجوده الـــى حامل اخر لانه فى جهة وهكذا كل حامل مفتقرا الى حامل يحمله فيتسلسل المحل فان لم يوجـــد حامل تدكدك الكـــل وفسد الملك٠

ووصل بهذه المقدمات الواهية الى القول باستحالة الجهة على الالــه الواحـد الحق سبحانه فوافق بذلك المتكلمين فى قولهم بان الله ليس فى جهة مـــن الجهـــات ٠٠٠

وهنا بعد ان اتضح لنا فى هذا الملخص الاستدلالى المؤلف يلزمنا ايضاح امور ثلاثة ناقض بها المؤلف ومعه المتكلمون طريقة السلف وبيان طـريقة الســـلف فى ذلـــــك :

==

....

= الامر الاول :

موقف السلف من الاستدلال على توحيد الربوبية :

ذهب السلف رضوان الله عليهم الى ان توحيد الربوبية أمر فطرى جبلت النفوس عليه فلا يحتاج الى كل هذا العناء من التماس الادلة عليه ، والسلف فى ذلك يسلكون طريقة القرآن والسنة بل ان دعوة الرسل عليهم السلام انما كانت لبيان وتقرير توحيد الالوهية المتضمن لتوحيد الربوبية :

يقول شارح الطحاوية :

وهذا التوحيد ـ اى توحيد الربوبية ـ حق لا ريب فيه وهو الغاية عند كثير من اهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية ، وهذا التوحيد لم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بنى ادم بل القلوب مفطورة على الاقرار به اعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم :

" قالت رسلهم افى الله شك فاطر السموات والارض .. " ابراهيم ١٠

ثم قال :

ولم يعرف عن احد من الطوائف انه قال ان العالم له صانعان متماثلان فى الصفات والافعال فان الثنوية من المجوس والمانوية القائلين بالاصلين النور والظلمة وان العالم صدر عنهما متفقون على ان النور خير من الظلمة وهو الاله المحمود وان الظلمة شريرة مذمومه ... والنصارى القائلون بالتثليث لم يثبتوا للعالم ثلاثة ارباب ينفصل بعضهم عن بعض بل متفقون على أن صانع العالم واحد انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧ ـ ٧٨ .

الامر الثانى :

تأويل السلف للايتين التى احتج بهما المؤلف فى دليله :

رأينا ان المؤلف سلك بهما مسلكا تأويلا وصل به الى نفى الجهة عن الله تعالى اما المتكلمون : فقد اشتهر عندهم اثبات توحيد الربوبية بدليل التمانع ويقولون ان دليل التمانع هو معنى قوله تعالى =

....

= " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا "
والسلف ينكرون ان يكون معنى دليل التمانع هو معنى الاية
قال شارح الطحاوية :
وقد ظن طوائف ان هذا دليل التمانع .. وغفلوا عن مضمون الايـــــه .
فانه سبحانه اخبر انه لو كان فيهما الهة غيره ولم يقل اربـــــــاب ..
وايضا فانه هذا انما هو بعد وجودهما وانه لو كان فيهما وهما موجودتات
الهة سواه لفسدتا وايضا فانه قال (لفسدتا) وهذا فساد بعد الوجـــود
ولم يقل لم يوجـــدا ...
انظر شرح الطحاوية ص ٨٦ ـ ٨٧.
اما تاويل السلف لقوله تعالى :
" ... وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ..."
فقد راينا ان السلف لا يتكلفون الاستدلال لتوحيد الربوبية لعدم وقـــوع
الشرك فيه بمعنى اعتقاد وجود خالقين متماثلين فى الصفات والافعـــال
لكن لما كان الذى وقع فى توحيد الربوبية هو ظن بعض المشركين وجـــود
خالق لبعض العالم كما يقول الثنوية فى الظلمـــة وكما يقول القدريـــــة
فى افعال الحيوان وكما يظنه كثير من مشركـــى العرب فى الهتـــــه
من نفع اوضر بدون ان يخلق الله ذلك لما كان نوع هذا الشـــــرك
فى الربوبية موجودا فى الناس بين القرآن بطلانه كما فى الاية وهـــــى
بكمالهـــا :
" ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلـــق
ولعلا بعضهم على بعض سبحـــان الله عما يصفون " المؤمنون ٩١
قال ابن كثير فى تفسيرها :
اى لو قدر تعدد الالهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظـــم الوجـــود.
والمشاهد ان الوجود منتظم منسق كل من العالم العلوى والسفلى مـرتبـــط
بعضه ببعض فى غاية الكمال : (ما ترى فى خلق الرحمن من تفـــاوت) =

....

= بعضه ببعض فى غاية الكمال : (ما ترى فى خلق الرحمن من تفـــاوت)
ثم لكان كل منهم يطلب قهر الاخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض ..)
ثم قال : والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع ...
تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٣ص ٢٥٤.
وانظر شرح الطحاويـــة ص ٨٥.
وانظر دعوة التوحيد د / محمد الهراس ص ٣٠ ـ ٣٤.

الامر الثالـــث :

من الامور التى ناقض بها المولف هنا للسلف فهى مسألة الجهـــــــة وسيتحدث المولف فى القسم الثانى الذى يتبع هذا القسم عن صفـــــة الاستواء فيناسب ارجاء الحديث عن الجهة لتلازم صفتى الجهة والاستـوا . وسأبين ان شاء الله راى السلف فى هذه الصفة فى موضعه.

واما القسم الثاني :

الـلازم فرضه لجميع الخلق ايضا وهو ان يعلم انه ليس من مخلوقاته ومالكه (١) اله ولا ولد ولا من يستحق شيئا من الربوبية والالـهية (٢) : ففي الجهل (به) (٣) هلك اكثر الخلق فان المخلوقات كلها قد عبدت من دون الله .

أول ذلك الارض وهي اقرب الموجودات الينا فان طائفة قد هلكت في اتخاذ الاصنام من الاحجار وتعظيم البيوت المبنية من التراب لشغفهم بها وتعظيمهم اياها .

واخرون عبدوا النبات وهو عالم ارفع من الارض حتى قد قالت طائفة لمحمد عليه السلام : اجعل لنا ذات انواط (٤) في مسيره الى حنين وطائفة اتخذت من الاشجار الاصنام فعبدتها .

---

(١) في خ : من مخلوقاته ولا مماليكه .

(٢) في ظ : من الربوبية ولا الالـهيه .

(٣) وردت كلمة (به) في ظ ، خ وسقطت من بقية النسخ .

(٤) اخرجه الترمذي في السنن كتاب الفتن باب ما جاء : لتركبن سنن من كان قبلكم رقم الحديث ٢١٨٠ وقال هذا حديث حسن صحيح .

واخرجه احمد في مسنده ج ٥ ص ٢١٨ .

واخرجه عبد الرزاق في مصنفه في كتاب الفتن رقم الحديث ٢٠٧٦٣ .

وطائفة عبدت الحيوان وهو اشرف من النبات مثل البقر والخيل وكل حيوان جميل •

وطائفة عبدت بني آدم واتخذوهم الهة من دون الله وذلك كله قد نطق به القرآن والاحاديث •

وطائفة ارتقت عن هذه الجزئيات الى العناصر الاربعة وهي الارض والماء والهواء والنار فهلكوا فيها ، واصنافهم يطول الكلام بذكرهم

وطائفة ارتقوا الى الافلاك فهلكوا بها ، واخرون بالنجوم والنور والظلمات ، واخرون ارتقوا عن المحسوسات الى الملئكة والشياطين فهلكوا في عبادتهم •

وطائفة ارتقوا الى عالم النفوس والنفس الكلية ، ووقف هنا قوم من الدهرية فهلكوا •

وطائفة ارتقت الى عالم العقل فرأوه اشرف واعلى من الكل فوقفوا هاهنا فهلكوا •

واخرون بالخيال والوهم في التخييلات (١) والمتوهمات ومطلب الكل الاله والمعبود لانه قد حصل وثبت بالفطرة انه لا بد من صانع فقد اجمعوا على الربوبية وانما اختلفوا في الاله ما هو ؟ واي شئ هو ؟ :

" ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن •• " (٢)

---

(١) في ظ : في المتخيلات وفي خ : في التخيلات•

(٢) سورة المؤمنون ٧١ •

لانه لو كان شيء مما توهمت هذه الطوائف كلها لم تصح ان تنفذ اوامر الله تعالى في جميع ملكه ولا صح استواؤه على عرشه الجامع لمخلوقاته ولا استيلاؤه (١) عليه لانه كان يكون كل احد وجزء قائم بنفسه غني عن غيره وذلك هلاك الكل كما تقدم لانه اذا تام بنفسه فقد انحاز وامتنع وذلك يؤدي الى ان العاجز قادر والقادر عاجز وهو محال (٢) فلم يبق الا ان يكون الكل مصنوعا وعبدا لصانع واحد وملك واحد تنفذ اوامره من اعلى وجود العرش الى تخوم الارض وعروق النبات والنمل واقل المخلوقات في جميع الجهات وحينئذ يصح استواؤه على عرشه واستيلاؤه على ملكه فتكون المماليك كلها عبيدا له وداخلة في رق (٣) العبودية ساجدة خاضعة تحت درجة السيادة والملك (والربوبية فهي تحت بالذلة والعبودية والملك) (٤) وهو فوقها بالعلو عليها وبدرجات الملك والسيادة والرفعة وجلالة القدر وعظيم القدرة وغير ذلك من صفات الكمال والجلال الواجبة للواحد (المالك) (٥) .

واذا فهمت هذا وقع لك العلم بمعنى الاستواء وفهمت معناه وقد نبه عليه سبحانه بقوله :

" رفيع الدرجات ذو العرش .. " (٦)

---

(١) هذا بناء على تأويل المؤلف للاستواء بالاستيلاء وسيذكره قريبا .

(٢) في ظ : وهذا محال .

(٣) في خ : في رقبة .

(٤) ما بين القوسين سقط من ظ .

(٥) كذا وردت في ظ ، خ وفي غيرهما الملك .

(٦) سورة غافر من الاية ١٥ .

فقوله (رفيع الدرجات) هى درجات السيادة والربوبية وجلالة القدر وصفات الكمال التى انفرد بها

وقوله (ذو العرش) اى مالك العرش فالعرش بما فيه مملوك والكل عارف بقدره ساجد تحت الدرجات المتقدمة الذكر التى ليست تشبه فوقية المسافة والجهة ، فاذا خضع الكل له بالعبودية والذلة فقد علا على الكل بالحقيقة والمجاز لان البارى تعالى يوصف بالعلو ولا يوصف بالسفل حقيقة ولا مجازا (١) ، والحقيقة هى فوقية العلو والمجاز (٢) فوقية الرتبة ورفعة القدر ولا يوصف البارى بالتحت حقيقة ولا مجازا لان التحت الذى هو حقيقة هو تحتية السفل والتحت الذى هو المجاز (هو) (٣) تواضع القدر وذلة المنزلة ،

فاذا فهمت هذا فانف عنه العلو الذى هو حقيقة التمكن والاستقرار والممارسة تكن مصيبا موافقا للكتاب والسنة وعلى ذلك ورد حديث السوداء حين قال لها :

" أين الله ؟ قالت : فى السماء فشهد لها بالايمان " (٤)

---

(١) فى ظ • حقيقة ومجازا •

(٢) فى خ : والمجاز هى •••

(٣) كذا ظ خ وفى غيرهما : هى •

(٤) الحديث اخرجه مسلم فى صحيحة رقم الحديث ٥٣٧ كتاب المساجد ورواه غيره وفيه : ••• فقال لها اين الله قالت فى السماء قال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنه •

ففى هذه الرواية شهد الرسول للجارية بالايمان ،
وقد ورد هذا الحديث من طرق وفى بعضها ان الجارية سوداء •••
انظر تخريجها فى : مختصر العلو للعلى الغفار تحقيق الالبانى ص ٨١
وفى كتاب الايمان لابن منده وتحقيقه للدكتور على الفقيهى ج ١ ص ٢٣٠ رقم الحديث ٩١ •

ولم ترد الاستقرار والارتقاء والتمكن في المكان (١) وانمـــا
ارادت انه في العلو وكل (٢) ما علي في اللغة فهو سمـــاء
والسمو هو العلو والارتفاع واعلى المخلوقات وارفعها العـــرش
فقد على الباري تعالى عليه حقيقة ومجاز(وعلى الكـل) (٣)
برفعة الدرجات المتقدمة وهو الاستواء كما يقال : استـــوت
الشمس اذا علت في كبد السماء ولم تمل الى احد الجهتين(٤)
الذي هو الانحطاط عن العلو لانها اذا زالت عن الاستواء فقـــد
انحطت ساجدة هابطة الى الغروب والانحطاط خضوع ، وكذلـــك
اذا كانت صاعدة الى الاستواء فهي ايضا في سفل عن الاستـــواء
فلم تعل على الكل الا اذا استوت فاذا استوت فقد علـــت
وعلا نورها على جميع بسيط الارض كلها واستولى على الجميـــع
فافهم هذا فانه لا يبقى شيئا من الاشكال في معنى الاستـــواء
ان شاء الله والحمد لله على التوفيق له .(٥)

---

(١) في خ : والارتفاع في المكان .

(٢) في خ : فكل ما علي

(٣) ما بين القوسين من خ .

(٤) في أ ، خ ، ظ : الى احد الجانبين .

(٥) يمتدح المؤلف هنا انه اتى في معنى الاستواء بالبيان الكافي الشافـــي
الذي لا يبقى معه اشكال ، ولكنه متبع في ذلك لغيره من المتكلـــمين
فهو يثبت صفة العلو للـه تعالى على الحقيقة والمجاز ويورد لذلـــك
ادلة هي من ادلة السلف في اثبات صفة العلو للـه تعالى ولكنـــه
عندمـــا اول معانيها حاد عن ما ثبت عن السلف في تأويلهم لمعانـــي
تلك النصوص ، فهو مع اثباته للعلو ينكر الجهة على الاطلاق ويؤول =

....

الاستواء بالاستيلاء كثيرا وتاوله بالاستيلاء هو ما ذهب اليه متأخروا الاشاعرة كالامدى والغزالي وهو مذهب المعتزلة . ومن اجل تأويلهم هذا وجد الاشكال في معنى الاستواء اما على راي السلف فلا اشكال في معنى الاستواء وتأويلة بالاستيلاء مرفوض عند السلف .

وليكون القارىء على بينة مما وقع فيه المؤلف من الخطأ في معنى العلو الناشىء عن تأويله الاستواء بالاستيلاء ومحاولته تصرفهم القارىء على هذا المعنى لاجل ذلك نورد خلاصة مذهب السلف في الاستواء ومعناه :

فقد ورد في القران الكريم اثبات صفة الاستواء في سبعة مواضع من كتاب الله هي :

في سورة الاعراف : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في سته ايام ثم استوى على العرش) اية ٥٤ ومثلها في سورة يونس اية ٣ .

في سورة الرعد : " الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) اية ٢

وفي سورة طه : " الرحمن على العرش استوى " اية ٥ .

وفي سورة الفرقان : " ثم استوى على العرش الرحمن .. " اية ٥٩ .

وفي سورة السجدة : " الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش " اية ٤

وفي سورة الحديد : " هو الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش " اية ٤

ففي هذه الايات اثبات صفة الاستواء لله تعالى .

ومعنى الايمان بالاستواء : الاعتقاد الجازم بان الله تعالى فوق سمواته مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته على على خلقه بائن منهم وعلمه محيط بكل شيء

....

= ومعنى الاستواء : العلو ، والارتفاع والاستقرار والصعـــود .
فهذه العبارات الاربع هي التي تدور عليها تفاسير السلف رحمهم اللـــه :
فقال مجاهد : استوى على العرش : عـــلا ،
وقال ابن راهويه : سمعت غير واحد من المفسرين يقولون (الرحمن علـــى العرش استوى) اى ارتفع وحكى مقاتل والكلبى عن ابن عباس: اســـتوى بمعـــنى استقر وفسر ابو عبيده استوى بمعنى : صعـــد .

اما ما ذهبوا اليه من تفسير الاستواء بالاستيلاء فقد قال الشيخ فالـــح ابن مهدى فى شرح الرسالة التدمريه ما يأتـــى :
" واعلم انه لم يثبت استعمال لفظ استوى فى اللغة بمعنى استولـــى وانما عمدة الذين قالوا ذلك البيت المشهور:

ثـم استوى بشـــر على العـــراق
من غير سيـــف او دم مهـــراق

ولم يثبت بنقل صحيح انه شعر عربى ، وكان غير واحد من ائمة اللغـــة قد انكروه وقالوا انه بيت مصنوع لا يعرف فى اللغة ، وقد علم انه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاج الى اثبات صحته فكيـــف ببيت من الشعر لا يعرف اسناده ؟ وقد طعن فيه ائمة اللغة .. سئـــل الخليل هل وجدت فى اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : هـــذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز فى لغتها ...
وايضا فأهل اللغة قالوا : لا يكون استوى بمعـــنى استولى الا فيما كـــان منازعا مغالبا فاذا غلب احدهما صاحبه قيل استولى . والله لم ينازعـــه احد فى العرش ... الخ .

راجـــع : فتح البارى شرح البخارى ج ١٣ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٨ .
الكواشف الجليـــة عن معانى الواسطية ص ١٩٥ .
التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ج ١ ص ١٤٥ .
مختصر العلو للعلى الغفـــار (٢٦ ـ)
البيهقى وموقفه من الالهيات ٢٧٢ ـ ٢٨٩
غاية المرام فى علم الكلام لـلامدى ١٤١ .

واذا فهمت معنى الاستواء وانه فوق الكرسي بالمعنى المتقدم فاستواؤه على عرشه انما هو لتنفيذ اوامره في جميع اجزاء العالم كله وتدبير امور الملك كله وقد نبه على هذا المعنى بقوله :

" ... ثم استوى على العرش يدبر الامر "(١)

يعني امر العرش والامر كله (٢) مادق منه وما جل وما ظهر وبطن فلا يتحرك قليل ولا كثير ولا يسكن صغير ولا كبير الا وهو محركه ومسكنه يشهد (٣) بذلك اهل العلم به سبحانه من عروق النمل (٤) الى اعلى وجود العرش متصلة بيد القدرة الازلية . يؤمن به المؤمنون .

ومن اضاف شيئا من الافعال الى الموجودات فلم يفهم الاستواء وظهر له الاعوجاج والميل (في الاستواء) (٥) وصار معبوده الذي يعبده متوهما متخيلا وشبها (٦) ممثلا ولو كان ما توهمه حقا لتدكدك الكل ولم يوجد اله ولا مألوه – كما تقدم – (٧) لانه من قال ان شيئا تحرك بنفسه دون الله

---

(١) سورة يونس من الاية ٣ .

(٢) في أ ، ظ : والملك كله وفي خ : والملك لله مادق .

(٣) في خ : يشاهد ذلك .

(٤) في ظ : النطقة .

(٥) ما بين القوسين لم ترد في ظ .

(٦) في خ : او مشبها .

(٧) في خ : الا كما تقدم وهو خطأ .

فان تلك الحركة خارجة عن قدرة الله قد انحازت عنه

واذا كان ذلك (١) فقد حددته واذا حددته لزمه المكان

والجهة واخذته القسمة وهذا يلزم لكل من يزعم ان الله

فى جهة (٢) ، او يعلم الكليات ولا يعلم

---

(١) فى خ : كذلك •

(٢) تقدم فى اول الكتاب (ص٦ ، ٧) الحديث عن الحيز والجهة وموقف السلف من هذه العبارات التى لم ترد فى الكتاب او السنة ولم يتكلم بها سلف الامة وان موقفهم النظر فى المقصود منها •

ومناسب هنا ايراد مناقشة ابن تيمية لكل من النافى والمثبت للجهة ليتضح لنا ما يصح اثباته لله تعالى منها وما لا يصح وقد ورد تهذه المناقشة فى الرسالة التدمرية وشرحها :

قال شارحها :

وخلاصة مناقشة النافى ان يقال له :

ان كان مرادك بالجهة امرا وجوديا كالعرش او السموات فنفيك صحيح ، فمن المعلوم شرعا وعقلا ان الله تعالى ليس حالا فى شىء من مخلوقاته •

وان كان مرادك بالجهة امرا عدميا وهو ما وراء العالم فنفيك باطل ، فانك اذا قلت البارى ليس فى جهة كان حقيقة قولك : ان البارى لا يكون موجودا قائما بنفسه ، وهذا باطل حيث لا موجود فوق العرش الا هو سبحانه فان من المعلوم بالضرورة ان الله فوق سمواته على عرشه •

وخلاصة مناقشة المثبت ان يقال له :

ان كان مرادك بالجهة امرا عدميا وهو ما وراء العالم فلا ريب ان الله فوق مخلوقاته عال على عرشه •

وان كان مرادك بالجهة امرا وجوديا كالعرش او السموات =

الجزئيات (١) او يتوهمه او يتخيله على غير ما هــو سبحانـــه عليـــه .

وقد نبه النبي عليه السلام على نفي ما يستحيل على الله تعالـــى من نقص المتوهمات والمتخيلات والمحسوسات ولا يليــق به سبحانــه في قوله عليه الســـــلام في بعض الاحاديــث :

" .. مهما شككتم في شيء فلا تشكوا بأن ربكم ليس باعور " (٢)

فيه تنبيه على الدجال وامر باثبات صفات الكمال لله ونفـــــي النقايص عنه فان العور هو النقص .

هذا هو الفرض اللازم في التوحيد لكل مخلوق فانه لابد مـــن تمييز صفات الخالق من صفـــات المخلوق .

ونسأل الله العظيم توفيقه وتثبيته في جميع الاحوال انه ولـــي التوفيق لارب غيره ولا معبود سواه .

= فاثباتك باطـــل لان الله سبحانه ليس داخلا في شـــيء مـــــن مخلوقاتـــــه ..

راجــع التحفـــة المهدية شرح الرسالة التدمرية ج ١ ص ١١٥ .

وانظر : البيهقي وموقفه من الالهيات للدكتور احمد عطيـــة ص ٢٨٨ .

ومختصر العلو للعلي الغفار ص ٢٨٦ .

(١) الذي يزعم ذلك هم الفلاسفة وقد تقدم بحث ذلك (ص ١٠٠)

(٢) لم اجد في كتب الصحاح حديثا بهذا اللفظ الذي اورده المؤلف ، وقد وردت احاديث كثيرة فيها ذكر الدجال وتخبر انه اعور وان الله سبحانه ليـــس بأعـــور ولم يكن في شيء منها لفظ :

" مهما شككتم في شيء فلا تشكـــوا .. "

انظر جامع الاصول في احاديث الرسول ج ١٠ ص ٣٣٦ الفصل الثاني فـــي الدجـــــال .

الشعبـــة الثانيـــة :(١)

الاقرار بان محمدا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٢)
(وهو اثبات النبوة والرسالة)(٣)

وعـــلم ان تمام هذه الشعبة المتقدمة : قولك محمد رسول الله لا يتم توحيد عبد الا بها لانها لا تفترق وكل من زعـــــم ان الرسالة يستغنى عنها بالتوحيد فهو كافـر حقا قـــال اللـــه تعالى.

" ... ويريـدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئــــك هم الكافرون حقا .. "(٤)

وقد نص الله قصة ابليس فى صدر سورة البقرة واخبر عـــن كفره وهلاكه الهلاك المؤبد من اجل كفره بخصوصيـــة ادم ونبوته (٥) ولم يذكر عنه انه كفر بالله وانما كفر بنبوة ادم التى

---

(١) جميع النسخ ما عدا خ ذكرت كلمة " فصل " قبل الشعبة ووجدتـــت ما فى خ فحذفتها لعدم تكـرار ذكرها فى جميع الشعب.

(٢) جمله "صلى الله عليه وسلم " ذكرت فى أ.

(٣) ما بين القوسين ورد فى خ فى هذا الموضع اما أ ، ظ ، وهامـــش ع فذكرتها فى السطر التالى بعد قوله : قولك محمد رسول الله.. والاصح ما فى خ ويصح فى الموضعين.

(٤) سورة النساء الايتان ١٥٠، ١٥١.

(٥) راى الجمهور أن آدم عليه السلام من الانبياء وانما الخلاف هل هـــو رسول ام لا ؟ ولمن ارسل ؟
انظر : النبوة والانبياء للشيخ الصابونى ص ١٢٦.

اختص بها وهو معنى ابايته عن السجود له كما سجدت الملئكة

اى خضعت وتواضعت له من اجل علم الاسماء (التى) (١) علمه

الله وانبأهم (بها) (٢) فسجودهم انما هو ائتمام (٣) بـه

عليه السلام لانه خليفة الله (٤) ولم يكن سجود عبادة :

" ... ان الله لا يأمر بالفحشاء ... " (٥)

وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى فى قوله :

" لو جاز ان يسجد احد لاحد لامرت المرأة ان تسجد

لزوجها " (٦) فاخبر انه لا يجوز ذلك ،

وكذلك توقير اصحاب الانبياء والامم للانبياء (٧) وائتمامهم بهم

وتعزيرهم اياهم هو من ذلك السجود كتواضع المتعلم للمعلم .

---

(١) هكذا وردت فى ث ، خ وفى بقية النسخ الذى .

(٢) هكذا فى خ وهو الاصح وفى البقية به .

(٣) فى خ : انما كان ائتماما به .

(٤) تقدم التعليق على معنى " خليفة " ص ٦٦ ، ٦٧ وانظر اقوال العلماء فى ذلك فى تفسير الطبرى ج ١ ص ١٥٦ .

(٥) سورة الاعراف اية ٢٨ .

(٦) ورد هذا الحديث فى عدة روايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم باسانيد بعضها صحيح .

انظر : سنن ابى داود كتاب النكاح رقم ٢١٤٠ ، وانظر تخريجة فى : الفتح الربانى بترتيب مسند الامام احمد ج ١٦ ص ٢٢٦ كتاب النكاح باب حق الزوج على الزوجة وكتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر اخر الكبيرة ٢٧٥ .

(٧) فى خ : وامم الانبياء .

فالرسالة ركن من اركان التوحيد لا يوجد التوحيد ولا يقبل الا به . قد اوجب الله ذلك على نفسه فالرسول هو باب الله الاعظم لا يدخل عليه الا منه ولا يوصل الى الله الا به ومن نظر ذلك بحقيقة النظر علم ان الرسالة من التوحيد (١) لا يوجد هذا (٢) الا منهما كما قال تعالى :

" ... وان تطيعوا تهتدوا .. " (٣)

فان النبي لم يكن نبيا بنفسه بل بسر اسر اليه دون غيره وذلك السر هو الغيب الذى اطلعوا عليه وخصوا به دون الغير وعجز غير النبي عن الاتيان به .

والانبياء بشر مثلنا فلما اتوا بما ليس فى طاقة البشر الاتيان به علم انهم خصوا بزيادة خارجة (٤) عن مقدور البشر فعلم انها من الله وحده فوجب الايمان بهم وقد نبهت الانبياء عليهم السلام على هذا الامهم حين قالوا لهم :

" .. ان انتم الا بشر مثلنا .. " (٥)

فاجابت الرسل بأن قالت :

" ... ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده " (٦)

---

(١) فى هامش ع وفى خ : من امر التوحيد .

(٢) فى ظ ،خ : لا يوجد هدى الا منها وهو اعم .

(٣) سورة النور من الاية ٥٤ .

(٤) فى خ : بالزيادة الخارجة .

(٥ ، ٦) سورة ابراهيم من الايتان ١٠ ــ ١١ .

فبالمعجـــزات ثبتت النبوات لكل ذي عقل ومن انكر النبوة فهـــو
منخلع عن غريزة العقل ولذلك يقولون في الاخرة :
" .. لو كنا نسمع او نعقل .. الاية "(١)
فان النبي اذا جاءنا وتحدى بالنبوة وهو مثلنا في خلقتنـــــا
وطالبناه بالبرهان على ما ادعاه فاتى بما اعجز الامة كلها علـــم
ان ذلك بمنزلة خلق السماء (٢) والارض وجميع الاقمار والجواهر
التي عجز الخلق عنها فانه لو كلف الخلق ان يخلقوا ارضـــــا
(او سماء)(٣) او بحرا او شخصا او جوهرا من اعيـــــان
الموجودات لعجز الجميع عن ذلك واقروا انه لا يقدر على ذلك الا
اللـــه ،
واذا اتى النبي وهو بشر مثلهم بشيء عجز الكل عنه كعجزهـــم
عن خلق اعيان الموجودات علم ان النبوة من الله لا من غيـــره
الا لمن (٤) كانت غريزته الحمق . والحمد لله على المنة بانبيائـــه
فانه لولا الانبياء لهلكت بواطن الخلق بزلازل الشكوك وعـــذاب
الحيرات فبهم ثبت اليقين واستراحت البواطن والقلوب عمـــا
حل بقلب كل ميعود (٥) محجوب فمن فهم الرسالة والمعجـــزة

---

(١) سورة الملك اية ١٠ .
(٢) في ط ، خ : السموات .
(٣) في ع : اوماء وهو خطأ .
(٤) من ص ١٥٥ من عند قوله : ولا قوام للارواح الى هذا الموضع سقـــط من ت .
(٥) في أ : معبود وهو تصحيف .

ايقن بجميع ما اخبرت به الرسل وتبرهن له ذلك عيانا والحمد لله وصلواته وسلامه على جميع انبياء الله •

والمعجز (الذى) (١) اتت به الانبياء ينقسم على ضربين :

الضرب الواحد : هو الوحى المنزل اليهم (٢) بواسطة الملئكة •

والضرب الثانى : هو خرق العوايد والايات مثل انقلاب العصا حية وانفلاق البحر واحياء الموتى وتحريك الجبل وجرى الماء من الاصابع وانشقاق القمر والاسراء وغير ذلك مما ليس فى طاقة البشر الاتيان به •

وافضل الناس بعد الانبياء من ورث منهم (٣) الامرين جميعا لان العلماء ورثة الانبياء (٤) نورثوا فى مقابلة الوحى فهم

---

(١) هكذا فى جميع النسخ ما عدا ع ففيها التى •

(٢) فى أ ، ت المنزل عليهم وهو اصح •

(٣) فى خ : عنهم •

(٤) يشير المؤلف هنا الى الحديث " العلماء ورثة الانبياء "
وقد ذكر هذا الحديث السيوطى فى الجامع الصغير ، وقال المناوى عند شرحه له :
سئل الحافظ العراقى عما اشتهر على الالسنة من حديث علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل فقال لا اصل له ولا اسناد بهذا اللفظ ويغنى عنه : العلماء ورثة الانبياء وهو حديث صحيح رواه ابن عدى عن على امير المؤمنين ورواه عنه ابو نعيم والديلمى •
انظر : فيض القدير ج ٤ ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤ ، وقد نقل المناوى عبارة المؤلف فى تقسيمه هنا للمعجزة فظهر نقل المناوى من كتاب القصرى او انهما اتفقا فى النقل عن كتاب ثالث •

الوحي والالهام والعلوم وتبيين ما جاءت به الانبياء من الكتب بما اتاهم الله تبارك وتعالى من تعلم العلم وما جعل في قلوبهم من الالهام والفرقان كما قال تعالى :

" يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ..." (١)

وورثوا في مقابلة المعجزات والايات : الكرامات وخروق (٢) الموايد فمن ورث هذين المعنيين فهو بمنزلة وارث المال كله وبذلك سموا ابدال النبيين لانهم بدل منهم (٣) وغيرهم من العلماء والامم بمنزلة غير وارث المال كله من الورثة كل يرث بقدر ما قسم له والكل من افعال الله لا تنال الا بفضله ومن الباب الذي امر أن يؤتى منه فلذلك رسمناها في باب التوحيد .

واعلم ان الايمان بالنبوة على ثلاثة اضرب :

الضرب الاول في مقام الاسلام وهو :

الاقرار باللسان بتصديقهم والانقياد لهم بالجوارح واتباعهم على منهاجهم (٤) في امور الشرايع التي شرعوها وامروا بها .

والضرب الثاني في مقام الايمان :

التصديق بالقلب خالصا والا كان الظاهر نفاقا والاقتداء باحوالهم ومقامات قلوبهم وبواطنهم ما استطاع العبد .

---

(١) سورة الانفال اية ٢٩ .

(٢) في ظ ه ت ه خ : خرق .

(٣) انظر هامش ص ٤١٦

(٤) في ت : مناهجهم

والضرب الثالث في مقام الاحسان :

التعزير وهو ان ينظر العبد ببصيرة العقل الى تخصيص اللـــه لهم بوجيه وكلامه وقدرته الصادرة عن صفاته فيرى انه قـــد فضلهم على ساير خلقه واختصهم بالقرب منه وجعلهم امنـــاء على سرائرة (١) وغيبيه الذي لم يطلع عليه سواهم فيـــرى ان الله قد رفع اقدارهم واعلى مراتبهم فوق كل قدر ورتبـــة فيعزرهم ويوقرهم كما امر الله تعالى وينظر (٢) اليهم كما ينظـــر الى الشمس في السماء وارفـــع ،

قال الله تعالــى :

" ... فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الـــذي انزل معه ... "(٣) (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعـــزروه وتوقروه ... "(٤)

(ان الله وملئكته يصلون على النبي يأيها الذين امنـــوا صلوا عليه وسلموا تسليما)(٥)

فمن صلى الله عليه وملئكته فقد عظم قدره فوق الغايات ورفـــع ذكره ارفع الدرجات ، فواجب ان يلحظ بعين التعظيم كمـــا امر الله تعالى وصلى اللـــه على محمد وعلى اله وسلـــم تسليمـــا .

---

(١) في ظ ، ت ، خ : على سـره .

(٢) في خ : فينظر

(٣) سورة الاعراف اية ١٥٧ .
وقد اوردتها ظ كما اثبتها واقتصرت بقية النسخ على الجزء الاول منها الى قوله (ونصـــروه)

(٤) سورة الفتـــح اية ٩ .   (٥) سورة الاحزاب ٥٦ .

الشعبة الثالثة :

الغسل من الجنابة :

لان في حديث جبريل في حديث يحي بن يعمر :

" اما الاسلام فان اقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والاغتسال من الجنابة .. "(١)

فجعله من الاسلام .

فأما صفة الغسل فمذكور في كتب الفقه بأكمل ما يحتاج اليه .

وصفته :

ان يبدأ المغتسل فيزيل ما اصابه من الاذى ثم يتوضأ وضوءا كاملا ان شاء اويترك غسل رجليه من الوضوء حتى يغتسل ان شاء اويقتصر على الغسل من الجنابة دون الوضوء ان شاء ثم يبدأ فيسمي الله وينوى رفع الجنابة عنه ويتمضمض ويستنشق ويخلل شعر رأسه ولحيته ان كان ثم يفيض على رأسه ثلاث غرفات ويغسل الشعر حتى يبل جلد راسه ثم يغسل شقه الايمن ويتدلك مع الماء الى قدمه اليمنى (٢) ثم يغسل شقه الايسر "(٣) الى قدمه اليسرى ثم يعم جميع (٤) جسده بالماء والتدلك ،

---

(١) هي رواية لابي داود ذكرها في كتاب السنة حديث رقم ٤٦٩٧.

(٢) في خ : الايمن.

(٣) في ع : اليسرى والصحيح الايسر كما في بقية النسخ .

(٤) في ظ مخ ، ت: اليسرى وعم .

وهذا اكمل ما ورد فيه دون ان يسرف في الماء فان الاسراف من قلة فقه الرجل واما وجه الحكمة فيه : فان الجنابة بمعد وتنح عن القرب من الطاهر الطيب جل جلاله من قولك للرجل : سر الى جانب اى الى ناحية وهو فعل حدث تنزه البارى تعالى عنه وسبح نفسه عن قول من نسب ذلك اليه لانه فعل من اثنين وزوجين لا يقوم الا باجتماعهما في اليقظة او النوم (١) والرب تعالى هو الفرد المنفرد (٢) الذى لا قرين له .

فأمر العبد بغسل جميع الجسد وتطهيره (٣) ليخف القلب ويطهر من ثقل (فعل) (٤) الجنابة التي في نهاية البعد عن اوصاف الواحد الفرد ولا تليق الا بالبشر فاذا تطهر (٥) صلح للدخول على الواحد الحق . وان يتلو كلامه ويذكره ، فتطهير الجسد ظاهر يطهر القلب من استغراق الشهوة التي غلبته واستغرق فيها وغاب بها عن ذكر الله تعالى ، ومثاله :

مثال من كان في حضرة ملك من الملوك يذاكره وينظر اليه ويسارع في قضاء حوائج الملك (٦) ثم غاب عنه في اغراض نفسه

---

(١) في خ او في النوم .

(٢) في ظ ، خ ، ت : والرب تعالى هو الفرد المتفرد .

(٣) في خ : فأمر العبد ان يغسل جميع الجسد ويطهره ...

(٤) لم ترد كلمة " فعل " في ع .

(٥) في ظ ، خ ، ت : فاذا طهر .

(٦) في ظ ، خ : حوائجه .

فلما اراد العود والدخول عليه فانه يتأهب للدخول عليه (١)

ويتطهر باكمل ما يقدر عليه من المعانى الادبية (٢) .

وكذلك المغتسل ينبغى ان يتفكر مع غسل اعضاء جسده

جميع ما وقع فيه مما يبعد عن الله وينوى الاغتسال منها

والتنظيف (٣) لدخوله على ملك الملوك وجبار الجبابره فهو

اولى . الا ترى (الى)(٤) الجنب كيف منع من قراءة القرآن

كما قال تعالى :

" لا يمسه الا المطهرون "(٥)

وفى الحديث :

" الطهور شطر الايمان "(٦)

ولا يكون شطره الا بأن تفهم حقيقة المعنى . فان الايمان معنيان

معنى يقرب الى الله ويدخل عليه .

ومعنى يزيل ويطهر ما قطع عن الله او حجب عنه .

فالطهور من هذا المعنى شطر الايمان .

فاذا غسل المغتسل يديه فلينوى مع غسل يديه (تطهير

يديه من تناول)(٧) ما ابعده عن الله ونفض يديه

---

(١) نقصت كلمة " عليه " من ت.

(٢) فى خ : الازلية " وهو خطأ .

(٣) فى ظ : والتنظف .

(٤) ذكر حرف الجر " الى " فى ظ .

(٥) سورة الواقعة اية ٧٩ .

(٦) اخرجه مسلم فى كتاب الطهارة باب فضل الوضوء رقم الحديث ٢٢٣ وانظر تخريجه فى شرح السنة للبغوى ج ١ ص ٣١٩ رقم الحديث ١٤٨ .

(٧) هكذا فى جميع النسخ ما عدا "ع" ففيها : مع غسل يديه بتطهيرهما عن تناول

عن (١) الاشغال المشغلة عن ربـــه ،

وكذا (٢) اذا تمضمض ينوى تطهير الفم وتنظيفه من تلويث اللسان بالاقوال الخبيثة ليصلح ان يجرى على لسانه وفمه (٣) ذكـــر الله الطاهر المنزه الرفيع الجليل .

وينوى بالاستنشاق والاستنثار اخراج استرواحة روائـــــح محبوباته بالشوق اليـــها فان العشاق والمحبين يستروحـــون روائح محبوباتهم (٤) من جهة انف المحبوب،

وتخليل شعر الرأس واللحية حلها من ايدى ما يملكها وينكسهـــا من اعلى عليين بالكون مع الله الى اسفل سافلين ، وما يقودها (٥) الى غير الله فان الناس يقادون الى جهنم بالنواصى واللحــــى كما ورد فى القرآن والحديـــث :

" يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام " (٦)

وفى الحديث فى سوق الناس الى النار :

" اما النساء فبالذوائب واما الرجال فباللحى " (٧)

---

(١) فى خ : من .

(٢) فى خ : وكذلك .

(٣) فى أ : وفيه .

(٤) فى ت : محبوبهـــم .

(٥) فى خ اسفل السافلين ويقودها .

(٦) سورة الرحمن اية ٤١ .

(٧) لم اجده فى الصحاح ، وقد اورده السمرقندى فى تنبيه الغافلـــين فى حديث طويل فى باب صفة النار واهلها وهو عن يزيد الرقاشى عن انـــس ابن مالك ويزيد هو يزيد بن ابان الرقاشى ابو عمرو البصرى القاص الزاهـد قيل عنه ضعيف وقيل متروك وقال عنه احمد : كان يزيد منكر الحديث .
انظر ما قيل عنه وعن ابيه ابان فى ميزان الاعتـدال : ج ١ ترجمة رقم ١٢ .
وانظر تنبيـه الغافلين ص ٢٢ ـ ٢٣ . وج ٤ ترجمة رقم ٩٦٦٩
وانظر تحذير الخواص تحقيق محمد الصبـاغ ص ١٧٨ .

وكذلك الشيطان يعقد في كل ليلة على قافية كل عبد يثبطـه
عن الطاعات ويقوده الى المخالفات والهوى والشهوات المرديـات
وفي ليل الغفلة (١) المنومة في الحياة الدنيا عن التيقـظ
والانتباه بذكر الموت وذكر الحياة الاخرة وينوى عند غسـل
رأسه زوال الترأس والرئاسة الموجبة للكبر الذى لا يليق الا بالكبير
المتعـالى

" وينوى بغسل وجهه "(٢) تطهيره من التوجـه (٣) الـى
اتباع الهوى وتطهيره من طلب الجاه المذموم وتخشعه لغيـر
الله ،

وفيه الانف اذا مر عليه يطهره (٤) من الانفة وترك الانقيـاد
للطاعة والحق (٥) ويطهره من انقياده لغير اللـه (٦)
(وللهـوى) (٧) .

وكذلك العين من النظر والتطلع الى المكروهات ومن النظر الـى
غير الله بنفع اوضر وعند غسل العنق والرقبة فكها من ربقـة

---

(١) في خ : ليلة .
(٢) ما بين القوسين سقط من "ع" .
(٣) في ظ : من توجهـه
(٤) في ظ تطهيره .
(٥) في ظ ، ت : الانقياد الى طاعة الحق .
(٦) في ت : الى غير الله .
(٧) كلمة (وللهوى) وردت في خ .

التعبد للشيطان والهوى او لشيء دون الله حتى يتحرر من رق الاشياء كما ورد :

" واعلم انك لا تكون عبدا لله حقا حتى تكون مما سوى (١) الله حرا " (٢)

وعند غسل جنبيه تطهير اتكائه وتوكله على غير الله (وبغسل ظهره ازالة استناده) (٣) لغير (٤) الله وظهوره وتطاوله بغير حق ،

وبغسل صدره ازالة طلب التصدر في المجالس للهوى ونشر الصيت والذكر بغير حق وازالة الغل منه والغش •

وبغسل البطن تطهيره من اكل الحرام والشبهة وازالة الران المتركب على القلب وما اختفى في باطنه من المهلكات

وبغسل المقعد والفخذين تطهير قعوده وتخلفه عن النهوض الى ما لا يرضى الله •

وبغسل الساقين والقدمين تطهيرهما (من المسارعة الى المخالفات واتباع الهوى وحل قيود العجز) (٥) الى المسارعة في ميادين الطاعة المبلغة الى الفوز وهكذا كل عضو في الانسان فيه معان كثيرة يجب تطهيرها ليصلح الجسد (للوقوف) (٦) بين يدي

---

(١) في ظ ، خ ، ت : مما سواه حرا •

(٢) لم يتبين لي هل هو حديث او اثر ولم اجد من نسب اليه •

(٣) ما بين القوسين سقط من ع •

(٤) في خ : الى غير الله •

(٥) الجملة بين القوسين سقطت من ع •

(٦) هكذا أوردت في خ ، ت ، وفي غيرها : الموقوف بين • وهو خطأ •

الطاهر المقدس (١) جل جلاله فمن تطهر طهارة حقيقية طهر باطنه بطهارة ظاهرة ووجد طعم الايمان في حال طهورة في مقام الايمان وحلاوة المغفرة بخروج (٢) الذنوب من الجوارح حين (٣) الطهارة فيصير باطنه كالمرآة المجلوه باحتسان الله الباطنة فيطرب الروح لتجلى (٤) المحسن الحق له في مقام الاحسان .

وهكذا كل طاعة اذا عمل ما ينبغي (٥) وجد فيها بركات الاسلام (والايمان) (٦) والاحسان ،

فقد اندرجت المقامات الثلاثة كلها فيما تقدم من الكلام من هذا الباب اذا تفهمتها ، فان طهارة الجسد بالماء اسلام واعتقاد تطهير القلب والنفس بما يشاكل (٧) كل عضو ايمان

---

(١) في ظ ، خ ، ت : القدوس وهو الصحيح لوروده واما الطاهر والمقدس فلم يردا في القرآن والسنة فلا تجوز تسمية الله بهما ولا بغيرهما مما لم يرد في القرآن او السنة اذ اسماء الله وصفاته توقيفيه وقد تقدم .

(٢) في خ : لخروج .

(٣) في ظ ، خ ، ت : حال .

(٤) في ظ ، ت خ : ويتجلى .

(٥) في أ ، ظ ، خ ، ت : اذا عملت على ما ينبغي وهو اصح .

(٦) كلمة : الايمان لم ترد في ع .

(٧) في ظ ، خ ، ت : بما شاكل .

ونية (١) التأهب بالطهارة والدخول بها في الصلاة والذكر احسان لان لقاء الطاهر القدوس المنزه الاوصاف البعيد عن الازواج والحاجات التي توجب الجنابة وغيرها فافهم فهمنا الله واياك ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم (٢) .

---

(١) في ظ ، خ ، ت : ورؤية وهو خطأ .

(٢) جملة : وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم لم ترد في خ . وايضا ورد في اخر ع في الهامش (ولا يكمل التطهر باطنا وظاهرا بغير التوبة والله اعلم) ولعلها من الناسخ .

الشعبة الرابعة :

الوضوء :

وهو (١) الطهارة الصغرى من الحدث ، والغسل المتقدم الذكر: الطهارة الكبرى لان طهارة الوضوء انما هي في جوارح الجسد واطرافه من كل ناحية وذلك تخفيف من الله تعالى وتيسير والحمد لله .

فلو(٢) كلف العبد الغسل كلما احدث لكان (٣) تكليف مالا يطيق الا أن في تطهير اعضاء الجوارح من كل ناحية تطهير جميعه من الحدث الخارج عنه فانه اذا قدرته بيديه ورجليه ورأسه كان كالدايره المحيطة وفي تطهير خارج الدايره من كل ناحيه تطهير جميعها فلو القيت ضابطا في وسط بطن الانسان بعد ان يمد يديه ورجليه وعنقه ثم اورث الضابط وجدته دائرة كما ذكرت لك .

ومن هذه الجوارح المحيطة بالجسد تدخل الذنوب والمخالفات (الى الجسد وفي تطهيرها اخراج المخالفات) (٤) والحدث عن جميع الجسد .

---

(١) في خ : وهي .

(٢) في ت : ولو كلف .

(٣) في ظ ، ت : لكان ذلك تكليف ما لا يطاق وفي غ : لكان في ذلك .

(٤) ما بين القوسين سقط من ع وذكر في بقية النسخ .

فأما كون الوضوء من شعب الايمـــان :

فقد روى مسلم بن الحجاج باسناده عن ابى مالك الاشعرى قـال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" الطهور شطر الايـــمان "(١) يعنى الوضوء.

وفى حديث اخـــر :

" لا تقبل صلاة (٢) بغير طهور ولا صدقة من غلول "(٣)

وأحسن ما روى فى صفة (الوضوء)(٤) حديث رواه حمران عـــن عـــثمان بن عفان رضى الله عنه انه رآه دعا باناء فافرغ علـــى كفيه ثلاثا (٥) فغسلهما ثم ادخل يمينه فى الاناء فمضمض واستنشق واستنثـــر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثـــا ثـــم مسح برأسه ثم اذنيه (٦) ثم غسل رجليه (ثلاث) مرار(٧) الـــى الكعبـــين ثم قال : قال رســـول الله صلى اللـــه عليه وسلم :

---

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة رقم الحديث ٢٢٣ وقد تقدم قريبا .

(٢) فى ظ ، خ ، ت : لا يقبل الله .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الطهارة رقـــم الحديث ٢٢٤ ورواه غيـــــــره والغلـــول : المال الحـــرام واصله السرقة من مال الغنيـــمة قبـــل القسمـــة .
انظر شرح السنة للبغوى ج ١ ص ٣٢٩ وكذا سنن الترمذى ج ١ ص ٦ ــ " الحاشيـــة " .

(٤) كلمة " وضوء " سقطت من ع .

(٥) فى ظ . ثلاث مرات وفى ت ثلاث مرار وبهما وردت روايات.

(٦) فى ت : براسه واذنيه .

(٧) فى ظ ، ت : مرار وفى خ : مرات.

" من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه "(١)

فالوضوء الذي هو غسل الجوارح كلها مقام الاسلام وطهارة الباطن على (٢) معنى التوبة من اكتساب الجوارح ايمان وبه يكمل الوضوء واما(٣) معنى الوضوء الكامل فان يكون كما تقدم في الفصل ، وهو بين في الحديث المروى في خروج الخطايا مع قطر الماء في كل عضو وقد تقدم الكلام عليه في الفصل ومعنى من ذلك الحديث الذي نورده ان شاء الله :

روى أبو صالح (٤) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله وسلم قال : " اذا توضأ العبد المؤمن او المسلم (٥) فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع اخر قطر الماء (فاذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء او مع اخر قطر الماء)(٦) فاذا

---

(١) قال البغوي في شرح السنة : هذا حديث متفق على صحته اخرجه مسلم انظر شرح السنة ج ١ ص ٤٢١ باب صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم وكذا جامع الاصول ج ٧ ص ١٥٤ رقم الحديث ٥١٤٣ والفتح الرباني ج ٢ ص ٦ .

(٢) في خ : عن معنى .

(٣) في ظ ، ت : فأما .

(٤) في سنن الترمذي : وابو صالح والد سهيل هو ابو صالح السمان واسمه ذكوان .

(٥) في ت : المسلم او المؤمن وهو الموافق لما ورد .

(٦) ما بين القوسين سقط من ع .

مسح رأسه خرجت الخطايا من اذنيه مع الماء اومع اخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء اومع اخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب) (١)

وورد في الاخبار :

ان اصل الوضوء من اجل اكل الشجرة التى أكل ابونا آدم عليه السلام (٢) واصل الحدث الذى يوجب الوضوء انما سببه الاكل وما تولد من شهوة الاكل فبقى الامر على اصله فمتى احدث الانسان وجب عليه الوضوء والطهارة من كل ما تولد فى الجوارح من المنهيات التى توجب الحساب والعقاب فى عالم الايمان والغيب التى هى الاخرة فهذا مقام الايمان واما

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الطهارة باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء رقم الحديث ٢٤٤ والموطأ رقم ٣٢ كتاب الطهارة باب جامع الوضوء والترمذى رقم ٢ ابواب الطهارة باب ما جاء فى فضل الطهور، واخرجه احمد فى المسند انظر الفتح الربانى ج ١ ص٣٠٥ رقم ١٩١ ولم يرد فى الروايات الوارده فى هذه المصادر عبارة المؤلف : (فاذا مسح رأسه خرجت الخطايا من اذنيه مع الماء اومع اخر قطر الماء) .

(٢) لم اجده ، وقد ذكر بعض العلماء ان الوضوء من خصائص هذه الامة ورجح فى فتح البارى ان الذى من خصائص هذه الامة انما هو الغرة والتحجيل لا اصل الوضوء .

انظر المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ج ص ٤٢٦ .
وانظر فتح البارى ج ١ ص ٢٣٦ وج ٤ ، آخر ص ١٠٢

وأما مقام الاحسان : (فالنظر)(١) بالعقل الروحانى الى اوصاف الطاهر الطيب جل جلاله فى حين الوضوء فيتذكر حين الوضوء بين يدى من يقف فيتطهر للوقوف بين يديه ويتصف بأوصاف الطاهر المنزه عن الاكل الموجب (٢) للحدث الذى كان سبب الوضوء ليصلح للوقوف (٣) بين يدى الله نقيا طاهرا فان سبب اكل الشجرة انما كان ابليس اللعين فوجب تطهير كل ما سرت فيه تلك الاكلة التى كان سببها ابليس لانه قد تولد من اغوائه القذر النجس .

وذكر الله طيب طاهر والوقوف بين يديه لا يكون الا فى موضع طاهر وبدن طاهر وثوب طاهر ، وكذلك السواك فى الفم انما هو لهذا المعنى لزوال القلح (٤) وما فى معناه كى يتنظف لذكر الله وكل ما امر العبد (٥) به من الاستحداد وتقليم الاظفار وغيره لان ذلك كله مواطن القذر (٦) ومقاعد الشيطان (٧) فوجب (تنظيفها وتطهيرها)(٨) والدين

---

(١) هكذا وردت فى خ ت . وفى غيرهما العطف بالواو : " والنظر " .

(٢) فى ت : والموجب .

(٣) فى خ ليصلح الوقوف .

(٤) قال فى تهذيب اللغة : القلح : صفرة فى الاسنان ووسخ يركبها من طول ترك السواك ..

(٥) فى خ : ما امر الله العبد به .

(٦) فى ت : مواطن للقذر .

(٧) فى ت : ومقاعد للشيطان .

(٨) فى ع : تطهيرها وتنظيفها وهو خطأ .

مبنى على النظافة (١) فاذا فهمت هذه المعانى الظاهرة والباطنة تبين لك كيف يكون الطهور شطر الايمان ان شاء الله فان حقيقة الطهارة الطهارة من الاحداث والاوساخ ظاهرا ومن المخالفات باطنا حتى يكون متنزها عن ضد الطهارة (فيتشبه)(٢) بعباد السموات والارض وغير ذلك من المخلوقات فانها كلها طاهرة منزهه عن المخالفات عابدة بتلك (٣) الطهارة لباريها دائما سرمدا ما دام وجودها باقيا . والحمد لله.

---

(١) قال الغزالى فى الاحياء : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " بنى الدين على النظافة " وقال العراقى فى تخريجه له : لم اجده هكذا .. ج ١ ص ١٢٥ . وانظر كشف الخفاء ج ١ ص ٢٨٨ الحديث رقم ٩٢٢ .

(٢) فى ع فيشابه : والصواب فيتشبه كما فى بقية النسخ .

(٣) فى غ : عابدة بهذه.

الشعبة الخامســة :

الصــــــلاة :

وهى اكبر شعب الاسلام بــعد الشهادة لله والرسول :

فاما كونها من شعب الاسلام فبين فى حديث جبريل وغيره مــن الاحاديث كيف وقد روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلـم انه قال : " العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر"(١)

---

(١) ليست هذه روايه جابر رضى الله عنه كما ذكر المؤلف بل رواية جابر هـى :
" بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة "
وقد رواها مسلم فى صحيحه فى كتاب الايمان رقم الحديث العام ٨٢ ورواه غيره
اما الحديث الذى ذكره المؤلف فهو رواية بريده رضــى الله عنه •
وقد اخرجه الترمذى ٢٦٢٣ فى كتاب الايمـان باب ما جاء فى تــــرك الصلاة وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب •
واخرجه النسائى ١ ص ٢٣١ ــ ٢٣٢ فى كتاب الصلاة باب الحكم فـــى تارك الصلاة وابن ماجه فى كتاب اقامة الصلاة رقم الحديث ١٠٧٩ واحمــــد فى المسند ٥/٣٤٦•
وقال الشوكانى : الحديث صححه النسائى والعراقى ورواه ابن حبـــان والحاكم وهو يدل على ان تارك الصلاة يكفر •• نيل الاوطار للشوكانى ج ١ص٣٩٢
وقد ذكر الشوكانى ايضا فى شرحه لحديث جابر الانف الذكر حكـــــم تارك الصلاة عند العلماء فقال :
* لا خلاف بين المسلمين فى كفر من ترك الصلاة منكر لوجوبهــــا الا ان يكون قريب عهد بالاسلام اولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيهـــا وجوب الصلاة •
* وان كان تركه لها تكاسلا مع اعتقادة لوجوبها كما هو حال كثير مــن الناس فقد اختلف الناس فى ذلك :
فذهبـــت العترة والجماهير من السلف والخلف منهم مالك والشافعى =

وصفتها وما يحتاج اليه من امورها كل ذلك مكتوب (١) في كتب الفقه واقل ما يجزى العبد في فعلها ما رواه ابو هريرة وجماعة من الرواة :

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه فقال ارجع فصل فانك لم تصل (فرجع) (٢) فصلى ثم جاء (فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم) (٣) فقال ارجع فصل فانك لم تصل (فصلى ثم جاء مسلم فرد عليه فقال ارجع فصل فانك لم تصل) (٤) فقال والذي بعثك بالحق ما احسن غيره (٥) فعلمني فقال اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر (٦) معك من القران ثم اركع حتى تطمئن

= الى انه لا يكفر بل يفسق فان تاب والا قتلناه حدا كالزاني المحصن ولكنه يقتل بالسيف.

وذهبت جماعة من السلف الى انه يكفر وهو مروى عن علي بن ابي طالب عليه السلام وهو احدى الروايتين عن احمد بن حنبل وبه قال عبد الله ابن المبارك واسحاق بن راهوية ..

وذهب أبو حنيفة وجماعة من اهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي الى انه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي ...ثم شرع رحمه الله في ذكر ادلة كل قول ومناقشتها نيل الاوطار للشوكاني ج ١ ص٢٩١.

(١) في بقية النسخ : مذكور.

(٢) كلمة " فرجع " وردت في : ت . وهو موافق لرواية مسلم.

(٣) ما بين القوسين من ت

(٤) ما بين القوسين ورد في أ ، ظ ، ت.

(٥) في خ : غيرها.

(٦) في ظ ، ت : بما تيسر وهو موافق لرواية الترمذي.

راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قايما ثم اسجد حتى تطمئن
ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن
ساجدا ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها .(١)

وفى بعض الروايات :

" ... فاذا صنعت ذلك فقد قضيت صلاتك وما انقصت
من ذلك فانما تنقصه من صلاتك "(٢)

ومنها فرائض كالصلوات الخمس وصلاة الجنايز(٣) وفى
الاثار (٤) :

(ان اتباع الجنايز من الايمان)(٥)

---

(١) رواه البخارى ٧٥٧ و ٧٩٣ / ومسلم فى كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعه ٣٩٧/ وابو داود رقم ٨٥٦ فى كتاب الصلاة / والترمذى فى ابواب الصلاة رقم الحديث ٣٠٣ وابن ماجه ١٠٦٠/والنسائى ١٢٤/٢ / واحمد فى المسند ٤٣٧/٢ .

(٢) ذكر هذه الرواية ابو داود بلفظ :
" فاذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك وما انتقصت من هذا شيئا فانما انتقصته من صلاتك " سنن ابى داود ج ١ الحديث رقم ٨٥٦

(٣) صلاة الجنائز من فرائض الكفايات قال الغزالى : وانما تصير نفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضورة غيره ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية واسقطوا الحرج عن غيرهم ....
احياء علوم الدين للغزالى ج ١ ص ٢٠٤.

(٤) فى ت: وفى الاثر وفى ج : وفى بعض الاثار.

(٥) هذا الاثر هو عنوان الباب ٣٥ من كتاب الايمان فى صحيح البخارى واورد فيه حديثا عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من اتبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا ... الحديث ٤٧.

أعنى
فهى شعبة من الايمان اتباع الجنايز لانها تذكر بالاخـرة والوقوف بين يديه ، والجزاء والثواب والعقاب لكنا اختصرنـا ذكرها لانها من جملة الصلوات فلم نفرد لها بابا :

(ومنها سنن كصلاة العيدين والاستسقاء والكسـوف والوتر وركعتى الفجر) (١) ومنها فضائـل كساير النوافـل وتأدية الصلاة واقامة ركوعها وسجودها وتلاوتها ظاهرا اسلام فأما روح الصلاة وفهم معانيها فى مقام الايمان ومقـام الاحسان فان اولها بعد التطهير (٢) والنظافـة والدخول (٣) على الملك : الانتهاض الى موضع الصـلاة وهـى : البقعة المقدسة من مسجد مبنى وغير مبنى •

فالمراد بالانتهاض والمشى : انتهاض القلب والباطن وسيـره ودخوله الى عالم الملكوت وخروجه عن عالم الدنيا حـتى يدخل الى متعبد الملئكة الذى وجب الايمان بهم فـى العالم المقدس الذى ليس فيه (٤) ما يشغل عن الصـلاة ثم القيام الى الصلاة والمراد به قيام القلب الى اعلـى عليين بين يدى الله تعالى ثم رفع اليدين والمـراد بـه من جميع (٥) الاشياء بالفقر والفاقة الى الله •

---

(١) ما بين القوسين سقط من ظ •
(٢) فى ظ : بعد التطهر•
(٣) فى ظ ، ت للدخول وهو الصواب •
(٤) فى ظ ، ت : فيهـم •
(٥) فى ظ : من جملة الاشياء•

ثم احضار النية والمراد بها التقرب الى الله بالصلاة واخـــراج
ما في القلب سوى (١) من اقبل عليه وذلك اشراف علـــى
من توجه اليه وغيبة (٢) عن غيره فاذا اشرف على المطلـــوب
برفع الحجـب الشاغلة (للقلب) (٣) وقع له تعظيم المتجلـــى
له وغالطته حرمته واحترامه فحينئذ يحرم بتكبيرة الاحـــرام
لانه في موضع الاحترام والحرمة فيحرم عليه النظر الى غيـــره
والاشتغال بسواه فيقول : الله اكبر من ان يقبل على غيـــره
او يلتفت له من اجل ما عرف من جلالة قدرة وعظيم خطـــره
فاذا وقع له جلالة القدر وعظيم الخطر اخذ في الثنـــاء على
الله بالفاتحـــة (٤) فيقـــول :

(الحمد لله) الذي هو على ما هو عليه (رب العالمين) اى سيد
العالمين فتتجلى له صفة السيادة لله التي استعبد بها العالمين
على كثرتهم ويثنى عليه بصفاته ويناجيه بكلامة (٥) فيفهـــم
من كلامه ومحادثته مع الله بفاتحة الكتاب والسورة ما يوجـــب
له الخضوع بين يديه فيركع لزيادة التعظيم بشهادة اوصـــاف
المتكلم معه فيقول : الله اكبر منحطا للركوع اى اكبر مما وقـــع
في نفسي من تعظيمه والمراد من ركوع الجسد خضوع النفـــس

---

(١) في ظ من سوى من اقبل عليه .
(٢) في خ : وغيبية وهو خطـــأ .
(٣) هكذا وردت في خ وفي غيرها : الشاغلة عن القلب .
(٤) في ظ : في الفاتحـــة .
(٥) في خ : بكلامة ومحادثته .

والروح في مقام الايمان والاحسان باطنا بين يدى كبرياء الجليل العظيم ولذلك امر ان يقول في ركوعه : سبحان ربي العظيم لما شاهد من معنى التعظيم الذى خضع له فيرفعه الله تعالى بكرمه الى حالته الاولى التى هرب منها الى الركوع لان من تواضع لله اى لاجل عظمة الله رفعه الله اليه فاذا رفعه الله اليه شاهد العبد نعمة الله عليه في رفوعه (١) فيبتدى بالحمد والثناء فيقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا (فيه) (٢) فيجد في وقوفه وطمأنينته حلاوة المزيد والنعمة التى رفعه الله (اليه) (٣) بها وهى استدعاؤه الى القيام (فيخر) (٤) ساجدا شكرا لما اولاه فيضع وجهه على الارض ظاهرا ونفسه وروحه تحت الثرى الذى ليس وراءه في السفل منتهى الانفوس العارفين والاولياء لانهم لما هو عليه من الاسماء الحسنى والصفات العلى شهداء فيضع نفسه تحت كل تحت ولذلك ليس وراء السجود منتهى في التواضع ، والتكبير مستصحب له ، ومعناه : اى الله اكبر مما شاهدت ووقع في نفسى من تعظيمه واعلى فاذا

---

(١) في ظ : في رجوعه وهو خطأ .
(٢) كلمة " فيه " من ظ ، ت ، خ .
(٣) كلمة " اليه " من ظ ، ت .
(٤) هكذا في جميع النسخ ما عدا " ع " ففيها " فخر " .

وضع في السجود نفسه اسفل من كل سفل بالمعنى الـــذى
هو الذى شاهد من سفله علاء ربه فقال سبحان ربى الاعلـــى
فاستدعاه ربه للرفوع (١) والقرب من البعد والنزل (٢) الـــذى
انزل نفسه (فيه) (٣) في سجوده .

ومعنى التسبيح في الركوع والسجود تنزيه المركوع له والمسجـــود
له من حالة الركوع والسجود ، اى سبحان من هو بخـــــلاف
حالة الركوع والسجود فلما استدعاه (للرفوع) (٤) قعـــــد
بالعجز بين يديه لانه لم يطق القيام لما شاهد في السجـــود
من الاجلال والاعظام فقعد بين يديه بالسكينه (٥) والعجـــز
وأقـــر بالعجز له ان يقوم بشىء من حق قدر ربه ولذلك امر
ان يقول في قعوده بين السجدتين : رب اغفر وارحم وتجـــاوز
عما تعلم وانت الاعز الاكرم (٦) فيجد رحمة الله قد غشيتــه
والمغفرة قد غمرته لانه تجلى له بوصف زائد على الوصـــف
الاول من أجل أن الرحمة (٧) مقرونه بالضعف وسرعة الـــى

---

(١) في ظ ، خ : للرجوع .
(٢) في ظ ، ت ، خ : " والسفل " بدل من " والمنزل " وكلاهما يصح .
(٣) كلمة " فيه " من ظ ، ت ، خ .
(٤) هكذا وردت في أ ، ت ، خ / وفي ظ : " للرفع " وفي ع " المرفوع " .
(٥) في ظ ، ت بالمسكنه .
(٦) في خ بعد كلمه الاكرم : وما اشبهه من الدعاء .
(٧) في أ : من اجل ان النعمة .
(٨) في ظ : ت ، خ فماد الى التواضع وهو اصح .

الاستكانة فزاد سجودا اخر بحكم وصف اخر فعاد بالتواضع (١) الذي هو المراد من السجود حتى لو وجد ان يضع نفسه في اسفل مما وضعها فيه لوضعها وقد وجد الله (٢) مع كل رفع وخفض فان الواجب على كل عبد ان يضع نفسه من التواضع في خلاف ما هو الله عليه من الجلال والعظمة وذلك لا يمكن ابدا الا مع التجلي وزيادة التعظيم فكلما زاد (٣) تجلي الصفات زاد التواضع بقدر ذلك ابدا وكذلك لما زاد (٤) الاكرام زاد الشكر والثناء والتجلي دائما (٥) ابد الابدين وكذلك التواضع دائما ابد الابدين والشكر والثناء وجميع ما يليق بتجلي اوصاف الباري والحمد لله على ما هو عليه .

ثم يدعوه ربه الى الاقتراب منه وهو معنى القيام الى الركعة الثانية فيجري له ما جرى له في الاولى لكن بحكم الزياد . لان الصلاة انما هي ركعة واحدة فيها تمت معاني الصلاة وغير ذلك من الركعات تكرير فلا يزال ذلك دأبه مع مولاه من فهم خطابه وشهود اوصافه في قيامه وانحطاطه وركوعه (٦) وسجوده واذكاره وجلوسه الى اخر صلاته حتى يمتلي ظاهره وباطنه نورا وبشركه ورحمة وسرورا وتواضعا وحياء وغير ذلك مما لا يحصى

---

(١) في ظ ، ت ، خ فعاد الى التواضع وهو اصح .

(٢) في ت : " وقد وجد مع كل .. " وفي خ : " وقد وجدوا بحمد الله .. " .

(٣) في ظ فكلما ازداد .

(٤) في ظ ، ت ، خ كلما زاد .

(٥) في خ : الدائم .

(٦) في ظ : " ورجوعه "

من احوال المصلين العارفين الخاشعين فعند ذلك يقعد في اخر صلاته فيأخذ في التشهد والشهادة لله بما هو له اهل والثناء كما يجب ويفرد التحية والملك له (١) والتزكية والتنزيه والمدح لباريه بقوله :

" التحيات لله الزاكيات لله الطيبات لله ... " (٢)

ويفرد العبودية له بقوله : " الصلوات لله " ويسلم على اكرم الوسايط الذى هداه الله به الى ما هو فيه محمد عليه السلام ثم يقر بكل ما جاء به من عند الله ويصلى عليه فاذا فرغ من الاقرار والشهادة بكل ما جاء به محمد عليه السلام من الايمان بالغيوب والدعاء والسؤال فعند ذلك تمت له النعم (٣) بتمام الصلاة وكمالها ووجب التحلل منها بتمامها فأمر بالخروج الى عالم الحس والملك فعند ذلك قال : السلام عليكم لانه كان في الحضرة العلية خارجا عن عالم الحس مودعا له كما قال محمد عليه السلام :

" صل صلاة مودع " (٤)

---

(١) في خ : " لله ".

(٢) اخرجه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة وهو عن عبد الرحمن بن عبد القارىء انه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يعلم الناس التشهد يقول : قولوا .. الحديث.
الموطأ ص ٧٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) في خ : النعمة .

(٤) رواه ابن ماجه في الزهد رقم الحديث ٤١٧١ ورواه احمد في المسند ٥/ ٤١٢ وهو عن ابي ايوب قال :
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله علمني واوجز قال :
" اذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعتذر منه واجمع اليأس عما في ايدى الناس "..

أي لانه خارج عن هذا العالم الى الحضرة العليه فـاذا
قـدم على هذا العالم وشاهد من حوله من الاملاك والانس
قال : السلام عليكم فسلم على من على يمينه وشماله وحل لـه
ما حرم عليه قبل ذلك ولذلك قال عليه الســلام :

" تحريمها التكبير وتحليلها التسليم " (١)

فمن صحت له مثل هذه الصلاة وجبت له الكرامة عليهـــا
ومن اعترضه الوسواس (٢) فليجاهد (٣) يكتب له اجـــر
المجاهد اذا فاتته مية الاحسان ه
ومن اقتطعته الغفلات امثالنا وعدم النصيب الاوفر ومشاهــدة
المذكور الاكبر كتب له ما عقل وذلك (٤) فضل عظيم مـــن
الله لان صلاته كانت فى موجب الادب اسرع الى العقوبـــة
منها (الى) (٥) ان يكتب له ما عقل اذ لا يدرى بـــين
يدى من هو حتى يعرض الى غيره بقلبه وهو واقف راكـــع
ساجد بجسده فعليه ان يكثر التنفل لجبر (٦) وذلـــك

---

(١) رواه الترمذى فى الطهارة باب ما جاء ان مفتاح الصلاة الطهور حديث رقم ٣
وهو عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مفتاح الصـــلاة
الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم "
وقال الترمذى : هذا الحديث اصح شيء فى هذا الباب واحسن .
(٢) فى ظ ، خ : ومن اعترضته الوساوس .
(٣) فى خ : فليجاهدها .
(٤) فى أ : توفروذلك .
(٥) الكلمة " الى " من ظ .
(٦) فى أ ، ظ ، خ : ليجــبر .

النقص فانه مطالب به كما ورد :

" ان النوافل جبر الفرائض "(١)

لانه لم يؤدها على الوجه الذى يجب والمعنى الذى امر به ،
ولم يكلف الله الخلق من العبادة الا ما يطيقون لكن
شغلهم بغير ذكر (٢) الله حرمهم واقتطعهم عما افترض
عليهم .

ونسأل الله الكريم ان يتغمدنا برحمته ويتجاوز عن ذنوبنا
وتقصيرنا برحمته(٣) فلولم تكن لنا ذنوب الا التقصير
فى اداء الفرائض لكان كافيا ،

فهذا هو روح الصلاة من حيث المعنى .

وقد انتظم فيما تقدم من الكلام المقامات الثلاثة من
الاسلام والايمان والاحسان فانهم .

---

(١) فى جميع النسخ جبر للفرائض ولم اجد حديثا بهذا اللفظ ولعل
المؤلف اراد به معنى الحديث المروى عن ابى هريرة رضى
الله عنه :
ان اول ما يحاسب فيه الرجل صلاته المكتوبة فان صلحت صلاته
والا زيد فيها من تطوعه ثم تقابل ساير الاعمال المفروضة كذلك " وهو
حديث صحيح .
انظر تخريجه فى شرح السنة للبغوى ج ٤ ص ١٥٩ باب فضل
التطوع .

(٢) فى ظ ، ت ، خ : بغير الله .

(٣) فى خ : بكرمه وهو أنسب .

واما فهم الصلاة من جهة (١) تركيبها وتفاصيل اعضائهـــا وهيأتها فانها على صورة عبادة العالم الكلى وعلى هيئـــة صلاة العابدين فيـــه •

فالقيام الى الصلاة ليكون مع الذين يعرجون الى الله :

" تعرج الملئكة والروح اليه •• " (٢)

والوقوف ليكون مع القائمين المشاهدين (٣)

والذكر لـيكـــون مع الذاكرين ، والهبوط ليكون مع المتنزليـــن والركوع ليكون مع الراكعين الخاضعين ، والرفوع ليكون مــــع الصاعدين والسجود ليكون مع الساجدين ، والفكر والجـــولا ن بالفهم (٤) والعقل ليكون مع السابحين السايحين ، والحضـور ليكون مع الحاضرين الروحانيين (٥) ووجود الراحة والنعـــيم بها ليكون مع الملئكة المقربين المشتاقين المحبيـــن والخشـــوع ليكون مع الخائفين (٦) والكروبيين •

والمجاهدين بالاذكار ليكون راجما للشياطين كالفلكييـــــن ، والقاء السمع (ليكون) (٧) مـــع المراقبين ، (وزم) (٨) المعاني

(١) فى بقية النسخ : من حيث •

(٢) سورة المعارج من الاية ٤ •

(٣) فى ت : الشاهديـــن •

(٤) فى أ : بالفكـــر •

(٥) فى ت : للروحانيين •

(٦) فى غ : مع الخاشعين •

(٧) لم تذكر كلمة " ليكون " فى ع •

(٨) هكذا فى جميع النسخ وفى ع : وزمر •

في وعاء الفهم ليكون مع الحافظين الكاتبين ،

ومع هذا كله فلا يقوم بشيء من حق الله عز وجل لعظيم (١) ما هو عليه من جلال القدر وعظيم الخطر لكن يجد الراحة في شهود المنه اذ هو ربه على ما هو عليه من اوصافه ومع ذلك استدعاه الى ان يكون من عباده المؤمنين فيستشعر (٢) في نفسه ذلك ويقول كيف ذكرني هذا الملك العظيم في نفسه حتى ينزل من جلال كبريائه الى صفات حنانه ورحمته حتى كلمني بكلامه واستدعاني لان اكون من جملة المصلين من عباده فينوي ويتمنى ويود في نفسه ان لو تقربة اليه بعبادة الخلق اجمعين على غاية الصفا لوقدر على ذلك فبهذا يفهم قوله :

" نية المؤمن خير من عمله " (٣)

---

(١) في ظ لعظيم .

(٢) في ت فليستشعر .

(٣) اورد هذا النص ابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ٢٠٧ على انه من كلام الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ،

وقد اخرجه البيهقي في شعب الايمان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعقب اسناده بأنه ضعيف ، وقال المناوي في كتاب فيض القدير بعد ان ذكر الكتب التي اوردته قال : الحاصل انه له عدة طرق تجبر ضعفه وان من حكم بحسنه فقد فرط ... الخ .

فيض القدير شرح الجامع الصغير رقم الحديث : ٩٢٩٥ و ٩٢٩٦ المجلد السادس .

وقال العراقي بضعفه ، انظر هامش احياء علوم الدين للغزالي مجلد ٤ ص ٣٦٦ .

ثم يشهد عجزه وتقصيره عن ذلك فيرجع الى رؤية التقصير والاستغفار من قلة القيام ببعض الواجب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر بعد كل صلاة (ثلاث) (١) مرات ورد ذلك في الصحيح (٢) ، فيتوب من الحسنات كما يتوب العاصي من السيئات لان :

" حسنات الابرار سيئات المقربين " (٣)

ولذلك تقول الملئكة يوم القيامة :

" سبحانك ما عبدناك حق عبادتك " (٤)

---

(١) وردت كلمة " ثلاث " في جميع النسخ ما عدا " ج " .

(٢) صحيح مسلم في كتاب المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة رقم الحديث ٥٩١ .

(٣) قال العجلوني في كشف الخفاء المجلد الاول رقم الحديث ١١٣٧ قال : هو من كلام ابي سعيد الخراز كما رواه ابن عساكر في ترجمته .. وعده بعضهم حديثا وليس كذلك ...
وكذا قال ابن تيمية : هذا من كلام بعض الناس وليس هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .
انظر الفتاوى لابن تيمية مجلد ١٨ ص ٣٨٣ ، وكذا روضة التعريف لابن الخطيب ج ٢ ص ٤٩٩ .

(٤) اورده الحاكم في المستدرك عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
" يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والارض لوسعت فتقول الملئكة يارب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملئكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ... الحديث
ثم قال الحاكم :
هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .
المستدرك ج ٤ كتاب الاهوال ص ٥٨٦ .

على صفاء عبادتها من (١) شوب الكدرات (٢) ، وهذا المعنى الذى تقوله الملئكة هو الذى قاله النبى عليه السلام فى قوله :

" لا يدخل احد منكم الجنة بعمله قالوا : ولا انت يا رسول الله قال :

ولا انا الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل " (٣)

مع اجتهاده وصفاء احواله وليس معناه أن العمل ليس ينفع فيكون قوله محرضا على ترك العمل بل قوله هلذا مرغب فى الاجتهاد لجميع ما يقرب الى الله تعالى فنبه عليه السلام على عظيم حق الله تعالى الموجب لرؤية التقصير.

فالعبادات كلها لها وجهان تنظر منهما :

مرة تنظر من مقام العبودية ومشاهدة الربوبية وهو من هذا الوجه الذى ذكرناه فتعرف مقدار المعبود وما تقع عبادتك فى حقه وجلالة قدرة فتكون عبادة الخلق اجمعين فى ذلك المعنى اقل من غرز ابرة فى بحر لجي فيولد هذا النظر الاجتهاد والانكسار والخشوع والذلة والفقر الى الله وجميع صفات العبودية الحسنى التى ساعة واحدة منها خير من عبادة ستين

---

(١) فى ظ عن شوب.

(٢) فى أ ، ظ ، ت : الكدورات.

(٣) رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه ، فى كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل رقم الحديث ٦٤٦٣.

ورواه مسلم فى كتاب صفات المنافقين باب لن يدخل احد الجنة بعمله بل برحمة الله رقم الحديث ٢٨١٦.

وأحمد فى مسنده ٢٦٤/٢.

سنـــــة .(١)

ومرة ينظر من مقام المنة وكيف ذكر الملك الاكبر الذى استعبـــد العرش بما حوى فى نفسه لهذا الذى لا يدرى من هو فى كثـــرة عباد الله ومماليكه وكيف ارتضاه للايمان به واستدعاه لعبادتـــه ومناجاته والتقرب منه حتى يجعله من جلسائه كما قــال :

" انا جليس من ذكرنــــى "(٢)

فيتولد من هذا النظر ايضا احوال كريمة لا يعلم حقيقتهـــا الا العارفون مثل الحياء الكائن عن الحضور ، والشكر الحادث عـــن رؤية المنـــة والمحبة المتولده عن احسان الله الى غير ذلـــك مما شرحه الله فى قلوب المختصين بهذا المقام وهو معــــنى قول الله تعالى :

---

(١) يشير المؤلف هنا الى ما أورده السيوطى فى الجامع الصغير بلـــــفظ " فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة "
وقال اخرجه ابو الشيخ ابن حبان فى العظمة عن ابى هريـــره اهـ
قال المنادى فى فيض القدير : اورده ابن الجوزى فى الموضـــوعات وقـال : فيه عثمـــان بن عبد الله القرشى عن اسحاق الملطى كذابان فأحدهمـــا وضعـــه .

انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى رقم الحديث ٥٨٩٧ ، وانظر كشف الخفاء المجلد الاول رقم الحديث (١٠٠٤) .

(٢) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء وقال رواه الديلمى بلا سند عن عائشـــة مرفوعا وعند البيهقى فى الشعب عن ابى ابن كعـــب ... الـــخ .
انظر كشف الخفاء ج ١ رقم الحديث (٦١١) .

" .. ولذكر الله اكبر .. "(١)

اى ذكر الله للعبد فى نفسه اكبر من كل ما يتقرب به اليه (٢)
فعلى هذين الوجهين من النظر درج العارفون فى علومهم
وأعمالهم وبهما تزكوا الاعمال عند الله نسأل الله الكريم
ان يمن علينا بما من (به) عليهم فى الدنيا والاخرة انه
ولى ذلك والقادر عليه.

واعلم ان الوجود كله باجزائه مصل لله بدوام وجود الوجود
لا ينفك عن الصلاة فانه فى مقام العبودية لله فمن ادام النظر
راى الوجود كله ظاهرا وباطنا مصليا ومن ترك الصلاة فقد
خالف الخليقه كلها ولذلك (٣) يحشر مع فرعون وهامان كما
ورد فى بعض الاخبار :

" ان تارك الصلاة يحشر مع فرعون وهامان "(٥)
لانه تأبى من العبودية والتواضع لله كما فعل فرعون فافهم فان

---

(١) العنكبوت من الاية "٤٥".

(٢) هذا احد القولين فى تفسير الاية وهو ما يروى عن ابن عباس رضى الله عنه والاخر هو ذكر العبد لربه . انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤١٥ فقد اورد الاثار لكل من القولين.

(٣) فى ظ ، ت : فلذلك.

(٤) من قوله " كما ورد ... الى قوله وهامان لم يرد فى ظ ، ت.

(٥) اخرجة احمد فى المسند ج ٢ ص ١٦٩ وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه احمد والطبرانى فى الكبير والاوسط ورجال احمد ثقات المجلد الاول ص ٢٩٢.

الذى لا يخضع لاحد هو الله وحده فمن صلى بجسده وفعل اركان الصلاة كما امر ظاهرا وانزل نفسه مع كل ركين (من أركانها) (١) ومعنى من معانيها الباطنة وفهم (٢) روحه وعقله تلك المعانى وشهد (٣) المراد بكل ركن منها ومعنى من معانيها (٤) فقد صلى بجسده وفعل اركان الصلاة كما امر بظاهرة وباطنه وجملته فى عالم الحس ومقام الاسلام وفى عالم الغيب ومقام الايمان وفى غيب الغيب ومقام الاحسان ووجد (٥) طعم المعانى الثلاث من الله علينا وعليكم بالكمال فى كل شىء أمين بمنه ورحمته وصلى الله على محمد وآله ..

---

(١) هكذا فى أ ، ظ ، ت . وبقية النسخ لم تذكر كلمة " من اركانها " .

(٢) فى أ : وأفهم .

(٣) فى أ ، ظ وشاهد .

(٤) من قوله " وانزل نفسه الى قوله فقد صلى سقط من ت.

(٥) فى أ ، ظ ، خ : " ووجد ذوق طعم ... " .

الشعبة السادسة :

الزكـــــــاة :

فأما كونها من شعب الايمان (١) فمذكور في حديث جبريـــل .

وهي على نوعين :

فريضـــة ، ونافلـــة .

فأما الفريضـــة فأربعة انواع :

زكاة العين وزكاة الماشية وزكاة الحرث وزكـاة الفطر فرضها رســول الله صلى الله عليه وسلم اعني زكاة الفطر (٢) .

وأما النافلة فعامة في كل شيء من وجوه البر .

فأما زكاة العين فهو الذهب والفضة وما اتخذ منهما من الحليـة الا ما كان منها للقنية الجايزة (٣) ، وما لا يجوز اقتناؤه ففيــه

---

(١) في خ : من شعب الاســـلام .

(٢) اي انها ثبتت بالسنة كما يدل عليه قول قيس بن سعد بن عبادة : (امرنـــا النبي صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر قبل نزول اية الزكوات) .
انظر كشاف القناع للبهوتي ج ٢ ص ١٩٢ و ٢٨٧ .

(٣) في خ : الا ما كان من القنيـة الجايزة ويريد المؤلف بذلك :
الحلية المعدة لاستعمال مباح او إعارة ولو لم يعر أو يلبس وفي وجــــوب الزكاة في ذلك خـــلاف .
انظر كشـــاف القناع ج ٢ ص ٢٧٢ .
وانظر رسالـة : زكاة الحلي للشيخ عطية محمد سالم قال في مقدمتهـــــا : تلخص لنا ان الزكاة واجبة باتفاق في عموم جنس الذهـــــب الا في الحلي المباح المستعمل بالفعل وهذا هو محـــــل البحث في هذه الرسالة ننقـــــل ...

الزكاة اذا كان ذلك كله نصابا فما فوقه ، وحال عليه حول عند المالك له وكان ملكه له صحيحا .

فأما نصاب الذهب فعشرون دينارا كبارا ومفروض الزكاة فيها نصف دينار او قيمته من الورق ، وما زاد فبحساب ذلك .

وأما نصاب الفضة : فخمس اواق والاوقيه اربعون درهما

ومفروض الزكاة فيها خمسة دراهم منها او قيمتها من الذهب (وما زاد على الخمس اواق فبحساب ذلك ، وكذلك معدن الفضة والذهب)(١) يجرى هذا المجرى اذا بلغ النصاب فما فوقه ليس فيه الا الزكاة ولا ينتظر به الحول ولا يسقط زكاته الدين كزكاة العين .

وجميع ما ذكرنا فى زكاة العين (٢) مذكور فيما رواه على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه عليه السلام انه قال :

(اذا كانت لك مائتا درهم (٣) وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شىء فى الذهب حتى يكون لك عشرون دينارا وحول عليها الحول ففيها نصف دينار وما زاد فبحساب ذلك (٤)

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" قد عفوت لكم عن الخيل والرقيق .. وذكر باقى الحديث "(٥)

---

(١) ما بين القوسين سقط من خ .

(٢) فى خ : وجميع ما ذكرناه من العين ...

(٣) فى خ : دينار وهو خطأ .

(٤) رواه ابو داود رقم الحديث ١٥٧٣ كتاب الزكاة ، واخرجه عبد الرزاق فى مصنفه رقم الحديث ٧٠٧٤ ، ٧٠٧٦ .

(٥) رواه ابو داود رقم الحديث ١٥٧٤ والترمذى وابن ماجة كتاب =

فصـــــل :

واما زكاة الماشيــة :

فتجب في اربعة انواع وهي التي ذكرها الله في سورة الانعــــام وهي : الضأن (١) والمعز ، والابل والبقـر.

فاما الضأن (١) والمعز فصنف واحد في الزكاة اذا بلغت اربعين صغارها وكبارها فمفروض الزكاة فيها شاة واحدة حتى تبلـــغ مائه وعشرين شاة ليس فيها الا شاة فاذا زادت على المائـــة والعشرين واحدة فزكاتها شاتان حتى تبلغ مائتي شاة ليس فيها الا شاتان فان زادت واحدة على المائتين ففيها ثلاث شيـــاة الى ثلاث مائة وما زاد على ذلك ففي كل مائة شاة وما لم تبلـــغ مائة فليس فيه شيء حتى تكمل المائة.

= الزكاة رقم الحديث ١٧٩٠ والنسائي كتاب الزكاة باب زكاة الـورق ج ٥ ص٣٧ واحمد في المسند الفتح الرباني ج ٨ ص ٢٣٨.
وقال الترمذي : سألت محمدا ـ يعني البخاري ـ عن هذا الحديث فقال : عندي صحيح عن ابي اسحاق.

(١) في بقيـــة النسخ بدل كلمة الضـــأن " الغنم " وهو خطأ لان كلمـــة غـــنم تصدق على كل من الضأن والمعـــز وعرفت الضأن بأنها ذوات الاصواف من الغـــنم وعرفت المعز بانها ذوات الشعر من الغنم.

انظر تهذيب اللغة ٢/١٥٩ ، ١٢/٦٨.

وأما البقـــر :

فاذا بلغت ثلاثين بصغارها وكبارها فمفروض الزكاة فيها تبيـــع وهو ابن سنتين (١) حتى تبلغ تسعا وثلاثين ليس فيها غيـــر ذلك فاذا زادت واحدة وكملت اربعين ففيها بقرة مسنة وهـــى بنت اربع سنين (٢) الى أن تبلغ تسعا وخمسين ليس فيهـــا غير ذلك فاذا زادت واحدة وكمل فيها ستون فمفروض الزكاة فيهـا تبيعان حتى تبلغ تسعا وستين ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة وكمل منها سبعون ففيها بقرة مسنة وتبيع حتى تبلغ تسعا وسبعين ليس فيها غير ذلك ، فاذا زادت واحدة وكمل منهـــا ثمانون ففيها بقرتان مسنتان وهكذا اعتبارها ابدا فى كل ثلاثـــين تبيع وفى كل اربعين بقرة مسنة .

واما زكـــاة الابـــل :

فمن كان عنده خمس من الابل فمفروض زكاتها شاة واحدة مـــن الغنم الى تسع ليس فيها غير ذلك (فاذا كمل منها عشر ففيهـــا شاتان الى اربع عشرة ليس فيها غير ذلك) (٣) فاذا كمل خمســـة عشر ففيها ثلاث شياة الى تسعة عشر ليس فيها غير ذلك فـــاذا

(١ ، ٢) فى كتب الفقه ان التبيع هو ابن سنة وسمى تبيعا لانه يتبع امـــه والبقرة المسنة هى ما لها سنتان وهى ثنية البقر القت سنا غالبا .
انظر كشـــاف القناع ج ٢ ص ٢٢٢ ، والسراج الوهاج شـــرح مـــتن المنهاج ص ١١٨ .

(٣) مـــا بين القوسين من قوله فاذا كمل الى قوله " غير ذلك سقط من ط .

كمل منها عشرون ففيها اربع شياه (١) الى اربع وعشرين ليس فيها غير ذلك وتدرجها الى هذا الحد خمس خمس خمس خمس مرات فاذا كانت خمسا وعشرين اخذ من الابل نفسها ومفروضها بنت مخاض انثى وهى التى امها حامل بغيرها ان وجدت وان لم توجد اخذ ابن لبون ذكر وهو الذى امه ترضع غيره ، الى خمس وثلاثين ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة ففيها بنت لبون انثى وهى بنت سنتين ، الى خمس واربعين ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة ففيها حقة وهى بنت ثلاث سنين وتدريجها الى هذا الحد عشرة عشرة مرتين (٢) حتى تبلغ ستين ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة ففيها جذعة وهى بنت اربع سنين الى خمس وسبعين ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين ليس فيها غير ذلك فاذا زادت واحدة ففيها حقتان وتدريجها الى هذا الحد خمس عشرة خمس عشرة ثلاث مرات الى عشرين ومائة ليس فيها غير ذلك .

وتدريجها الى هذا الحد ثلاثون فاذا زادت واحدة ففيها ثلاث بنات لبون فى كل اربعين بنت لبون وقيل حقتان والاول (٣) اقيس الى تسع وعشرين (ومائة) ليس فيها غير ذلك فاذ زادت واحدة فيكون فيها حقه فى الخمسين منها وابنتا لبون فى الثمانين .

وهكذا اعتبارها بعد هذا الحد فى كل اربعين بنت لبون وفى كل خمسين حقه .

---

(١) فى خ بعد قوله : أربع شياة قال : ليس فيها غير ذلك .
(٢) فى أ بعد قوله: مرتين : ليس فيها غير ذلك .
(٣) من بعد قوله هنا : (وقيل حقتان والاول) حدث نقص فى اصل المخطوطه أ. و النقص يمثل ارقام الصفحات ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ حيث تركها الناسخ بياضا .

فصـــــــل :

وأما زكاة الحرث فعلى نوعـــين :

زكـــاة الحب وزكـــــاة الثمار :

فالثمار ثلاثة انـــواع :

تمر وزبيـــب وزيـــتون (واختلف في التين) (١) وهذه كلهـــــا
اصناف مختلفه لا يضم بعضها الى بعض .

واما الحـــبوب :

فعلى ثـــلاثة اضـــرب :

ضرب منها يضم بعضه الى بعض فيكون صنفا واحدا وهو القمـــح
والشعير والسلت وضرب منها لا يضم بعضه الى بعض وهو ماعدا القمح
والشعير والسلت من الحبوب المأكوله مثل الدخن والذرة وما اشبـــه
ذلك لا يضم شيء من ذلك الى بعـــض .

والضــرب الثالث القطانى :

مثــل الحمص والباقلا والعدس والترمس وما اشبه ذلك من القطانـــى
هذا كله نوع واحد اعنى القطانى كلها يضم بعضها الى بعض في الزكـــاة
وتعتبر كلها بسقيها فما يسقى منها بغير مشقة ، من السمـــــاء
والانهـــار والعيون ففيه العشر اذا بلغ نصابا .
وما يسقى (٢) بتعب مثل السواقى وغير ذلك ففيه نصف العشـــر

---

(١) جملة (واختلف في التين) لم تذكر في ظ ، ت.
(٢) في ظ وما سقـــى .

والنصاب في زكاة الحرث خمسة اوسق والوسق ستون صاعا بصاع النبي عليه السلام والصاع اربعة امداد والمد رطل وثلث والرطل اثنا عشر اوقية (١) ولا ينتظر بزكاة الحب (٢) الحول بل تؤدى وقت اخذ الحبوب لقول الله تعالى :

" ... وآتوا حقه يوم حصاده ... "(٣)

والنوع الرابع من الزكاة المفروضة : زكاة الفطر

وهى على كل من فضل له على قوت (٤) يوم الفطر مقدار صاع ان كان وحده او فضل له على عدد من يلزمه اخراجها عنه صاع صاع بالصاع المدنى الذى ذكرناه فى الزكاة .

فهذه جملة الزكاة المفروضة وفروعها مستقصاه فى كتب الفقه ويلتحق بهذا الباب الخمس وهو من شعب الاسلام فى الحديث الصحيح الذى رواه ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس فقال لهم :

" هل تدرون ما الايمان بالله شهادة الا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تؤدوا خمس ما غنمتم ... "(٥) وذكر الحديث الى آخره فجعله

---

(١) فى خ : والرطل اثنتى عشرة اوقية .

(٢) فى ظ " بزكاة الحبوب " وفى ت " بزكاة الحرث " .

(٣) الانعام من الاية ١٤١ .

(٤) فى خ : على قوته يوم الفطر .

(٥) اخرجه البخارى ج ١ كتاب الايمان باب اداء الخمس من الايمان رقم الحديث ٥٣ واخرجه مسلم ج ١ كتاب الايمان رقم الحديث ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٦ وابو داود رقم ٣٦٩٢ فى كتاب الاشربه والترمذى فى كتاب السير رقم الحديث ١٥٩٩ واحمد فى المسند ١/ ٢٢٨ .

من سهام (١) الاسلام فهو شعبة من شعب الايمان بنص الحديث ولم نفرد له بابا لان الكلام على الزكاة يغني عنه اذ هو مما يليق ببابها .

والخمس على نوعين : خمس المغنم وخمس الركاز وهو ملتحق بخمس المغنم لانه من دفن الجاهلية ، واداء الخمس من المغنم والركاز فرض واجب وليس بنفل ، وقد ورد من الوعيد في الغلول كما ورد في الزكاة اذا منعت او اخذ الا ان مواضع الخمس ومواضع الزكاة التي توضع فيها تختلف : فمواضع الزكاة في الاصناف التي ذكر الله تعالى في براءة :

" انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ..." (٢) الى اخر الاية .

ومواضع الخمس في قوله :

" واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ..." (٣) الى آخر الاية فهذا وجه التعبد بهذه الشعبة في مقام الاسلام لان كل ما تقدم اسلام فأما سر الحكمة التي ظهرت للناظرين في معاني الزكاة واستعباد (الله) (٤) عباده بها فعلى وجوه :

منها : ان الله جعل الزكاة طهرا للاموال والابدان وتزكية وتنزيها

---

(١) في ظ ، ت : من تمام وفي خ : من سهم .

(٢) سورة التوبة الاية ٦٠ .

(٣) سورة الانفال الاية ٤١ .

(٤) لفظ الجلاله ورد في ظ .

للنفـــوس والارواح ، وصفات الاحسان (١) فى مقام الاسلام والايمان والاحسان •

فأما كونها طهورا للامــــوال :

فقد ورد فى الصحيح عن ابن عمـر :

" من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له انما كان هذا قبل ان تـنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للأمــوال "(٢) والتطهيـــــر انما يكون من النجاسة والخبث ، وقد ورد فـى الصحيح ايضـــــا :

" انها اوســـاخ الناس "(٣)

وذلك ان الله خلق الخلق بحكمته وافقر بعضهم لبعض وجعل منهـم الاغنياء والفقراء وذوى الحاجات المختلفه ليستقيم ايجاد الخليقـه ، فلو خلقهم كلهم اغنياء لبطل الموجود ، وكذلك لو خلقهم فقـــــراء كلهــم • كــما قال :

" ••• ورفعنا بعضهم فوق بعض درجا ليتخذ بعضهم بعضا سخريا (٤) "

فجعل للفقراء وذوى الحاجات حقوقا فى اموال الاغنياء هـــــى

---

(١) فى ظ ، وصفات الانسان ولعله هو الصواب •

(٢) صحيح البخارى كتاب الزكاة باب ما ادى زكاته فليس بكـنز رقم الحديـــــث ١٤٠٤ واخرجه ابـــن ماجه فى كتاب الزكاة باب ما ادى زكاته فليـــــس بكـنز رقم الحديث ١٧٨٧•

(٣) صحيح مسلم كتـــاب الزكاة باب ترك استعمال آل النبى رقـــم الحديـــث ١٠٧٢ ورد هذا المعنى ايضا فى الموطـــأ كتاب الصدقـــة حديـــث رقـــم ١٥•

(٤) سورة الزخرف من الاية ٣٢•

مفروضه لهم ليس لاصحاب الاموال فيها شيء ولو كانت لهم لما وقع الوعيد على من منعها بالويل الذي وقع (١) على من لم يصل الله تعالى في قوله :

" فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون " (٢)

وهي الزكاة (٣) ، فالزكاة مفروضة لاهلها هي حق لهم على الاغنياء كما ان الصلاة مفروضة لله تعالى هي حق لله على عباده ..

وكذلك تجدها حيث جاءت في كتاب الله مقرونة مع الصلاة :

" اقيموا الصلاة وآتو الزكاة " (٤)

تقدير الكلام : اقيموا الصلاة لي وآتوا الزكاة للفقراء واهل الحاجة اليها وكفى بهذا شرفا وفخرا للفقراء حيث قرن حقهم بحقه فلهم في الاموال حق فرضه الله لان المال مال الله والخلق خلق الله يعطي من يشاء المقدار الذي يشاء فهذا المقدار الذي هو حقوق الخير قد علم الله بلطيف علمه وخفي نظره ان ربع العشر من الورق والذهب والعشر ونصف العشر من الطعام وربع العشر (٥) من اربعين شاة وغير ذلك من نصاب الزكاة

---

(١) في ظ ، خ وقع الوعيد به على ..

(٢) سورة الماعون الايات ٤ ، ٧ .

(٣) تأويل الماعون بالزكاة احد الاقوال في تأويل معنى الماعون والذي عليه اكثر المفسرين انه اسم لما يتعاوزه الناس بينهم . انظر فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ٥٠٠ .

(٤) وردت ايات كثيرة بهذا المعنى راجع المعجم المفهرس مادة " ز ك و "

(٥) في خ ، ظ ، ت : بدل قوله " وربع العشر " : والشاه من اربعين شاة " والمؤدى في العبارتين واحد .

انها قائمة باهل الحاجة الذين فرض لهم ذلك ويبقى النصاب بأيدى مالكيه الى وقت حاجة اخـــرى وعلم سبحانه ان المال لا يطهــــر و(١)يطيب لمالكيه حتى يخرج ذلك القدر فمسك الزكـــــاة انما ياكل اوساخ الفقراء بل دماءهم ، وكذلك اخذها بغيــــر حقها ووضعها فى غير حقها لانه اكل حقوق الغير وهم يحتاجـــون الى حقوقهم ، وكذلك رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلــــم ليلة الاسراء حيـــث قال :

" رأيت اقواما على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع وهم يسرحـــون الى الضريع والزقوم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذيـــن لا يؤدون صدقات اموالهم "(٢) .

واداء (٣) الزكاة اقل درجات الطهارة فى الاموال .

فأما كونها ايضا طهارة الابدان (٤) والنفوس والارواح :

==============================

فـــأن الله تعالـــى يـــقول :

" خذ من اموالهم صـــدقـة تطهرهم وتزكيهم بها .. "(٥)

وفى الصحـــيح :

---

(١) فى ظ ، ت : ولا يطيـــب .

(٢) ورد هذا فى رواية ابى هريرة رضى الله عنه الحديث الاسراء ــ كما ذكرهـــا ابن كثير فى جمعه للاحاديث الواردة فى قصة الاسراء فى اول سورة الاســـراء وقـــال فـــى اخره : هذا الحديث فى بعض الفاظه غرابة ونكـــارة شديده . ج ٣ ص ١٧ ــ ٢١ .

(٣) فى خ : وانـــما الزكـــاة .

(٤) فى ظ : للابـــدان .

(٥) سورة التوبة من الاية ١٠٣ .

" ... على كل سلامى من الناس صدقة ..."(١)
واوجب تلك الصدقات المفروضه فمتى (٢)لم تؤد المفروضة لم تطهر
الاعضاء بالنوافل من الصدقات المذكورة فى الحديث ولذلك يبطح
مانع الزكاة من الماشية يوم القيامة للماشية فتمشى عليه بقوايمها
وتنطحه بقرونها (٣) لان اعضاء ماشية جسده التى يتصرف بها
فى المال كما امر وتوصل الحقوق بها الى اربابها لم تنبسط
لاعطائها الى اهلها بل تقبضت عن ذلك وانضمت(٤) بعضها
الى بعض بالبخل الشديد الذى لا بخل اكبر منه لان منع الزكاة
اعظم درجات البخل واداؤها اقل درجات السخاء ، والجود
الذى هو البسط فى الايدى والاعضاء فلم يجد فى المال حركة
ولا موضعا يبسط (٥) بالمشى لان الحركات والسكنات فى الاخرة
انما هى على معنى (٦) الديانات لا يجد العبد الا ما قدم ولا يتصرف
الا فيما كان فيه.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجهاد رقم الحديث ٢٨٩٠/و ٢٩٨٩ ورواه مسلم
فى كتاب صلاة المسافرين رقم الحديث ٧٢٠ وفى كتاب الزكاة
رقم ١٠٠٩.
(٢) فى ظ : فما لم تؤد.
(٣) يشير المؤلف هنا الى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان وغيرهما عن
ابى هريرة رضى الله عنه وفيه : " .. ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها
الا اذا كان يوم القيامة بطح لها .. الحديث.
انظر جامع الاصول ج ٤ حديث رقم ٢٦٥٧.
(٤) فى ظ : بل تقبضت على ذلك وانضم.
(٥) فى خ : ينبسط.
(٦) فى ظ ، خ : على معانى.

والمال له علاقة بقلبه مالكه فهو يملكه ويشده وضمه اليه بتلك العلاقة (١) والمال طائع له وتابع له حيث ما تصرف بالعلاقة التي يجبذه (٢) بها الى ملكه وبطاعة المال له فالذى لا يؤدى الزكاة قد احب المال الحب الكلي ومال به المال اليه وباستغراق الحب فيه تعبده المال وصار ذليلا لمحبوبه كما ورد في الحديث :

" تعسى عبد الدينار ... " الى اخر الحديث (٣)

والتذلل هو التعبد بالميل الذى مال به المال يبطحه من قيامه فى المال فى مقام الايمان والغيب يوم القيامه ، وبتذلل استعباده له يصير بين ارجله وبعلاقته (التى) ملك المال بها وزمه اليه وجذبه تمشى الماشية عليه فى كل ناحيه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة . فافهم .

ولو تصرفت ماشية جسده فى الدنيا باعطاء الحق لمن وجب له لانبسطت اعضاء جسده من قبض البخل فوجد هناك متحركا (٤) ومتصرفا ولو انقطعت علاقة الحق الذى اخرجه من قلبه لامسكت

---

(١) قال فى هامش ع (فائدة : العلاقة بالفتح فى المعانى وبالضم فى الاجسام تأمل) ص ٦٢ .

(٢) فى ظ : تجذبه ، قال الفيروز ابادى فى القاموس : الجبذ : الجذب وليس مقلوبه بل لغة صحيحة ...

(٣) اخرجه البخارى فى كتاب الجهاد رقم الحديث ٢٨٨٦ و ٢٨٨٧ ، واخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد رقم الحديث ٤١٣٦ .

(٤) فى خ : او متصرفا .

تلك العلاقة المنقطعة الماشية عن المشى عليه لانها حصلت فى يد الله وايدى اهلها كالزمام المانع للماشية (١) عنا المشى لان المال (كله) (٢) كشخص واحد ومفروض الزكاة فيه عقالة كما سماه ابو بكر رضى الله عنه عقالا فى قوله :

" ... لو منعونى عقالا ... " (٣)

اراد به بعيرا (٤) ، وانما سمى عقالا لانه يعقل الماشية عن المشى على مانع الزكاة ولو اخرجه عن ملكه الى مستحقه لزال ذله له وتعبده بالاستغراق فيه لان المعبود هو المحبوب (٥) ولم يبطح له يوم القيامة وبقيت الماشية موقوفه عن المشى ومحبوسة للسؤال من اين جمعت ولماذا وفى ماذا فانهم فهمك الله ، وكذا الحكمة ايضا فى كى الجباه والجنوب والظهور بالعين الذى

---

(١) سقطت كلمة " للماشية " من خ .

(٢) كلمة " كله " وردت فى خ .

(٣) اخرجه البخارى بهذا اللفظ فى كتاب الاعتصام رقم الحديث ٧٢٨٥ واخرجه بلفظ " لو منعونى عناقا " فى كتاب الزكاة رقم ١٤٠٠ .
واخرجه مسلم فى كتاب الايمان رقم الحديث العام " ٢٠ " .
واخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب الزكاة باب ١٨ حديثا رقم ٣١ .

(٤) اختلف فى معنى : عقال فقيل : يطلق على صدقة عام ، وذهب الاكثر الى ان المراد به الحبل الذى يعقل به البعير ...
انظر فتح البارى المجلد ١٢ ص ٢٧٨ .

(٥) فى ظ ، خ ، ت : لان المحبوب هو المعبود وما فى ع اصح لان كل معبود محبوب لا العكس .

هو الذهب والفضة قال الله تعالـــى :

" ... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيـــل الله ... " الى قوله " ... يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههـــم وجنوبهـــم وظهورهـــم ... "(١) .

وحقيقة معنى الكنز : الدفـن والاخفاء والســتر الذى هو ضـــد الكشف والاظهار كما قال تبارك وتعالـــى :

" ... وكان تحتـــه كنز لهمـــا ... "(٢)

اى تحت الجدار ، وقال فى قارون :

" ... واتيناه من الكـــنوز ... "(٣) .

وهى ما اخفى من خزائن امواله فالذهب والفضه لما كانـــت جميع حوائج هذه الدار لا تنقضى الا بهما وعاين الناس ذلـــك منهما احبوهـما الحب البالغ فجذبتهما القلوب اليها جبذا (٤) شديدا بالعلاقة التى ذكرناها قبل هذا حتى خامرت سوايـــداء القلوب ومن أحب شيئا كثيرا ادخله فى سوداء عينه ان امكنــــه وضمه اليه والحقه (٥) بجلده ان ظفر به ولذلك ترى الذهـــب والفضة لا يظهر منهما شىء كساير الاموال الا ما تصرف المالكـــون فيه بالمباشرة لهما بالايدى فمن ملك دينارا ربطه واخفاه وحرســـه بالنظر اليه والاشراف عليه بجبيـــنه الذى هو جبهته لانها (٦) موضع

---

(١) سورة التوبة من الايتين ٣٤ ـ ٣٥ .
(٢) سورة الكهف من الاية ٨٢ .
(٣) سورة القصص من الاية ٧٦ .
(٤) فى خ : جذبـــا .
(٥) فى ظ ، خ : والصقه بجلده وهو اصـــح .
(٦) فى ظ : بالجبينه

الحراسة التي فيها الميزان فحيث ما كان المالك له فهو ناظر اليه خايف عليه لا يبرح منه ويتكئ عليه بجنبه (١) وظهره بمعنى الاستناد عليه والاعتماد والتوكل عليه ولذلك خصت هذه الاعضاء بذكر الكي لانها اعظم اعضاء الجسد وموافقة لمعاني الفتنة بالذهب والفضة لانه نتقلب عليها بالاستناد والاعتماد والتوكل والاشراف فاذا لم تؤد الزكاة منه فقد اختفى الخفاء الكلي عن (غير) (٢) المالك والتصق به بالحب الشديد حتى صار كصفة من صفاته او عضو من اعضائه لان حقيقة الحب طلب الاتحاد بالمحبوب فجاء به الى المآل وهو ملتصق به صفايح محمية بنار جهنم لانه لم يرد به (٣) الله ولم يعط منه حق الله وما لم يرد به الله ولا اعطى منه حقه (٤) فمبعود عن الله وعن دار كرامته الى دار البعد وهي النار لان المراد به هوى النفس والدنيا ولذلك يقول الله يوم القيامة :

" ميزوا ما كان لي منها والقوا سايرها في النار ." (٥)

" ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم .. " (٦)

---

(١) في ظ : بجنبيه .

(٢) في خ وردت " غير " وفي غيرها " عين المالك . وترجح عندي صحة " غير " فاثبتها .

(٣) في ظ : لم يرد بها .

(٤) في ظ : ولم يعط منه حق الله .

(٥) اورده عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد وقال محققه الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي : اخرجه البزار وغيره عن انس مرفوعا معناه ص ١٩٢ رقم الحديث ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

(٦) سورة الانفال آية ٣٧ .

فبهذا المعنى نفهم معنى كون (١) تلك الصفايح نارا ، وكذلك هي هنا محمية بنار الحرص والحمية في شدة طلبه واخفائه وكنزه ولو اخرج زكاته كما امره الله لا نقطع من علاقته عن قلبه بقدر ذلك المخرج (٢) وصار في ايدي مستحقيه وظهر للملئكة وقبله الله ، واذا فصل ذلك فقد طهر المال كله ولم يك كنزا لانه قد علم قدر المال باخراج الزكاة منه واذا علم فقد ظهر وانكشف وزحزح هسن المال والمال عنه بعض التزحزح كما تقدم ايضا في عقال الماشية وبقي عليه المحاسبة على جملته هل قام بحقوقه ام لا ، وهكذا زكاة الاقوات (ايضا اذا منعت عذابها من نوعها : اكل الضريع والزقوم كما ورد في حديث الاسراء وثقل الظهر والاجساد عن النهوض كما) (٣) ورد في الحديث :

" ان بين يديك عقبة كؤدا لا يجوزها الا المخفون " وسأل الراوي عن المخفين والمثقلين فقال له :

" ان كان لك قوت ثلاثة ايام فانت من المثقلين " (٤)

لكن الثقل يتخالف ثقل دون ثقل وانما الثقل الكلي فيمن منع

---

(١) كلمة " معنى كون " سقطت من غ .

(٢) في ظ ، خ : المخروج .

(٣) ما بين القوسين سقط من خ .

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن انس قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو اخذ بيد ابي ذر فقال ابا ذر اعلمت ان بين ايدينا عقبة كؤدا لا يصعدها الا المخفون .. الحديث وقال : رواه الطبراني في الاوسط وفيه جنادة ابن مروان قال ابو حاتم : ليس بالقوي وبقية رجاله ثقات ج ١٠ ص ٢٦٣ .

الزكاة كما تقدم والخفة من جميع انواع العذاب فيمن لم تقتصر على الفرائض وتصرف في جميع وجوه الصدقات بالنوافل حتى اكمل له بها الفرائض (١) لان الفرائض قد داخلها انواع المخالفات والتقصير كما ورد في الخبر :

" ان النوافل جبر للفرائض "(٢) .

لا سيما في الاموال التي قد خالطها انواع الحرام والشبهات والباري تعالى لا يقبل الا الطيب فهذا معنى الزكاة ومشاهدته في عالم الغيب ومقام الايمان واما مقام الاحسان :

فبالنظر الى الزكي سبحانه الذي خلق السخاء والكرم وافاض عطاءه وفضله على جميع المخلوقات في كل الاوقات فيتزكى بأن يتصف بوصف (٣) من اوصاف الزكي الحق على قدر ما يطيق واقل ذلك الزكاة فيها تزكوا الارواح وتطهر الاسرار فتصلح لمجاورة الزكي (٤) الحق والقرب منه في مقام الاحسان .

واما كونها تزكية للارواح فموجود ذلك في قوله :

" خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ..."(٥)

---

(١) في خ : الفروض .

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث . ص ٢٥٩ .

(٣) كلمة " بوصف من " سقطت من خ .

(٤) لفظ الزكي " من الالفاظ التي لم يرد نفيها ولا اثباتها في حق الله تعالى والسلف لا يطلقون مثل هذه الالفاظ ويقتصرون على ما ورد به النص من كتاب او سنة فان قيل بشيء مما لم يرد به النص نظر في مقصود قائله فان كان معنى صحيحا قبل ــ وقد تقدم الكلام على هذا الموضوع في اول الكتاب عند التعليق على لفظ القديم والحيز ص ٦ ــ ص ٧ .

وانظر شرح الطحاوية ص ٢٣٩ ط ٦ .

(٥) سورة التوبة من الاية ١٠٣ .

والتزكية من صفات الارواح لانها وصف من صفات الزكي سبحانه وهو تنزيه المتصف بها عن رذالة (١) البخل ووصفه بصفة الجود والسخاء لكن المقتصر على اداء الزكاة في اقل درجاتها ، وانما التزكية فيمن بذل المال في وجه البر كما قال فيمن وصف بذلك " وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى "(٢)

نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٣) ، وانفاقه ماله في ذات الله.

وكذلك قوله :

" انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون "(٤).

نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة (٥) ، وهذا المعنى سنذكره في باب الزهد ان شاء الله.

---

(١) في ظ ، خ : عن رذيلة.

(٢) سورة الليل الايتان ١٧ ـ ١٨.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره : ...حتى ان بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ... ثم قال : ولا شك انه داخل فيها واولى الامة بعمومها وان لفظها لفظ العموم ... ج ٤ ص ٥٦٢.

(٤) سورة المائدة الاية ٥٥.

(٥) اورد ابن كثير رحمه الله الاثار الوارده في هذا المعنى الذى ذهب اليه المؤلف من ان الاية نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم عقبها بقوله : وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف اسانيدها وجهالة رجالها ، وذكر ان الايات من قوله تعالى : يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء .. الى قوله " ومن يتولى الله ورسوله والذين امنوا فان حزب =

واعلم ان الوجود كله اذا نظرته وجدته متعبدا لله تعالى بالزكاة كما هو متعبد بجميع شرائع الاسلام لان الدين عند الله الاسلام ..

" .. وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها .. " (١)

وان نظرت الى الارض التى هى اقرب الاشياء اليك وجدتها تعطى اقرب الخلق اليها وهم الذين على ظهرها جميع بركاتها لا تبخل عليهم بشىء مما عندها فى فصول العام كلها وكذلك النبات يعطى ما عنده وجميع انواع الاشجار وكذلك الحيوان وكذلك البحر والسموات والافلاك والشمس والقمر والنجوم الكل متعاون بعضه مع بعض لا يدخر شيئا من قوته وما عنده فى طاعة الله لان الوجود كله بعضه الى بعض قد لزمه الفقر وشملته الحاجة فعطف بعضه على بعض وتعاونه فى طاعة الله واعطاء ما عنده هى (٢) زكاته دائما بدوام وجوده فمانع الزكاة قد خالف اهل السموات والارض وجميع الموجودات ولذلك وجب قتاله وقهره فانهم.

فهكذا شاهد الموقنون جميع ما دعت اليه الرسل بينا واضحا فى كل شىء وعاما فى جميع الموجودات ولذلك سماهم الله موقنين كما قال فى ابراهيم عليه السلام :

" وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين " (٣)

= الله هم الغالبون) المائدة (٥١ ـ ٥٦ : نزلت هذه الايات كلها فى عبادة ابن الصامت رضى الله عنه حين تبرأ من حلف اليهود ورضى بولاية الله ورسوله والمؤمنين ... تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٨ ـ ٧١.

(١) سورة آل عمران الاية ٨٣.   (٢) فى ظ : هو.

(٣) سورة الانعام الاية ٧٥.

الشعبة السابعة :

صوم رمضان :

أما كونه من شعب الاسلام (١) فدليله :

ما تقدم فى حديث جبريل عليه السلام

وروى طلحة بن عبيد الله :

أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال يارسول الله أخبرنى ماذا فرض الله على من الصلاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات الا ان تطوع شيئا قال فأخبرنى ماذا فرض الله على من الصيام فقال شهر رمضان الا ان تطوع شيئا قال فأخبرنى ماذا فرض الله على من الزكاة قال فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام قال والذى بعثك بالحق (٢) لا أتطوع شيئا ولا انقص مما فرض الله على شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح وأبيه ان صدق او دخل الجنة وأبيه ان صدق) (٣) .

---

(١) فى ط : الايمان

(٢) فى خ ت : والذى اكرمك بالحق

(٣) الحديث رواه البخارى فى كتاب الايمان باب الزكاة من الاسلام رقم الحديث ٤٦ ورواه مسلم فى كتاب الايمان الباب الثانى رقم الحديث ٨ وأبو داود فى كتاب الصلاة رقم الحديث ٣٩١ والنسائى ج ٤ ص ١٢٠ كتاب الصيام والموطأ فى كتاب قصر الصلاة باب جامع الترغيب فى الصلاة باب ٢٥ رقم الحديث ٩٧

وقد جمع العلماء رحمهم الله بين قوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث كما وردت به بعض الروايات : أفلح وأبيه ان صدق وبين النهى عن الحلف بالآباء :

وذلك من عدة وجوه :

فقيل : ان ذلك كان قبل النهى .

وفى الخبر :

((. . . اذا سلم رمضان سلمت السنة كلها)) (١) .

والتعبد به فى مقام الاسلام امساك الجسد عما يضاد الصوم من أول الفجر الى غروب الشمس وفروضه وسننه بينة ومشروحة فى كتب الفقه .

وأما وجه الحكمة فيه ومعنى التعبد به فى مقام الايمان والاحسان اللذين هما مقام النفس والروح بالنيه (٢) والحسبة لاجره على الله والصوم عن المنهيات (٣) الموجبة للعذاب فى عالم الايمان فيتذكر الأخرة ويصوم عما يوجب العذاب فى الدار (التى آمن بها) (٤) .

= وقيل : انها كلمة جارية على اللسان لا يقصد بها الحلف كما جرى على لسانهم عقرى حلقى وما أشبه ذلك

وقيل : ان فيه اضمار اسم الرب كأنه قال : ورب أبيه .

وقيل : هو خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم لأنَّ النهى عن الحلف بالأباء انما هو لخوف تعظيم غير الله وهو صلى الله عليه وسلم لا يتوهم فيه ذلك .

وقيل : غير ذلك

شرح الزرقانى ج ١ ص ٣٥٩

وانظر فتح البارى ج ١ ص ١٠٧

وجامع الاصول لابن الاثير ج ١ ص ٢٢٤

(١) ذكره الدارقطنى : وابن عدى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان وقال مؤلف فيض القدير : بعد ذكره الكتب التى أخرجته :

(ولما أورده ابن الجوزى فى الموضوع تعقبه المؤلف ـ يقصد السيوطى ـ بوروده من طرق ولا تخلو كلها عن كذاب أو متهم بالوضع)

راجع: كشف الخفاء ج ١ ص ٩١ رقم ٢٤٥

وفيض القدير شرح الجامع الصغير ج ١ ص ٣٧٧ رقم ٦٨٥

والحلية لابى نعيم ج ٧ ص ١٤٠

(٢) فى / ظ : فبالنية وهو الاصح

(٣) العبارة وردت فى خ هكذا : والروح بالبنية والجسميه لأجله جعل الله الصوم عن المنهيات . .

(٤) هكذا وردت فى ظ ، ت ولعله الصواب فأثبته أما فى غيرهما : فى الدار (الذى أمر به) .

فصــل :

وأما النعيم به (١) فى مقام الاحسان الروحانى العقلى فأن يتذكر أن الصمد الحق هو الذى يطعم ولا يطعم فيتصف به (٢) من ذلك المعنى على قدر طاقتــه لأن الصوم معناه الامساك عن الاسترسال فيما حظــــر على العبد وهو حفــظ الجوارح وزمها وامساكها فى أيام الصوم دون لياليه لأن الصوم لا يكون الا بالنهار فاذا دخل الليل وغابت الشمس ارسلـــت الجوارح فيما حظر عليها من المباح الى أن يلوح الفجــر ، وكذلك يصام لرؤية الهلال فى أول الشهر أيضا ويفطــر لرؤيته فى أول الشهر الثانى ، والمراد بهذا السر العظيم ان الليل غيبـــته والنهار حضور ، فالنهـــار آية وجود البارى ومشاهدته والليل آية على وجود الأغيار دونه كما قـــال النبى عليه السلام :

((ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم أفاض عليهم من نوره . . . . الحديث فمن أصابــه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل . . (٣) الى آخره))

---

(١) فى خ : وأما التعبد به وهو الأصح .

(٢) فى ظ ، ت : فيتصف بشىء من ذلك . وهو الأصح

(٣) ورد هذا الحديث من طرق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعـــت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : . . . . . . الحديث .
قال الحاكم فى المستدرك : هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة وقد احتجا الجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة . ج ٢ ص ٣٠ ، ٣١
وقد رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن رقم الحديث ٢٦٤٢
وأخرجه أحمد فى مسنده ٢ / ١٧٦ و ١٩٧ وقال الهيثمى فى مجمع الزوايد : رواه احمد باسنادين والبزار والطبرانى ورجال أحد اسنادى أحمد ثقـات ج ٧ ص ١٩٣ باب سبب الهداية وذكره الخطيب فى المشكاه وقال الألبانى فى تخريجه له : اسناده صحيح ج ١ ص ٣٧ رقم الحديث ١٠١
وانظر بيان معنى هذا الحديث وتأويل المتصوفة له فى فيض القدير ج ٢ ص ٢٢٠ رقم الحديث ١٧٣٣

والصوم وصف من أوصاف الربوبية لا يتصف به على الكمال الا اللــه كما قال :

(... وهو يطعم ولا يطعم ...) (١)

وكما ورد في الحديـــث :

(الصوم لي وأنا أجزى بـــه) (٢)

فأضافه الى نفسه أي لا يتصف به أحد الا الله لأنـــه الغنى عن الاكـــــل أبد الآبدين ودهر الداهرين والمنزه عن جميع الأغراض والشهـــــوات أزلا وأبدا ولا يتصف بهذا الا الله ومن سواه لابد له من اكل وغرض ملكـا كان أو غيره فالملئكة ومن اشبههم من المخلوقات طعامهم التسبيـــــح والاذكار وشرابهم المحبة الخالصة والمعارف والعلوم الصافيه من الأكدار ومن سواهم طعامهم (٣) وشرابهم مما يليق بهم في دار الدنيا وفي كـل دار وقد دعاهم (٤) البارى الى الاتصاف بأوصافه وتعبدهم بها علـــى

---

(١) سورة الانعام من الآية ١٤

(٢) هذا الجزء من حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما : البخارى كتاب الصوم باب فضل الصوم رقم الحديث ١٨٩٤ و ١٩٠٤ وفي غيرهذين الموضعين. ومسلم في كتاب الصوم أيضا باب فضل الصوم رقم ١١٥١ وهذا الوجه الذى ذكره المؤلف في معنى الحديث من أن الصوم وصف من أوصاف الربوبية لا يتصف به على الكمال الا الله هو أحد الوجوه العشرة التى أوردها العسقلاني في فتح البارى انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٤ ص ١٠٧ وانظرجامع الاصول ج ٩ ص ٤٥٤

(٣) الجملة من قوله (والاذكار ـ الى قوله ـ طعامهم : نقصت من : خ

(٤) في ت : وقد دعى البارى

قدر طاقتهم ووسعهم والصوم من أوصافه ومن أصعب الأشياء على النفوس لانه خلاف ما جبلوا عليه فان وجودهم لا يقوم الا بمادة بخلاف وجود البارى تعالى الغنى عن كل شيء ففرض الله الصوم على عباده لكسر شهوات النفوس وقطعا لأسباب الاسترقاق والتعبد للأشياء فانهم لو داموا على أغراضهم لاسترقتهم الأشياء واستعبدتهم وقطعتهم عن الله كل القطع فالصوم يقطع أسباب التعبد لغير الله ويورث الحرية من الرق للشهوات (والمشتهيات) (١) لأن المراد من الانسان أن يكون مالكا للاشياء وخليفة فيها لا أن تكون مالكة له لانه خليفة لله (٢) فى ملكه فاذا استغرق فى أغراضه وملكته فقد أقلب (٣) الحكمة وصير الفاعل مفعولا (٤) والأعلى أسفل كما قال تعالى :

(... أغير الله أبغيكم الـها وهو فضلكم على العالمين) (٥)

والهوى الـه معبود به استعبدت الأشياء (الخلق) (٦) فالصوم يورث قطع أسباب التعبد لغير الله وقد علم الله تعالى أن رمضان يغنى فى قطع ذلك اذا صامه الصائمون كما يجب ولذلك ورد فى الخبر :

((اذا سلم رمضان سلمت السنه كلها)) (٧)

---

(١) هكذا فى جميع النسخ الا " ع " ففيها " والمتشبهات

(٢) فى ت : خليفة الله وقد تقدم التعليق على عبارة المؤلف فى تأويله لمعنى الخليفه ص ٦٦ — ٦٧

(٣) فى ظ ، ت : فقد قلب الحكمة

(٤) فى خ : وصير الفاضل مفضولا بدل من الفاعل مفعولا وهو الأصح

(٥) سورة الأعراف الآيه ١٤٠

(٦) فى جميع النسخ : " للخلق " ما عدا خ ففيها الخلق ولعله الصواب فاثبته

(٧) تقدم تخريجه قريبا

ومن زاد زادت حريته ما لم يخرج الى ضرر بالنفس والعقل بل الكمال المحصن فى حق الانسان أن يملك الأشياء ولا تملكه ويسترقها بالخلافة ولا تسترقه فيتناول الشهوات فى أوقاتها ويضعها فى أماكنها وهذا هو وصف الربوبيه يتصرف فى ملكه بالتدبير ولا يشغله بل يملكه كل الملك ويقهره كل القهر .

والمراد بالصوم الاتصاف بذلك الخلق على قدر طاقة الانسان وهو الوقوف عن تناول أغراض النفوس ليستغنى عنها بنفسه كما ورد :

((ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس)) (١)

ولما لم يكن له ذلك على الكمال كما هو للبارى لم يكن له بد من تناول ما يحتاج اليه فشهود الأشياء بغيبة منشيها (٢) واحتجابه فى غيب غيبه ليل وتناولها فطر لانه سكون اليها كما قال تعالى :

(هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) (٣) .

وظهوره للاشياء والاكوان بما يلوح من أنوار تجليه نهار والوقوف معه والامساك صوم ما دام النهار فاذا ردهم اليهم وعليهم فقد غيبهم عنه رحمة منه بهم لانه لا يطيق الدوام على تلك الحال الا هو الغنى الصمد

---

(١) الحديث رواه البخارى فى كتاب الرقاق باب الغنى غنى النفس رقم الحديث ٦٤٤٦ ورواه مسلم فى كتاب الزكاة باب ليس الغنى عن كثرة العرض رقم الحديث ١٠٥١ ورواه الترمذى فى كتاب الزهد رقم الحديث ٢٣٧٣ وابن ماجه فى كتاب الزهد باب القناعه رقم ٤١٣٧ وأحمد فى مسنده ج ٢ ص ٢٤٣ ، ٢٦١ وفى غير هذين الموضعين .

(٢) فى ظ ورد بعد كلمة منشيها كلمة " نهار " وأظنها زيدت خطأ

(٣) سورة يونس من آية ٦٧

الذى لم يلد ولم يولد فهكذا دأبهم فى كل سنة مع ما فى أوقات الصلوات من الخروج عن الأشياء أيضا اليه والحج وغيره من المفروضات اذا اديت على الكمال أورثت الحرية الكاملة ولو لم يكن ذلك لما فرضه الله لأن رضاه (١) فى فرائضه وانما التقصير فى الفرائض هو الذى ملك النفوس ونكس الرؤس الا ترى أن الخصوص قالوا :

انما الصوم الحقيقى امساك الجوارح عن النهى

وقال أبو الدرداء (٢) :

((يا حبذا نوم (٣) الاكياس وفطرهم كيف يعيبون (٤) صوم الحمقى وصبرهم)) (٥)

---

(١) فى ظ ،ت : لأن رضى الله

(٢) ترجمه : هو الصحابى الجليل عويمر بن زيد وقيل ابن عامر وقيل ابن مالك وغير ذلك ــ الانصارى الخزرجى كان قبل البعثه تاجرا بالمدينه ثم انقطع للعباده واشتهر بالشجاعه فى الاسلام قيل انه شهد أحدا وقد شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيره ولاه معاوية بأمر من عمر بن الخطاب قضاء دمشق . لقب بحكيم هذه الأمة وكان سيد القراء بدمشق وهو معدود فيمن جمع القرآن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث مات بالشام سنه احدى وثلاثين :
انظر : سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٣٥ رقم الترجمه ٦٨
صفة الصفوة ج ١ ص ٢٢٧ رقم الترجمة ٧٦
الحليه ج ١ ص ٢٠٨ رقم الترجمه ٣٥

(٣) فى خ بدل نوم : صوم

(٤) فى ظ : يغبنون

(٥) فى ظ ،خ ،ت ، وسهرهم وقد ورد الأثر فى الحلية ج ١ ص ٢١١ هكذا :
((يا حبذا نوم الاكياس وافطارهم كيف يعيبون سهر الحمقى وصيامهم؟ ..))

وكذلك ورد في الخبر :

((ان الغيبة والكذب يفسدان الصوم والنظر بشهوة)) (١)

الى غير ذلك مما ورد في الأخبار .

فلو أن الفرائض أتى بها على حسب الأمر لكان فيها رضى الله عز وجل وغاية الدرجات ولذلك استحببت كثرة النوافل لانها جبر لنقصان الفرائض كما ورد في الأخبار واذا فهمت هذا علمت أن فطام النفس عن الدنيا والمنهيات هو الصوم الحقيقي لمن لاحت له أنوار الاستهلال من اليقين بالله والدار الآخرة فصام لرؤية ذلك مدة الحياة الدنيا وافطر عند الله لرؤيته وذلك يوم عيده لاستهلال (هلال) (٢) آخر عند خروجه من الدنيا الى الآخرة وهكذا دأبهم (٣) في الجنة جزاء على ما استعبدوا عليه في الدنيا اذا كانوا مع الله بالمشاهدة وقفوا بأغراضهم (٤) شبيها بأيام رمضان واداء الفرائض . واذا أشهدهم الجنان كانوا مع الحور العين والأكل وغير ذلك شبيها بلياليه وبخروجهم (٥) من الفرائض الى المباحات وتنقلهم أيضا من درجة الى درجة اخرى فطر في تلك الدرجة لأنهم لم يذوقوها (٦) بعد .

---

(١) أورده السيوطي في كتابه اللآلي عن أنس مرفوعا وفي سنده سعيد بن عنبسه وقال السيوطي :سعيد كذاب والثلاثه فوقه مجروحون ص ١٠٦ ج ٢ وكذا ذكره الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعه ونقل قول بعضهم أن هذا حديث كذب ج ٢ ص١٤٧

(٢) كلمة هلال وردت في ظ ،ت

(٣) في ظ ،ت : وهكذا مأبهم

(٤) في ظ : وقفوا عن أغراضهم وفي خ : وقفوا على أغراضهم

(٥) في ظ : ولخروجهم

(٦) في ظ : لم يرزقوها بعد

هكذا يصومون لرؤيته ويفطرون لرؤيته . من الله علينا بالحرية الكاملـــه والكرامة الدائمة بمنه وفضله آمين .

واعلم ان اعتبار الصوم في الوجود كله عام (١) قد شمل الموجودات كلها ان الصوم هو الامساك (والتقيد عن الخروج من وضيفه ما قيد به كـــل موجود وهذا اذا نظرت الموجودات كلها وجدت كل واحد منها قد لـــزم ما قيد به وأمر به فترى الثقيل قد امتسك مقامه ولا ينتقل) (٢) والخفيــف لا يصعد عن مقامه وكل شيء مزموم بزمام الأمر وممسوك بامساك الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا وذلك كله صيام في حق كل موجود :

(... وله اسلم من فى السموات والأرض ..) (٣)

(ان الدين عند الله الاســـلام ......) (٤)

(ومن يبتـــغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ..) (٥)

لأنه دين الله الذى افترضه على جميع خليقتـــه (٦) .

---

(١) في خ : ان اعتبار الصوم "عام" في الوجود كله .

(٢) ما بين القوسين سقط من خ .

(٣) سورة آل عمران من الآية "٨٣"

(٤) سورة آل عمران من الآية "١٩"

(٥) سورة آل عمران من الآية "٨٥"

(٦) في خ : جميع خلقـــه .

فصوم العالم ضبط نفسه وامساكه ذاته على الانحياز الى باريه وتقبضه عن أن يسترقه شيء غير الله وهذا اذا نظرته بحقيقة النظر وجدته عاما في جميع جواهر العالم كله كونا وشرعا وحالا ومقالا الا الثقلين فانهم خالفوه شرعا لا كونا ولهذا المعنى ورد في الأخبار أن لله في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار (١) . لانقطاع أسباب الهوى الذى (٢) استرقت الخلق الا ماشاء الله .

---

(١) ورد في سنن الترمذى كتاب الصوم رقم الحديث "٦٨٢" وكذا في سنن ابن ماجه حديث رقم "١٦٤٢" وفيه (... ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة)

(٢) في ظ : التى

الشعبة الثانية : الحج :

فأما كونها من شعب الاسلام فما تقدم من حديث جبريل عليه السلام دليل عليه وغيره من الأحاديث ، وقوله :

((من مات ولم يحج ولم يحدث نفسه بحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا)) (١)

وفرضه مرة واحدة في العمر مع وجود الاستطاعة .

وله فرائض وسنن واسرار كثيرة لانه ركن عظيم من أركان الدين ولا بد من وصف كيفية العمل فيه ظاهرا وننبه على أسراره في كل عمل

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الحج باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج رقم الحديث ٨١٢ وهو عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا . . . . . .الحديث .

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال .

وقال محقق جامع الأصول ج ٣ ص ٦ رقم ١٢٦٩ في تخريجه للحديث : (. . وقد ذكر الحديث الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وقال العقيلي والدارقطني لا يصح فيه شيء وللحديث طرق كلها ضعيفه ذكر بعضها الحافظ في (التلخيص) ومنها مرسل ابن سابط ثم قال : وله طريق صحيحة الا أنها موقوفة رواه سعيد بن منصور والبيهقي عن عمر بن الخطاب (وذكرهما) ثم قال ابن حجر : واذا انضم هذا الموقوف الى مرسل ابن سابط علم ان لهذا الحديث أصلا ، ومحمله على من استحل الترك وتبين بذلك خطأ من ادعى انه موضوع والله اعلم) أ . هـ

وقد أول قوله : يموت يهوديا او نصرانيا : على الاستحلال كما تقدم أو على سبيل التغليظ والتنفير والتحريض على المبادرة الى اداء الفرض أو انه على سبيل التمثيل لأن اليهودي والنصراني لا يحج فمن مات ولم يحج كان كاليهودي والنصراني .

انظر : اللآلي للسيوطي ج ٢ ص ١١٨ وتنزيه الشريعه لابن عراق ج٢ ص١٦٧

من أعماله وموقف من مواقفه عند ذكر أعماله الظاهرة ليرتبط الظاهر الـذى هو مقام الاسلام بالباطن الذى هو مقام الايمان (وبالحسن) (١)الباطن الذى هو مقام الاحسان والنفس والروح ... (٢) ان شاء اللــه .

فأول ما يجب ان تفهم ان البيت مكة أعزها الله ببطن واد كما وضعه الله :

(.... ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم..) (٣)

و: (.... بواد غير ذى زرع ...) (٤)

والبطن ممـا يخفى فلا يظهر وكذلك الوادى ما انخفض من الأرض والبلاد محيطة به من جميع النواحي من المشرق والمغرب والجنوب والشمـــال وله أربعة اركان :

الركن اليماني منه يلى جهة اليمن والقطب اليماني .

والركن (الشامى) (٥) يلى جهة الشام

والعراقى يلى (جهة (٦) المشرق من طلوع الفلك .

والركن الرابع يلي جهة المغرب حيث يغرب الفلك ،

وأعلاه يلى البيت المعمور فى السموات ،

---

(١) هكذا ورد فى ظ ،ت وفى ع : بالحــج

(٢) اثبتت ع هنا كلمة " بالباطن " ولا أجد لها معنى هنا فحذفتها ولم تذكر فى النسخ الأخرى .

(٣) سورة الفتح من الآية ٢٤

(٤) سورة ابراهيم من الآية ٣٧

(٥) هكذا فى جميع النسخ ما عدا ع ففيها " الشمالي "

(٦) وردت كلمة جهة فى ظ

وكذلك القلب في باطن الانسان في خفية (شبيها) (١) بمكة التي هي بواد وببطن مكة يمينه يلي جهة ملائكة اليمين التي هي الجنة (ومواطن) (٢) اليمن والبركة وشماله يلي جهة ملائكة الشمال الغلاظ الشداد الذين هم خدمة قبضة الشمال وهي النار ، والركن الآخر يلي جهة الدنيا شبيها بالركن العراقي من جهة المشرق كما قال النبي عليه السلام :

((الفتنة ها هنا واشار الى جهة المشرق)) (٣)

وباب الكعبة في ناحية العراق وكذلك باب القلب مما يلي الدنيا من جوارحه لأن من جهة الدنيا تظهر الظواهر كلها وتطلع بالايجاد في عالم الدنيا .

والركن الرابع مما يلي الأقدار السابقة واللوح المحفوظ والقضايا الواردة عليه من الأزل القديم لأن ما يرد عليه من هذه الجهة مغيب عنه شبيهها بالمغرب التي (٤) تغرب فيه الأفلاك وجميع الحركات ، وأعلى القلب يلي جهة العرش وهو موضع نظر الله تعالى .

---

(١) هكذا في جميع النسخ ما عدا ع ففيها " شبيهة "

(٢) هكذا في جميع النسخ ما عدا ع ففيها " وبواطن "

(٣) اخرجه البخاري في كتاب الطلاق باب الاشارة في الطلاق والأمور رقم الحديث ٥٢٩٦ وفي كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة من قبل المشرق رقم ٧٠٩٢ و ٧٠٩٣ واخرجه مسلم في كتاب الفتن باب الفتنه من المشرق .. رقم الحديث ٢٩٠٥ واخرجه مالك في الموطأ كتاب الاستئذان باب ما جاء في المشرق رقم الحديث ٢٩ وأحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٣ ، ٩٢ ، ١١١ ، ١٢١

(٤) في ظ : الذي

ومثل الحرم الدائر المحيط بالبيت مثل ما أحاط بالقلب من تجويف الجسد ومثل تحريم الحرم حول البيت ان لا يقطع شجرة ولا ينفر صيده مثل تحريم دمه وعرضه وكل شيء منه من أجل قلبه الذى هو محل الايمان وكذلك حرم مكة انما حرم وعظم من أجل بيت الله وكما أن الحرم لا يأوى صاحب خربة (١) بل تقام فيه الحدود كذلك لا حرمة لمن أمر الشرع بأخذ الحقوق منه بأى وجه كانت ، ومثل احاطة آفاق السموات كلها من جميع الجهات بالبيت مثل احاطة عالم الملكوت بالقلب فى الغيب .

ومثل ارتفاع الجبال على مكة فى (نواحيها) (٢) كلها مثل الجبلات والغرايز الحسنه التى جبله الله عليها .

وفيه بئرزمزم يستخرج ماؤه بالدلاء وهو ماء مختزن فى محله لا ينال الا بالاستقاء والأسباب وهو مثال (٣) علم الشرع الظاهر لا ينال الا باسباب الطلب وفى ظاهره شبه (٤) زعاق (٥) وهو مثل (لصعوبة) (٦) العلم على النفوس.

---

(١) ورد فى حاشية صحيح مسلم بشرح النووى بتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي الخربة : هى بفتح الخاء واسكان الراء هذا هو المشهور ،وقيل بضم الخاء أيضا حكاه القاضى وصاحب المطالع وآخرون .
وأصلها سرقه الابل ويطلق على كل جناية قال الخليل هى الفساد فى الدين من الخارب وهو اللص المفسد فى الأرض ج ٢ ص ٩٨٨
وانظر فتح البارى المجلد الرابع ص ٤٤ — ٤٥ ومشارق الأنوار للقاضى غياض الجزء الأول مادة " خرب " ص ٢٣١

(٢) هكذا فى خ وهو الصواب وفى ع فى نواحيه كلها .

(٣) فى خ : وهو مثل

(٤) فى ظ : " يشبه "

(٥) الزعاق : الماء المر الغليظ الذى لا يطاق شربه من أجوجته .
راجع : تهذيب اللغه مادة زعق

(٦) هكذا فى جميع النسخ ما عدا ع ففيها " بصعوبة " .

وماء زمزم لما شرب له ، وكذلك العلم لما نوى طالبه به (وزم) العلم فـي خزانة الحفظ عند حاطيه والوعاء شبيه بحفظ ماء زمزم وحفظه بأيـــدى أهل السقاية الذين يسقون الحاج .

وفي جدار البيت الحجر الأسود مبنى فيه مثاله : سويداء القلب وفيـه يكون الوجد والمواجيد التي تظهر بتأثير يدى (١) القدرة الأزليـة ، والوجـد عبارة عن تقبيل اليد ، ومثل مواطن الحج ومواقفه مثل منـازل ومقامات تحلها النفوس والأرواح والعقول والأسرار والخواطر والارادات ـ والحواس والهمم الطائفون في الملكوت (٢) المحيط بالقلب والكعبة بيت الله في الأرض ، وكذلك القلب بيت الله على الحقيقة لأن بيت مكة لا يسعه :

((لم تسعنى أرضى ولا سمائي ووسعنى قلب عبدى المؤمن)) (٣)

ودعى الله الناس الى الحج وفرضه عليهم بشرط الاستطاعة .

ومعنى الحج في اللغة : القصد الى المحجوج له والزيارة له في مواطنـه كما قيل :

كانت العرب تحج الى النعمان وهو ملكها اى تقصده لقضاء حوائجهـا وهو مشتق من المحجة التي يقطعها الحاج في طريق زيارته وقصـده الى بيت الله الحرام وكذلك جملة أسرار الانسان نوديت بالقصد الى اللـه في (القلوب) (٤) وفيها يوجد كما ورد :

---

(١) كلمة " يدى " لم تذكر في ت

(٢) في ظ . ١٠ بالملكوت "

(٣) تقدم ص ١٨٩ وذكرت كلام ابن تيميه فيه وأنه ليس له سند وأن من قال ان ذات الله تحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى ..

وانظر ايضا منهاج السنه النبوية جـ ٣ ص ٩٥

(٤) هكذا في جميع النسخ ما عدا ع ففيها : في القلـب

((اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى)) (١)

وأمر أبراهيم عليه السلام بتطهيره للطائفين والعاكفين (والركع السجود) (٢)

وكذلك فعل نبينا عليه السلام حين دخله عنوة على المشركين طهره من

الأوثان والأصنام وأرجاس الجاهلية عام الفتح حين فتح الله عليه مكة كذلك

اذا فتح الله على الانسان قلبه بالنصر على ابليس ، وصفات الجهل ودقائق

الشرك طهره من التماثيل التى تمثلت فى القلوب وعكفت عليها النفوس التى

توهمت أنها تضر وتنفع ، وقيل ان الحجر الأسود أسود من أيدى المشركين

وكذلك سويداء القلب بخواطر الشرك والجهل ونزعات (٣) الشيطان ومثل (٤)

كون الناس فى أمصار البلاد وغيبتهم عن البيت مثل غيبة أسرار العبد وتصرفها

فى عالم الدنيا والمباح ومثل ترك الأوطان والقصد الى مكة للحج مثل خروج

أسرار العبد من الدنيا الى الله وهو الحج الأكبر على الحقيقة لمن أعطيه ،

فأول أمور الحج قطع الطريق الى البيت ومثله قطع منازل السلوك الى الله

وما يلقى فى الطريق من المخاوف والأهوال والتحسير مثل ما يلقى فى طريق

الله من الوسواس والمكابده ونحو ذلك لمن سهل الله عليه الطريق الى الوصول

---

(١) كلمة " من أجلى " لم ترد فى خ وروى هذا عن وهب بن منبه قال :

وقال داود : الهي أين أجدك اذا ما طلبتك قال : عند المنكسرة قلوبهم من مخافتى

انظر : صفة الصفوة لابن الجوزى جـ ٢ ص ٢٩٣

(٢) جملة " والركع السجود " وردت فى ت

(٣) فى ك : ونوازع الشياطين وفى خ نزعات

(٤) فى خ فمثل

اليه ، ومثل وصوله (الى) (١) الميقات وتركه الأوطان وراء ظهره مثــــل وصول أسرار العبد الى الاشراف على استنشاق روائح الملكوت فيرى أمور الدنيا وراء ظهره بترك المبالاة بها (٢) . وأول ما يعمل الحاج فــي الميقات التجرد من ثياب المخيط ، وكذلك مثالــه في الأسرار (٣)التجرد من الالتباس (٤) بما يشغل عن الدخول في طريقه أهل السير (٥)الى الله تعالى في منازل (أهل) (٦) السلوك .

ثم بعد ذلك الغسل للاحرام ومثاله : التطهر من أوساخ العلل الملوثــة له في دار الدنيا ليتأهب للوصول مطهر (٧) السر ،

ثم بعد ذلك لبس أثواب (٨) الاحرام وهو مثال للابس (٩) الأســــرار لأسباب الزهــد ثم (بعده صلاة) ركعتين) (١٠) وهو مثال التــــزام الذل والتواضع في طريق الله لمن دخلها وترك الكبر (١١) لأنه لا يليــق بطريق الله ،

---

(١) حرف الجر " الى " مثبت في جميع النسخ ما عدا ع

(٢) في خ لها

(٣) في بقية النسخ للأسرار

(٤) في ظ : من التلبـــس

(٥) في ت : اهل المسير

(٦) كلمة " أهل " وردت في ت

(٧) في خ : للمطهر الســر

(٨) في بقية النسخ ثياب وكلاهما يصح

(٩) في بقية النسخ : للبس

(١٠) هكذا في ظ وفي خ ، ت : ثم صلاة ركعتين وفي ع : ثم صلى ركعتين

(١١) في ظ : التكبـــر

ثم بعد ذلك عقد الاحرام والدخول فية بالنية ومثاله للاسرار الالتزام للازم طريق الله (١) لأن من دخل طريقا التزم أموره بالعزم والحـزم .
ثم بعد ذلك التلبية ومعناه أن الله تعالى دعى الخلق اليه والاعراض (٢) عن غيره فاجابته لبيك اللهم لبيك اجابة لدعوة الله ومعنى رفع الصوت بها لأن العبد فى محل الغيبة لم يصل بعد الى الله فرفع (٣) الصـوت بالتلبيه والاستجابة له (٤) :

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول . . .) (٥) الآية .

ومعنى رفع الصوت بها "اشغال" للقواطع الشاغلة كى لا تصده فى طريـق الله لا ليسمعه تعالى فان الله ليس بأصم ولا غائـب .
ثم ترك الصيد وقتله ومثاله ترك الحيل فى أخذ الدنيا وصيدها بالديـن ولذلك أمر بالزاد فى الحج :

(. . . وتزودوا فان خير الزاد التقوى . . . .) (٦)

ثم ترك التطيب والرفاهية وهو مثال ترك الاسراف والانحلال من لـوازم طريق الله والركون الى خدع النفوس بركوب المحظور المحرم ومن واقع شيئـا من ذلك فى الحج لزمه (٧) الفدية والجزاء ومثاله فى طريق الله معاقبـة النفوس بالتوبة ورد المظالم والاقلاع . (ثم) (٨) لا يزال كذلك سالكـا

---

(١) فى ظ : الالتزام لملازمة . . وفى ت : " التزام لملازمه . . . "
(٢) فى خ : وللاعراض
(٣) فى ت : فيرفـع
(٤) فى خ : فرفع الصوت . . هي الاستجابه لـه . .
(٥) سورة الأنفال آية ٢٤
(٦) سورة البقرة من آية ١٩٧
(٧) فى ظ : لزمتـه
(٨) هكذا ورد فى جميع النسخ ما عدا ع ففيها لم يذكر حرف العطف " ثم "

طريقه حتى يدخل مكـه فيغتسل اغتسالا آخر لدخوله مكه وهو مستحـب وهو مثال لأخذ الأهبة من أجل الاحساس بقرب المرور فاذا دخل مكـة دخـل من موضع يقال له كداء ومعناه الكدا (١) عند مشاهدة المواطـن الملكوتية فاذا دخل مكـة أمسك عن التلبية لأنه استشعر السر الحضور (٢) حين حل بساحة الملك، اذ ليس من الأدب رفع الصوت مع الكبراء بحضرتهم ولان حضوره يقطع عنه الشواغل التى توجب له رفع الصوت فى محل الغيبة، ثم بعد ذلك يمشى الى البيت ويبدأ بالحجر الأسود يقبله ومثاله :

أن من دخل على ملك من الملوك أول ما يسرع الى تقبيل يده (٣) وهـذا فى سويداء القلب أبين لأنه بين اصبعين من أصابع الرحمن وفيه تبدو أيادى المواهب وأثار يد القدرة الأزلية فى محـل أسرار الغيب ثم يطوف الجسـد بالبيت ومثاله فى القلب جولان الأسرار فى عالم الملكوت حول العرش ويبـدأ الطائف بالحجر ثم يعود اليه أبدا ومن الصحابة وكثير من العلماء مـن يستلم الركن اليمانى وغيره وقد استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن اليمانى أيضا فمن استلم الأركان ولم يقتصر على الحجر أشار الى أنه يتعلق ويركن اليه بسره فى كل شىء وينبسط بالاقبال والهش اليه ومن اقتصـر على الركن كان السر أشار (الى التعزير والتوقير) (٤) كما يصنع من يقبل بيد الملك (٥) اذا دخل عليه (٦) ثم يحف به ويطوف حولـه ولا يقربـه تعزيرا وتوقيرا واجلالا (٧) حتى يعود اليه مرة اخرى .

---

(١) فى تهذيب اللغة للأزهرى ورد قوله : يقال : اكدى أى ألح فى المسألة

(٢) فى خ : " بالحضور"

(٣) فى خ : يديـه

(٤) فى ظ وردت العبارة هكذا : ومن اقتصر على الركن اشار الى ان العتزيروالتوقير

(٥) فى ظ ،خ : يقبل يد الملك

(٦) فى خ : دخل اليـه

(٧) كلمة " توقيرا " لم تذكر فى ت وكلمة " اجلالا " لم تذكر فى خ

وصفة الطواف : ثلاثه خببا وأربعة مشيا مثاله فى السر اذا شاهد من صافح بيمينه استفرغ الجهد بوقار (فى الحف بـه) (١) لما خالطه من الوله ، ثم (كلما مضى) (٢) يستأنس بتسكين الله بما يوجده من السكينه واللطف والطمأنينة والرحمة فيثقل بما يرد عليه من الرحمة ورد فى الخبر :

((ان الطائف بالبيت يخوض فى الرحمة)) (٣)

ثم يتنحى الى مقام ابراهيم فيصلى فيه ركعتين مثله (٤) ان السر حين صافح سبحات اليد تخللت مودته أسراره وبرأ همه بتوصيله الى مقام من الخلة (٥) فتواضع وسجد وذل شكرا له على انزاله تلك المنزلة وتوصيله اليها (٦) .
ثم يرجع الى الحجر الأسود فيقبله كذلك السر يرجع الى اليد فيقبله تقبيل رؤية المنة التى أنزلته منزلة الخلة واليقين ، ومن رأى المنة وقبلها فقد رأى يد الذى امتن عليه وقبله .
ثم يخرج الى الصفا للدعاء كذلك السر اذا نزل المقام المتقدم وشاهد المنه بتقبيل اليد خرج من ذلك الى ربه بتركه الدعوى (٧) وبالفقر من جميع الأحوال

---

(١) فى ظ ، ت : فى الحف به وفى خ : فى الحث به وفى ع : فى الحب به والصواب الأول .

(٢) هكذا ورد فى ت . وفى خ ورد : " ثم ما مضى " وفى ع : " ثم مضى " والصواب ما اثبته فى الصلب .

(٣) ورد هذا المعنى فى حديث اخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب المناسك باب فضل الطواف رقم الحديث ٢٩٥٧ وفيه :
(... ومن طاف فتكلم وهو فى تلك الحال خاض فى الرحمة برجليه ..)

(٤) بقية النسخ : مثاله

(٥) فى خ ، ت : الى مقام الخلة

(٦) فى ظ ، ت : توصيله اياها

(٧) فى ت : بترك الدعوى

فيصفى قلبه من دقائق الشرك الخفى واضافة الأشياء الى نفسه ثـم يسرع فى المسير الى المروة فيقف عليها مثاله أن السر صعد عن الأشياء بخروجه منها وارتقى بترقيه على الصفا ، ومنها هرب أيضا من صفاء سره أن يراه لنفسه مقاما أو يرى أنه وصل اليه بصفائه (١) فيفر الى المروة اذ ليس من المروءه أن يرى شيئا من الأشياء باستحقاق أو يدعى بحضرة مالكه وواهبه (٢) بل ذلك قبيح فيفر حين يرى ذلك قبيحا الى المروة ثم يفر أيضا (من المروة الى الصفا) (٣) فيصفى سره منهـا ذاهبا وراجعا يفر من نعوت رسومه وصفاء أحواله حتى يخرج منها فان كان معتمرا حلق أو قصر وان كان حاجا بقى على احرامه وسيأتى الحلق فى موضعه ان شاء الله ، وعند ذلك تمت وظائف القدوم ويسمى هذا لقدوم طواف القدوم الخلق على البيت وقدوم السر على القديم الذى تقدم اليه بنعمه واستنزله فى جواره حتى خرج من الأشياء اليه (٤) ويسمى أهل مكة جيران الله لانهم سكنوا بيته كذلك الأسرار اذا قدمت عليه وتمت وظائف قدومها لم تسكن لأحد (٥) الا الى الله (٦) كما قال القائل :

((طلبت لنفسى موضعا فى الملكوت فلم أجد (أحدا) (٧) فضربت خيمتى بازاء العرش))

فهذا مثال النزول بمكة حتى يخرج منها الى عرفات .

---

(١) فى ت : بصفاته

(٢) فى ت : مالكها وواهبها

(٣) كذا ورد فى ظ ،ت أما ع ،خ ففيها من مرؤته

(٤) فى خ : من الأشياء الى مكة ويسمى . . .

(٥) فى ظ : الى أحد

(٦) فى خ : الا اليه

(٧) كلمة " أحدا " وردت فى ت

ثم يخرجون من مكة الى عرفات ، كذلك الأسرار اذا حلت بجوار الله استدعاها للعرض عليه لتعريف مالها وعليها فتذكرت ما سلف لها فبتذكره (١) خرجت عن قرب (٢) الجوار الى مشاهدة ما سلف لها .

وعرفة أعظم مواقف الحج لأنه عرض على الله ووقوف بين يديه وينزلون في طريقهم بموضع يقال له خيف بني كنانه في منى حيث نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قبل عرفة مثاله أن الأسرار اذا تهيأت للعرض على الله اعترضها في الطريق الخوف منه لابد ولا محالة لكن الخيف ، محله في منى كذلك الأسرار اذا خافت (٣) لم تقنط وتمنت على الله بحسن الظن عظيم المغفرة والوسائل .

ثم يدخلون (٤) الى عرفة كذلك الأسرار اذا حلت بمقام الخوف وحسن الظن بالتمنى (٥) عليه والرجاء فيه لاح له معرفة (٦) الله بما هو له أهل فلا يزال متوجها حتى ينزل بها فينزلون بعرفة وينتظرون زوال — الشمس للوقوف شبيها بانتظار الأسرار حين حلت بمعرفة الله بالخوف والرجاء بما يرد (٧) عليها منه فاذا زالت الشمس أخذ الامام في الخطبة ومثاله في السر الانذار لمجيء (٨) تجلي الملك الديان ليتأهبوا لقدومه عليهم ويعلمهم الأدب بين يديه وكيف يقفون له بالاجلال والتعظيم ،

---

(١) في بقية النسخ : فبتذكرها

(٢) في ت : من قرب

(٣) في ت : اذا خافته

(٤) في خ : حتى يدخلون الى عرفة وفي ت : ثم يرحلون

(٥) في ت : بالمنى

(٦) في خ : معرفته

(٧) في بقية النسخ لما يرد

(٨) في ظ ، ت : بمجيء

ثم يأخذون في الصلاة بعد الخطبة وكذلك السر اذا تجلى له ظهور الملك خضع وسجد لجلاله وهي صلاة تحية لتجليه الا أنها مفروضة لأنه لم يظهر لهم الا في وقت فرضه الواجب له عليهم لأنه موطن (١) عرض ومحاسبة فلا يقدم أحد على الهدية التي هي النافلة لهيبة العرض والحساب ، ويقدمون العصر الى الظهر ويجمعونهما لأن من قدم بين يدى الله سبحانه للمحاسبة والعرض لا ينشب نفسه في المحاسبة وطلب الخلاص ثم يقطعه (٢) بين يدى ملك الملوك فلم تكن الحكمة الا في جمع الصلاتين لهذه العلة ،فاذا تمت الصلاة أخذوا في الوقوف والدعاء والاقرار بالذنوب الى غروب الشمس كذلك الأسرار اذا عرفها الله في مقام مشاهدة (٣) تجلى مالها وما عليها وما عمل في حقه وما واقع العبد في عمره كله حتى لا يبقى شيء من مخبآته الا تذكرها السر في ذلك المقام فيقر بها لباريه فلا يزال يدعو ويتضرع حتى يجد أثار سمح البارى تعالى وكريم صفحه وكثيف ستره فيجد آثار معنى ما أوحى الله الى ملئكته (٤) في يوم عرفه ، ورد أنه يشرف على أهل عرفة فينظر اليهم فيقول لملئكته : ((... انظروا الى عبيدى شعثا غبرا ...)) الحديث الى آخره (٥) فاذا غابت الشمس نفروا الى مزدلفة وذلك اشارة في السر الى غيبة حرارة

---

(١) في خ موضع

(٢) في خ ثم يقطع

(٣) في ظ في مقام المشاهده

(٤) في ظ ،ت : لملئكته

(٥) اخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٢٤و٣٠٥
واخرج نحوه الهيثمي في مجمع الزوايد ج ٣ ص ٢٥٧ باب فضيلة الوقوف بعرفه والمزدلفه .

المحاسبة والعرض على الأسراروالأرواح والنفوس ووجد الفرح بغيبة ضوء كشف العورات فيه ومخبئات النفوس فاذا أسبل الليل عليهم البتة البسة الأسرار أردية الستر الكثيف للقبائح وتغفرت بمغافر المغفرة فيتوجهون الى مزدلفة ويصلون (بها) (١) المغرب والعشاء بعد مغيب الشفق لأنه حينئذ يتم (ذهاب) (٢) ضوء الشمس بالكلية ويذهب حرها وكذلك بكمال التباس الستر الكثيف ووجود برد العفو يصل العبد الى منازل الزلف والزلفى من الله وكذلك الحاج يصل الى مزدلفة بعد ذهاب الشفق فاذا وصلوا مزدلفة جمعوا بين الصلاتين لأنهم حينئذ كمل تطهرهم عن المخالفات بزوال جميع حرارة تعب الكد والتعب (من ثقل المحاسبة فكانت السنة تأخير صلاة المغرب وجمعها مع العشاء) (٣) لهذه اللطيفة لتكون الصلاة بعد كمال الطهارة وفراغ السر من الكد والتعب) (٤) الذى تقدم ذكره ولذلك يغتسل الحاج بالمزدلفة وهو من الأغسال المستحبة فى (أغسال الحج) (٥) وهذا الغسل تأهب لنزول منزلة الزلفى والزلفى منزلة رفيعة من القرب :

(وما أموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ...) (٦)

---

(١) كلمة (بها) وردت فى بقية النسخ
(٢) كلمة لابد منها لاستقامة المعنى
(٣) فى ظ : العشاء الآخرة
(٤) ما بين القوسين من قوله من ثقل ــ الى قوله من الكد والتعب : لم تذكر فى ت
(٥) هكذا وردت فى ظ ت وفى :خ :أعمال الحج
(٦) سورة سبأ آيه ٣٧

ثم يبيتون بالمزدلفة طول ليلتهم فاذا لاح الفجر صلوا الصبح ثم يقفون بالمشعر الحرام الى قرب طلوع الشمس (١)، كذلك الأسرار اذا ظهرت ونزلت محل القرب ووجدت برد العفو والتبست (باردية [٢]) الستر نظرت شزرا بشعورها الى محارم الله وذكرته عند أمره ونهيه وهذا الذكر من أفضل الأذكار اعني ذكر الله عند أمره ونهيه اذا ذكرت الأسرار أمره ونهيه شعرت بالمحارم والنواهي فهو ذكر في محل شعورها كي لا تتدنس بعد التطهير فلهذا كان الوقوف بالمشعر الحرام بعد المزدلفة ثم يدفع الحاج الى منى ويسرع ببطن محسر ومثاله أن الأسرار اذا تذكرت بالمشعر الحرام أمر الله ونهيه في محل شعورها نفرت عن ذلك وهربت عن أن تقع فيها أعني الحرمات (٣) شبيها ببطن محسن الذى يسرع الحاج المشى فيه لأن السر يتذكر المحارم فينفر (٤) عنها ويتحسر على ما واقع(٥)منها ثم يرم الحاج جمرة العقبة من أسفلها لان موضع الحسرات في السر سفل وأما رميه جمرة العقبة بعد هروبه من المشعر وخروجه من بطن محسر فمثاله أن السر اذا شعر بذكر المحارم وهرب منها وتحسر عليها تذكر الذى أوقعه في المخالفات فرآه بسره وهو ابليس لأنه مع المحارم لا يفارقها أعني ابليس ، وعند رؤية السرابليس يوسوس ابليس اليه ويذكره الرجوع اليها فيرجمه رجما بالغيب برد وساوسه عليه التي هي جمرات من جمرات جهنم فيحرقه برد ما عليه في السر ويغضب عليه لله والغضب جمرة تتوقد ولذلك سميت جمرات .

---

(١) من الشعبة السادسه في ص١٢٧ كما نبهت عليه هناك، الى قوله هنا : الى قرب طلوع الشمس نقص من أ

(٢) هكذا في ظ ،وفي ع : والتبست به اردية وفي خ : والبست بأردية

(٣) في خ :المحرمات

(٤) في خ : فيفسر

(٥) في ظ : وقع والصواب واقع

ثم يذبح ان كان معه هدى ومثاله (ان كان معه هدى) (١) :
انه اذا رمى وجه ابليس بجمراته تذكر بنفسه (٢) من يقبل وحى الشيطان فاذا هى الصفات البهيمية التى لاتدرى ما يراد بها فيخدعها (٣) — الشيطان ببلادتها (٤) فيذكيها بالنحر والذبح كى يحصل لها (٥) الذكاء والفطنه بذكاتها .

ثم يحلق رأسه أو يقصر منه ومثاله فى السر أن الدماء النفيسية (٦) البهيمية اذا اهريقت فى الله لتضييق مجارى العدو فيها قطع العلائق عنه التى يتعلق العدو بها ، وهى النواصى التى يعقد عليها فى كل (ليل) (٧) الغفلة ونوم الحياة الدنيا :

عليك ليل طويل أى تعيش كثيرا فارقد وأخلد الى أغراضك فاذا قطع العلائق من سره فقد تحرر من ابليس بجز ناصية الرق له ولم يبق له من الحج الا طواف الافاضة بالبيت العتيق فيتوجه الحاج الى طواف — الافاضه ، كذلك السر اذا تحلل (٨) من العلايق توجه حرا الى سيده فيطوف به .

---

(١) هذه الجملة لم تذكر فى بقية النسخ
(٢) فى بقية النسخ : تذكر من نفسه
(٣) فى ظ : فيخدعه
(٤) فى خ : لبلادتها
(٥) فى ظ ، ت : كيما يحصل لها . .
(٦) فى ظ ، خ ، ت : النفسيه
(٧) هكذا فى جميع النسخ ما عدا ع ففيها " ليلة "
(٨) فى ظ : اذا تخلى .

ثم يرجع الحاج الى منى فيقيم بها ثلاثة أيام أو يومين ليتم رمى الجمـــار والنحر والذبح أيام التشريق ومثاله فى السر أن الأسرار اذا طافــــت طواف الافاضة بعد حريتها استشعرت الرجوع الى مباحاتها فيرجع الى منى فيستقصى تمام رمى الجمار لأن النفوس اذا رجعت الى المباحات من الحج لابد تتمنى (١) الرجوع الي المحرمات فيستقصى ذبحها ، ويشـــرق بمنى لحومها ويرمى بقية الجمار مرة بعد مرة تأكيدا لحبس النفوس بزمـام الثقاف (٢) اذا رجعت الى أوطان المباحات فاذا تمت أيام التشريـــق فقد تم حجـه فيطوف (٣) طواف الوداع ويرجع الى بلاده (٤) ومثاله : ان السر اذا تمت وظائف حجـه ولم يكن للبشرية بد من الرجوع الى أغراضها ومباحاتها طاف بربه طواف المحـب اذا ودع محبوبه وترك سره عنده فهذا الطواف طواف تذكرة (٥) بالرجوع اليــه وان كان فى ظاهره أنه وداع وفرقة فانه أعظم للحرمة وأشد فى تأكيد المحبة كما قال عليه السلام :

((زر غبا تزدد حبـــا " (٦)

---

(١) فى بقية النسخ :لابد أن تتمنى

(٢) فى تهذيب اللغه :والثقاف : حديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بهـا الشيء المعوج

(٣) فى خ : ويطوف

(٤) فى خ : الى بلده

(٥) فى ظ : طواف يذكره

(٦) لم يرد فى الكتب الستـه
وقال العجلونى فى كشف الخفاء عن هذا الحديث .
رواه البزار وأبو نعيم والعسكرى فى الامثال والبيهقى فى الشعبه عن أبى هريره وقال فى سنده طلحة غير قوى . وروى هذا الحديث بأسانيـــد . انظر ما قيل عن هذه الاسانيد فى كشف الخفاء للعجلونى رقم الحديث ١٤١٢ وفيض القدير المجلد ٤ ص ٦٢

ولان كثرة الجلوس عند المحبوب يوجب كثرة الانس والاذلال ويخاف عليه أن يقع فى مخالفته بكثرة الاذلال ولان النفوس تمل ترك أغراضها فان لم ترجع وواقعت محضورا بحضرة الملك المحبوب فى جواره وجب طردها عن جواره لأن الذنب يضاعف بحضرة الملك العظيم بقدر حرمته ولذلك ورد فى الخبر :

(ان الذنوب تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات) (١)

لهذه العلة التى ذكرتك بها فافهم ولذلك ورد فى الآثار :

((رب رجل بخراسان أو ببلد غيرخراسان أقرب الى هذا البيت ممن هو ساكن فيه)) (٢) أو كما ورد (٣)

واعلم ان الحج على ثلاثه أضرب :

افراد بالحج وقران بالحج والعمره معا وتمتع بالعمرة الى أيام الحج ثم يحج .

والحج بالافراد أقواها وأصعبها ،والتمتع والقران أيسر وقد اختلف فى الكل أيهما أفضل ،وقد ذكر الله الثلاثة أنواع فقال فى القرآن :

(واتموا الحج والعمرة لله . . .) (٤)

---

(١) أورد هذا الاثر كثير من المفسرين عند تفسيرهم لقوله تعالى فى سورة الحج آيه ٢٥

" ومن يرد فيه بالحاد بظلم تذقه من عذاب اليم) ونسبوا هذا القول الى مجاهد رضى الله عنه .

انظر مثالا : تفسير الخازن وبهامشه تفسير البغوى ج ٥ ص ١٢

وذكر ابن حجر فى كتابه الزواجر انه ينسب ايضا الى ابن عباس رضى الله عنه

انظر الزواجر ج ١ ص ١٦٣

(٢) ظ ،خ : ساكن به

(٣) لم أجد قائله

(٤) سورة البقرة من الآية ١٩٦

وقال في التمتع :

(... فمن تمتع بالعمرة الى الحج ...) (١)

وقال في الحج :

(... ولله على الناس حج البيت ...) (٢) لأنه الفرض .

فمثال الحج مفردا في أسرار الحج الخروج من أمور الدنيا بالكلية بالقصد الى الله دون تعريج على شيء من الأشياء دونه والتضييق الكلي على النفس (٣) طول مدة الحياة (٤) الدنيا وهذا لا يطيقه الا الأفراد لأنه افراد لأفراد وهو أشبه شيء بالموت وما وراءه من أمور القيامة والآخرة .

والعمرة : مأخوذة من الزيادة وفي لفظها معنى من العمر وهي :القاء (٥) رمق الحياة على النفس لانه لولاها لم تعمر الدنيا ولذلك قال :

(... فمن تمتع بالعمرة الى الحج ...) (٦)

والتمتع هو الاستمتاع بالمباحات الشرعية الى أيام الحج كما قال :

(.. وما جعل عليكم في الدين من حرج ...) (٧)

ثم يعود الى المباحات ، وكذلك القران الاشارة فيه الى اقتران الرفق مع الشدة كما قيل (٨) :

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٩٦

(٢) سورة آل عمران من الآية ٩٧

(٣) في ظ : على النفوس

(٤) في ظ : طول هذه الحياة

(٥) في ظ ،ت : وهو ابقاء .. وهو الأصح

(٦) سورة البقرة من الآية ١٩٦

(٧) سورة الحج من الاية ٧٨

(٨) في خ :كما قال

((الايمان شدة فى لين وسماحة فى يقين)) (١)

وورد فى الخبر :

((ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن توتى عزائمه)) (٢)

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح فى حجته :

((لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فقيل له : العامنا هذا ام لابد (٣) فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه وقال دخلت العمرة فى الحج هكذا ثم قال لابل لابد أبد)) (٤)

وكان عليه السلام أفرد الحج هو وعلى بن أبى طالب لأنه أقوى الأقوياء وقد أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج والعمرة (معا) (٥)كما روى أنس قام (٦) النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفه وبات بها حتى أصبح ثم ركب حتى استوت راحلته على البيداء حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بحج وعمرة وأهل الناس بهما)) (٧) .

---

(١) لم أجد من قال ذلك،

(٢) أورده أحمد فى المسند جـ ٢ ص ١٠٨ عن نافع عن ابن عمر بلفظ :
ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يكره ان تؤتى معصيته .
وانظر فيض القدير ج ٢ ص ٢٩٧

(٣) فى ظ ،خ : أم للأبد

(٤) اخرجه البخارى ومسلم وغيرهما انظر جامع الاصول ج ٣ ص ٣٤٠ فقد خرجه

(٥) الزياده من ظ ،خ

(٦) فى ظ : صلى النبى صلى الله عليه وسلم

(٧) رواه البخارى فى كتاب الحج رقم الحديث ١٥٤٦ و ١٥٤٧ ومسلم فى كتاب الحج ١٢٣٢ وأبو داود فى كتاب المناسك رقم الحديث ١٧٩٦ والترمذى برقم ٨٢١ والنسائى جـ ٥ ص ١٥٠

وهذا كله ابقاء على النفوس ورحمة وسماحة والحمد لله رب العالمين لكن بشرط ترك الحرام وترك الخروج الى الاسراف الذى لا يحبه الله ولذلك استحبت الزيارة بعد الحج الى قبر النبى عليه السلام لان السر اذا طاف طواف الوداع كما تقدم ورجع الى أوطان مباحاته يكون رجوعه الى مباحاته بالسنة لا باتباع الهوى لأن النبى عليه السلام هو رأس السنة ومنه انفرعت بل هو السنة كلها فلهذا (١) استحبت زيارته بعد قضاء الحج ليكون رجوعه الى سنته كما تقدم ، لهذه (بعض) (٢) أسرار الحكمة فى الحج مبينة ظاهرا وباطنا فى المقامات الثلاثة من الاسلام والايمان والاحسان .

نسأل الله الكريم ان لا يجعلها حجه علينا وأن يكتب لنا فى كل خير حظا ونصيبا بمنه وفضله وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .

---

(١) فى ظ فلذلك

(٢) كلمة " بعض " وردت فى أ ظ ت

الشعبة التاسعة :

الجهاد : (١)

فأما كونه من شعب الاسلام والايمان فلا يخفى ، وقد ورد في الحديث :

(من لقى الله بغير أثر جهاد لقى الله وفى ايمانه ثلمة) (٢)

اشارة الى نقصان هذه الشعبة ، وهو فى حديث على الطويل دعامة من دعائم الايمان حيث قال :

بنى الاسلام على أربع دعايم : على الصبر واليقين والعدل والجهاد (٣)

فجعله دعامة من دائمه وغير ذلك من الشواهد ،

والاجماع منعقد عليه انه فرض من الفروض الا أنهم قالوا على الكفاية يحطه بعض عن بعض وهذا الأصل لا يخرجه عن كونه معلقا على الكل فانه لو غشى العدو الأرض كلها لكان فرضا معينا على جميع أهل الأرض والجهاد نصر الاسلام به وأعزه الله واذا ترك ذل أهل الاسلام بتركه .

---

(١) سقطت من ظ الورقة التى تحمل رقم ٦٤ وفيها من أول هذه الشعبه الى قوله فى هذه الشعبة أيضا : اذ لم يكن لهم فى معبوداتهم من يعزهم .

(٢) اخرجه الترمذى فى كتاب فضائل الجهاد رقم الحديث ١٦٦٦ ، وابن ماجه فى كتاب الجهاد رقم الحديث ٢٧٦٣

(٣) ورد فى نهج البلاغه ج ٣ ص ١٥٧ وكذا ذكره الذهبى فى الميزان ٢ / ١٩٩ فى ترجمته لسليمان بن الحكم ونقل تضعيف العلماء له .

فصــــل :

واعلم أن الجهاد على ضربين : ظاهر وباطــــن

والباطن (١) على ضربين : جهاد النفس والعدو في مقام الايمان ،

وجهاد الباطن ، الروح والعقل في مكابدة الطريق والفكر (٢) واقتباس العلم في مقامات الاحسان .

فالظاهر جهاد الكفار والمنافقين والفجار في أقطار الأرض ظاهرا ، والباطن جهاد الشيطان والنفوس القاطعة عن الله تعالى وهو الجهاد الأكبـــر كما ورد في الخبر :

(جيتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر) (٣)

وهذا الجهاد (الأكبر) (٤) فرض معين على كل خلق في كل وقت كما قال تعالى :

(ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ...) (٥)

وقال :

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك ...) (٦)

---

(١) في خ : والظاهر وهو خطأ

(٢) في ت : وجهد الروح والعقل في مكابده الطريق ..
وفي خ : وجهاد الباطن والعقل في مكابده ...

(٣) قال ابن تيمية في كتابه الفرقان : لا أصل له ولم يروه أحد
وقال العراقي في تخريجه له في الاحياء : اخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال : هذا اسناد فيه ضعف ــ احياء علوم الدين للغزالي جـ٣ ص ٧

(٤) كلمة " الأكبر" وردت في خ

(٥) سورة فاطر الآية ٦

(٦) سورة النساء من الآية ٨٤

والمقام الاحسانى فى قوله تعالى :

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ..) (١)

وغير ذلك مما يطول ذكره ،

فمن فروض الجهاد :

حسن النية فيه وذلك أن تكون كلمة الله هى العليا ،وان يكون فى المجاهد قوة على القتال ،قال الله تعالى :

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ..) (٢)

وأخذ العدة وهو السلاح والثبات عند اللقاء والأمام (٣) وترك الغلول الى غير ذلك من واجباته ،

فأول امور الجهاد بعد التوجه الى العدو أن يدعو الى الاسلام فان قبلوه والا قوتلوا الا ان يكونوا ممن قد بلغتهم الدعوة الى الاسلام أو تعجلوا بالقتال فيقاتلوا ، ومثال ذلك فى جهاد الباطن أن النفس الأمارة بالسوء تدعا أولا الى طاعة الله فان أبت وجب قتالها وصدها عن ارتكاب النهى وأما الشيطان فانه قد بلغته الدعوة من أول الدنيا الى آخرها وقد يئس الكل من ايمانه فلا سبيل الى دعوته بل معاجلته (٤) بالجهاد حيث وجد ولفظ الجهاد مشتق من الجهد وهو المشقة والتعب .

فأما احتمال المشقة فيه ظاهرا فلا يخفى بأنه سفر من الوطن والسفر قطعة من العذاب ولقاء العدو ،والمخاطرة بالنفس فى مقاتلته فلذلك عظمت درجة المجاهد فى سبيل الله لعظيم ما يلقى وكثرت حسناته

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩

(٢) سورة الانفال آية ٦٠

(٣) لعل الكلمة هى : الاقدام

(٤) فى خ : معالجته

كما ورد في الحديث :

((ان اعمال البر كلها في الجهاد في سبيل الله كنفثة في بحر لجي)

أوكماورد (١) لأنه يقاتل عن كل من وراءه من المسلمين ولولا الجهاد لوصل العدو الى من وراءه من المسلمين فكأنه ناب مناب الكل ،

وأعلم أن المراد من الجهاد ما ذكره الله تعالى في قوله :

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . . .) (٢)

ظاهرا وباطنا أي حتى لا يبقى تدين لسواه فان الرب رب واحد والملك كله ملكه فوجب ان لا يكون دين الا له وان يكون الخلق كلهم على قلب واحد ومذهب واحد هذا هو الواجب على جميع المخلوقات فمن خالف هذا ظاهرا أو باطنا فقد انحاز وافترق واذا انحاز فقد ظهر الحد بينه وبين من انحاز عنه من أهل الاسلام وهذا الحد هو الثغر الذى بين أهل الاسلام وأهل الكفر فوجب قتالهم حتى يرجعوا كلهم على مذاهب واحد ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ونقنع منهم بذلك لأنه ليس بقاؤهم على دينهم مع اعطاء الجزية الاخزى بهم اذ لم يكن لهم في معبوداتهم من يعزهم (٣) بدينهم ضحكة بهم فكأنه لم يعبد في الوجود الا الله فلهذه العلة قنع من الكفار بالجزية وان لم يرجعوا الى الاسلام ولا أعطوا (٤) الجزيه قوتلوا وقتلوا حتى يطهر منهم ملك الله ولا يبقى لهم أثر اذ ليس بمعبوداتهم (٥) التي أدعوها وجود ولا أثر (٦) ولما لم يكن للالهة (٧) التي ادعوها حقيقة ولا وجود حرم الفرار من ــ

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ وهناك أحاديث كثيرة في فضل الجهاد تتضمن اكثر من هذا المعنى .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٩

(٣) في خ : من يقويهم

(٤) في خ ولم يعطوا

(٥) في ظ خ : لمعبوداتهم وهو أصح

(٦) في خ : . . التي ادعوها حقيقة ولا وجود

(٧) في خ : لآلهتهم

الزحف لانهم ليس لهم فى باطنهم من ينصرهم والمؤمنون الههم الحــــق معهم حيثما توجهوا وجدوا ربهم معهم فهو ناصرهم فلا غالب لهم الا اذا فعلوا أفعال الكفرة والفجار دخل (١) معهم صفات العدو فى بواطنهم فداخلهم الرعب الذى فى بواطن الكفرة من وحشة الجحد وبقدر فساد ــ المسلمين يجد العدو لهم سبيلا ومدخلا الا ترى الى يوم حنين حيــــث وصف الله تعالى حال العجب منهم بالكثرة فقال :

(... ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ...) (٢)

فلولا العجب لما أصيبوا ولما كان النبى عليه السلام بريئا منه ومن شاء الله ممن كان حوله ذلك اليوم أنزل الله سكينته ونصره عليه فهزم الله المشركين وكذلك يوم أحد لما عصوا الرسول فيما أمرهم به وجد العدو مدخلا بذلك العصيان فكان ما كان فما سلط على أهل الاسلام فى كل وقت ما سلــــط الا بفساد أحوالهم .

فالذى يجب أن يكون حال المسلمين مع الكافرين ثلاثة أشياء :

قتالهم حتى يرجعوا الى الدين ،أو قتالهم حتى يعطوا الجزية ،أو قتلهم وسبيهم ،وأقل من ذلك كله أن يكون الجهاد قائما دائما بيننا وبينهم بسد الثغور وتثقيف الحصون ،وان احتيج الى صلح من أجل الضعف فعــــل لا جل الخدعة بهم فى المستقبل والحرب خدعة (٣) لان الكفر والايمان

---

(١) فى ط : دخلت

(٢) سورة التوبة من الآية ٢٥

(٣) انظر تهذيب الآثار لابن جرير الطبرى ج ١ ص ١٠٠ فقد توسع فى ايضاح معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم" الحرب خدعه" وهو حديث رواه البخارى فى كتاب الجهاد رقم الحديث ٣٠٣٠ ومسلم فى كتاب الجهاد رقم الحديث ١٧٣٩

وقال النووى : اتفق العلماء على جواز خداع الكفار فى الحرب كيف أمكن الخداع الا ان يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل .

انظر صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣٦١ باب جواز الخداع فى الحرب .

وانظر كلام المؤلف الاتى ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

ضدان مثل الليل والنهار فكما لا يقوم الليل لوجود النهار كذلك الكفر لا يقوم لوجود الايمان اذا التقيا الا اذا غابت أنوار الايمان أو ضعفت ظهر سلطان الليل بقدر غيبته وضعفه ، فمثال ذلك في ظاهر الأمر : أن قبل مبعث النبي عليه السلام كانت الأرض كلها ظلمة مطبقة وأنوار الايمان غائبة عن الأرض موجودة عند الملئكة وأهل الآخرة في الغيب فلما أظهر الله رسوله بمكة طلعت بظهوره شمس الايمان بمكة فاستنار به من قبل من نوره بالايمان به فلم يزل الدين يظهر شيئا شيئا ولكن بحكم الضعف لأنه طلع في سحاب متراكم بعضه على بعض كما قال الله :

(او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض . . .) (١)

فاظهار النبي عليه السلام الايمان بمكة ودعوة الناس اليه بمنزلة ظهور نور الشمس ورد الكفار عليه واستحانهم له ولأصحابه بمنزلة حجب (٢) السحاب المتراكم المظلم لنور الشمس في اليوم الشديد السحاب المظلم فلم يزل كذلك مرة يظهر و (مرة) (٣) يخفى حتى هاجر من هاجر من أصحابه وهاجر هو عليه السلام وبقى المستضعفون بمكة حتى ظهر النبي عليه السلام بالمدينة وافتتح الأقطار شيئا بعد شيء حتى فتح مكة واتصل النور والفتح حتى توفى وبقى الفتح ظاهرا حتى غمر الأرض بوجود نوره عند خلفائه والقائمين به من بعده فلما ضعف الايمان الذى هو النور بقبضه عن الخلق لمخالفاتهم ظهر سلطان الليل حتى يأتي وعد الله وهذا المثل المضروب للنبي عليه السلام بالشمس موجود في قول الله تبارك وتعالى :

(يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه

---

(١) سورة النور آية ٤٠ .

(٢) في ت : صحبة السحاب بدل من حجب السحاب

(٣) كلمة مرة" الثانية وردت في خ

وسراجا منيرا) (١)

فسماه سراجا منيرا والسراج هو الشمس كما قال :

(. . . وجعل الشمس سراجا) (٢)

وجهاد العدو ظاهرا بالسيف والرمح والرمى مفهوم وشروطه موجوده فى كتب الفقه من طلبها وجدها وذلك اسلام .

وجهاد الشيطان والنفوس المتصفة بأخلاق الشياطين والكفرة والمنافقين هو الذى خفى لبطونه على الخلق (٣) وضعف (٤) على الجم الغفير فضار (٥) عليهم العدو لتسيب ثغوره وأسرهم (٦) وأوثقهم بحبال غروره فلابد من تعين معانيه ان شاء الله فالعدو الباطن هم الشياطين (٧) وأخلاق النفوس وصفاتها وأسلحتهم الوساوس (٨) والى هذا الجهاد والاشارة بقول النبى عليه السلام :

((المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله)) (٩)

---

(١) سورة الاحزاب الآيتين ٤٥ — ٤٦

(٢) سورة نوح الآية ١٦

(٣) فى ظ ، خ ، ت : لبطونه عن الخلق

(٤) فى خ ، ت : وصعب

(٥) فى خ : فظهر

(٦) فى ظ ت : فأسرهم

(٧) فى خ : هو الشيطان

(٨) فى أ : الوسواس

(٩) اخرجه أحمد فى المسند ج٦ / ٢٠ ، ٢٢ والترمذى فى فضائل الجهاد رقم الحديث ١٦٢١ من حديث فضاله بن عبيد وقال الترمذى : حديث فضاله حديث حسن صحيح .

والكلام فى هذا الباب يستدعى بيان أحكام الخواطر الخاطرة على القلب فانها هى الأسلحة ،وقد قال النبى عليه السلام :

((النظرة سهم من سهام ابليس)) (١)

وانما رمى الناظر بها حين وسوس له فقال (٢) : انظر فرماه أولا بالخطرة فقبلها فنفذت مقاتله حتى وصلت ام عينيه فنظر فقتلت صفات الصيانة والعفاف من العبد .

فأول ما يجب ان تفهم أن جسد الانسان خلق للنفس وصفاتها بمنزلة الوطن والمدينه وهى باطنة فية ،والدنيا محل الجسد وهى وطنه والنفس تتطلع الى الدنيا على طريق (٣) الحواس والجوارح ، والروح باطنها (٤) فى غيب النفس مما يلى الآخرة التى هى محل الملئكة عليهم السلام والشياطين غيب فى وجود الدنيا فقد حصل الانسان بجملته بين الدنيا والآخرة والملئكة والشياطين . . . والله محيط بالجميع،والخواطر تأتيه من جميع جهاته ظاهرا وباطنا تدعوه الى الخير والشر والجنود متصادمة فيه ومتقاتلة لا تفتر طرفة عين والله يؤيد بنصره من يشاء .

والخواطر هى الكلام فالدنيا تتزين للنفس بزينتها وتدعو الخلق اليها والى الرغبة فيها وعمارتها والشغل بها .

وكذلك الآخرة فى مقابلتها تدعو الخلق اليها والاقبال عليها والاعراض عن الدنيا ، والشيطان يدعو الى ما هو (عليه) (٥) من المخالفات والعصيان

---

(١) ذكره الحاكم فى المستدرك فى كتاب الرقاق ج ٤ ص ٣١٤ وقال :هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(٢) فى ت : فقال له انظر

(٣) فى ظ ت : طرق

(٤) فى خ : والروح باطنه

(٥) وردت فى بقية النسخ

والملك يدعو الى ما هو عليه من الطاعات(١) وصفات الايمان .
والروح الذى صفته العقل (٢) يدعو وينظر الى ما ظهر له (٣) مما استحسنه واختاره والنفس تدعو وتأمر بما فيه غرضها وارادتها والبارى تعالى يحرك الكل ومنه يأتى كل خاطر وقول وهذه كلها وسائط وللبارى تعالى خاطر من غير واسطة وهو التوفيق لكنه يقوى فى حق قوم ويضعف فى حق قوم آخرين على حسب ارادته تعالى فى قوته وضعفه فقد صارت الخواطر سبعة لا ثامن لها :

أما الخاطر الأول وهو خاطر الدنيا فانه من نوع لسان الحال بل هو أنطق من لسان المقال (ويقابله من الخواطر السبع الخاطر الايمانى الاخراوى فان الايمان يذكره بالآخرة ويرغب فيها وينسى الدنيا ويزهد فيها وضده الدنياوى فانه يذكر بالدنيا ويرغب فيها وينسى الآخرة ويزهد فيها) (٤) فهما ضدان بمنزلة ضرتين (٥) ان ارضيت احداهما أسخطت الأخرى الا ان يكون ما تأخذ من الدنيا ركابا للآخرة فانه يعود آخرة فان الركاب ما يوصل الى المنزل كما قال تعالى :

(... فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ..) (٦)

---

(١) فى ظ خ : من الطاعة
(٢) فى خ : والروح الذى هو صفة العقل
(٣) فى ظ : لما ظهر
(٤) ما بين القوسين سقط من "ع" ورد فى بقية النسخ
(٥) فى خ : بمنزلة امرأتين
(٦) سورة الحشر من الآية : ٦

وهى الابل المركوبة والسفن المركوبة أيضا ركاب وكل ما ركب ليوصل الى غرض الراكب فهو ركاب ، والمراد بهذا ان كل ما يخطر (١) من أمور الدنيا ينظر فان كان معينا للآخرة قبل وركب وان كان منسيا للآخرة مشغلا عنها طرد ولم يقبل وهذا الخاطر الدنياوى ينحصر فى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : التذكير بما مضى وفات من أمور الدنيا التى لا درك لها لأنه عرض قد زال فالقابل لهذا الخاطر والمستمع له من (أحمق) (٢) الناس لانه يولد الحزن على الفايتات والأسف على الماضيات التى لا مرجع لها أبدا .

القسم الثانى : التذكير بما يأتى من أمور الدنيا التى لا يدرى الانسان هل يصلها ام لا يصلها (٣) والقابل لهذا الخاطر والمستمع له داخل فى التدبير للدهور وباسط للأمل الكاذب الغرور والمستغرق فيه أيضا أحمق لأنه طالب لما لا يدرك وان ادرك بعضه فهو تارك لما ادركه

القسم الثالث : التذكير بأمور الدنيا الحاضرة وأخذها والدخول فى العمل لها ومن هذا الخاطر يتولد الحرص وهو سبب عمارة الحياة (٤) الدنيا المنسى للحياة الآخرة والوجه فى الخلاص من غرور هذه الخواطر أن تنظر وتعرض على معيار العلم النافع الاخراوى فيقبل منها ما يحتاج اليه لله وللآخرة وغير ذلك لغو يطرح ولا ينظر اليه فيكون عند ذلك مجاهدا فى سبيل الله غانما من فضل الله .

---

(١) فى ظ خ ت : ان كل خاطر يخطر فى أمور

(٢) سقطت من ع وذكرت فى بقية النسخ

(٣) فى ت أولا يصلها

(٤) كلمة الحياة " لم ترد فى خ

واما الخاطر الثانى الذى هو الايمانى الاخراوى فانه مذكر بالمؤمنات الغائبات على اختلاف أنواعها وينقسم على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : خاطر ايمانى يذكر (١) بما قضي على العبد فى الأزال الماضية وكتب له فى الأقدار السالفة من أمور الدنيا والآخرة وهو خاطر محمود فما ذكر بأمور الدنيا وما سبق للعبد منها ولد العلم فان العبد (٢) لا يقدر أن يزيد فيها ولا ينقص منها فيستفيد من هذا الخاطر الرضى والزهد والتوكل وغير ذلك من الأحوال المحموده وما ذكره بأمور ما سبق له من أمور الآخرة ولد حال الخوف بما سبق أو جمع الهم لله وغير ذلك (٣) مما لا ينحصر من أحوال الناظرين للسابقة .

القسم الثانى : من الخواطر الايمانية يذكر العبد فى المآل وما فى المعاد من الخيرات (٤) والاهوال (٥) فيولد الفكر فيما بعد الموت من أمور البرزخ والحشر والميزان والصراط والجنة والنار والحساب والغبن والخسران والفوز والرجحان

---

(١) فى ظ : مذكر

(٢) فى أ ،ظ خ : ولدا العلم بأن العبد .

(٣) فى ظ : ولد الخوف بما سبق له وجمع الهم وغير ذلك
وفى ت : ولد حال الخوف مما سبق أو جمع الهم وغير ذلك .
وفى خ : واد خال الخوف مما سبق أو جمع الهم لله وغير ذلك

(٤) فى بقية النسخ : ويذكر بما يلقى العبد فى المآل وفى المعاد من الخيرات

(٥) فى خ : بدل الأهوال : الأحوال

فحصل (١) من هذه الخواطر (٢) العلم النافع واليقين والاخلاص في العلوم والأعمال والنية المحمودة وغير ذلك من أحوال الصالحين المشتغلين بما يلقون أمامهم من أمور الدار الآخرة (٣) .

القسم الثالث : من الخواطر الايمانية يذكر العبد بما هو ملابس له من أمور الايمان وهل هو بصفة المؤمنين حقا ام لا وهل يرضى أن يفجأه الموت على ما هو عليه أم لا فيولد هذا الخاطر التفتيش والبحث (عما) (٤) هو عليه العبد وترك مالا ينبغي وأخذ ما ينبغي والاستعداد للموت قبل نزوله بكل محمود من العلوم والأعمال والصفات والأحوال .

فهذا الخاطر الايماني منقسم على ثلاثة لا رابع لها (والخاطر الدنياوى منقسم على ثلاثة لا رابع لها) (٥) وكل واحد مضاد لصاحبه ومقاتل له اذا تأملتهما وجدتهما جندين متقاتلين (٦) على الدوام والله يؤيد بنصره من يشاء الخاطر الثالث من الخواطر السبعة خاطر العدو ابليس لعنه الله فانه على ثلاثة أنواع أيضا :

النوع الواحد : انه ينهى عن فعل الخير كله من جميع جهاته وهو معنى قوله :

---

(١) في ظ ، ت : ويحصل

(٢) في ظ ، خ : من هذا الخاطر

(٣) في أ ظ خ : من أمور الدنيا والآخرة

(٤) كذا في خ : وفي غيرها : على ما هو عليه

(٥) ما بين القوسين سقط من ع وورد في بقية النسخ

(٦) في خ : جندين متقابلين

(... لاقعدن لهم صراطك المستقيم) (١)

(فهو بهذا الوجه) (٢) ناه عن المعروف فى المقائد بالتكذيب والتشكيك وفى الأعمال بالصد عنها :

(.. ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ..) (٣)

والنوع الثاني : الأمر بالمنكر والفحشاء وجميع أنواع الشر فان قبل منه النوعان والا أخذ فى الخاطر الثالث وهو الاحتيال فى افساد معانى الخير وفتح أبواب الشر والاعانة والتحاض (٤) على خاطر الدنيا والتشبط والكسل فى خاطر الايمان وغير ذلك من الخواطر المحموده فخواطره لاتخلو من ثلاث أقسام : أمر بالمنكر ونهى عن المعروف والحيلة فى افساد الخير ليوقع فى الشر فهو شر كله لا يدعو الا اليه .

والخاطر الرابع من الخواطر السبعة خاطر الملك وهو ضد خاطر الشيطان لان الملك ضد الشيطان وهو أيضا على ثلاثة أنواع :

النوع الواحد : أمر بالمعروف كله

النوع الثاني : نهى عن المنكر كله فان قبل منه فهو مراده والا أخذ فى ابطال معانى الشر والتثبيت فى حفظ معانى الخير الا تبطل والحض على تقوية خاطر الايمان والخواطر

---

(١) سورة الاعراف من الآية ١٦

(٢) هذه العبارة غير واضحة فى " ع " ووردت كذا فى بقية النسخ الا فى ت ففيها بلفظ : فى هذا الوجه .

(٣) سورة المائدة آية ٩١

(٤) فى خ : والحض

المحمودة غيره (١) وحل أضدادها فان الملك خير كله صفته العفه (٢) والشيطان شر كله صفته الجرءة فكل منهما على ضد صاحبه (٣) ما يعمل هذا يتركه هذا وما يترك هذا يعمله هذا وما يصلحه هذا يفسده هذا وما يفسده هذا يصلحه هذا (٤) وما يحرض عليه هذا يكسل عنه هذا هكذا دأبهما أبدا (٥) الى الوقت المعلوم.

والخاطر الخامس : من الخواطر السبعة خاطر النفس وهو على ثلاثة أنواع: ايضا وذلك أن النفس لها طبيعتان عجنتا فى خلقتها :

الطبيعة الواحدة : طبيعة شهوانية

والاخرى طبيعة ملكية سلطانية

فالصفة الشهوانية تدعو أبدا الى تناول أغراضها والاتساع فيها الى غير حد ان لم يكن لها مانع يضبطها دينى أو غير دينى من مرض أو غيره فهذا خاطرها الأول محله القوة والشهوانيه (٦).

وبالصفة الأخرى (٧) تدعوا الى العلو والظهور والقهر والاستعلاء والتزيين وطلب المدح والثناء وما فى هذا المعنى وهذا خاطرها الثانى محله القوة المتملكه السلطانية وقد انتهى الخاطر الأخر (٨) بأقوام الى أن ادعوا الربوبية واستعبدوا غيرهم وقد انتهى الخاطر الآخر الشهوانى بأقوام الى أن عبدوا غيرهم من المتشهيات المستحسنات .

---

(١) فى ظ بدل :غيره : وغير ذلك

(٢) فى ت : العفه

(٣) فى ظ : فكل واحد منهما ضد صاحبه ،وفى خ ت :كل واحد منهما على ضد صاحبه

(٤) فى ظ :وما يصلح هذا يفسد هذا وما يفسد هذا يصلح هذا.

(٥) فى خ : هذا دأبهما أبدا وفى ت :هكذا دأبهما دائما أبدا .

(٦) فى بقية النسخ : القوة الشهوانيه وهو أصح

(٧) فى خ : بالصفة الثانية.

(٨) فى خ ،ظ ،ت : وقدانتهى هذا الخاطر بأقوام

وأما الخاطر الثالث فانه منقلب مع جميع الخواطر التي تأتيها من غير هذين الصفتين فمرة تكون مع خاطر الدنيا بالتمني لما تلقى (١) اليها من غرورها .

وتارة مع الشيطان بتسويلها الطلب بتنفيذ (٢) ما يأمرها به

وتارة مع خاطر الايمان بالكراهية (٣) والدعوة الى التثاقل في أمور المعاد كله .

وتارة مع خاطر الملك بقولها : سوف سوف وهكذا مع كل خاطر يرد عليها جبانة في الخير شجاعة في الشر فان حملت على الشرع وخولفت (حتى) (٤) طاعت وأذعنت . فمن أجل غيرها لا من أجلها . فلذلك قيل النفس لا تصدق وجعلوا اخلاصها كذبا وتبريها دعوى وجميع ما تحمل عليه وان كانت مطمئنة ولوامة ومرحومة لا ينسب شيء اليها لأنها مجبولة عليه (٥) لو تركت لعادت الى طبعها .

الخاطر السادس : وهو خاطر الروح العقلي وهو خاطر التدبير لأمر هذه المملكة والنظر في جميع الخواطر الواردة عليه من جميع الجهات وفي الخبر :

" لاعقل كالتدبير " (٦)

---

(١) في خ : بما تلقى اليها

(٢) في أ ،ظ خ : بتسويلها لطلب تنفيذ

(٣) في ظ ،ت : بالكراهة

(٤) هكذا وردت في النسخ ما عدا " ع " ففيها : على طاعة وهو خطأ .

(٥) في ظ خ ت : محمولة عليه

(٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد من حديث أبي ذر رقم الحديث ٤٢١٨ وقال محققه في الزوائد : في اسناده القاسم بن محمد المصري وهو ضعيف وذكره ابو نعيم في الحلية ج ٦ ص ٣٤٣ وقال :غريب من حديث مالك عن زيد تفرد به الحاجبي .

(وفيه) توجد الفهوم والعلوم الربانية وهذا الشخص هو الملك، واليه يجب ان ترجع أمور المملكة كلها فيختار ما أمره الشرع ان يختار ويترك ما أمره الشرع أن يترك، ويستحسن ما أمره الشرع ان يستحسن ويستقبح ما أمره الشرع ان يستقبح وصفة خاطر هذا الملك التثبت والنظر في جميع ما يرد عليه من الخواطر فينفذ منها ما يجب تنفيذه ويرد ما يجب رده وخواطر هذا الجوهر الشريف وان كثرت لا تخلو أيضا من ثلاثة أنواع:

النوع الأول : الأمر بالتنزه عن دنيء الأخلاق والأعمال وسفسافها ظاهرا وباطنا .

النوع الثاني : الأمر بالاتصاف بمحاسن الأخلاق والأعمال والأحوال وأعاليها ظاهرا وباطنا .

الخاطر الثالث : الأمر باعطاء جميع (أهل) (١) مملكته حقوقهم وتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم .

---

(١) كلمة " أهل " وردت في خ ت

فصـــل :

فأما الخاطر السابع وبه تمت الخواطر فهو خاطر الباري تعالى وهو علـى ضربين :

الضرب الواحد : يأتي بواسطة وهو جميع ما تقدم من الخواطر كلها فانها مضافة الى غيره مجازا واليه حقيقه الا أن هذا الخاطـــر يأتي من الله بواسطة ملك أو روح او نفس أو شيطان أو دنيا أو أخرى ولذلك لم يكن فيه جبر وبه قامت الحجة على الخلق لانه جار على الاختيار .

الضرب الثاني : من خاطر الحق هو ما ورد على سر العبد بحكم الجبـــر فلا يمكن الانفكاك عنه وفيه توجد الفراسات لاهل المعرفة وفيه يوجد الحياء والانكسار والذل للباري سبحانه فان الباري تعالى ما تجلى لشيء الا خضع له وخشع ويقـــوى في حق قوم ويضعف في حق آخرين ،

فهذه جملة الخواطر ترد على قلب العبد مع كل خطرة فأي نوع منها قـــوى وغلب حكم على العبد وملك القلب بقدر قوته وغلبته ،

وهذا الجهاد قد عم المقامات كلها :

مقام الاسلام والايمان والاحسان ، وعم النفس والروح والجســد وهو فـــرض واجب على الأعيان ما دام الانسان في الدنيا الا أنه اذا غلب حزب اللـــه على حزب الشيطان وملك الروح وانقادت النفس انحاز العدو عن القلـــب ولم يكن له في بنية (١) الانسان مسكن ولا مأوى وكان خارجا عن مملكـــة الروح ولم يكن له فيها (٢) سلطان ولا حكم فغاية ما يقدر عليه بعد هـــذه الحالة أن يغير على أطراف مملكة الروح ويغير الجوارح بكتائب وساوسه (٣)

(١) في خ : بيت الانسان

(٢) في بقية النسخ : ولم يبق له فيها

(٣) في خ : وسواســه

وتعريضاته فينبغي ان ذاك سد تلك الثغور (بغضها وكفها وحراستها) (١) وغلقها بالمراقبة ومتى لاحت غارة للعدو كرت (٢) عليها جنود الكراهة والمخالفه وفي مثل هذا العبد ورد في الخبر :

((خيرالناس رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله . .)) الى آخرالحديث (٣)

وقال في حديث آخر في هذا المعنى :

((مثل المؤمن مثل الفرس يجول في أخيته ثم يرجع)) (٤)

والأخية : هو الطبل (٥) الذى يربط في رجل الفرس فيرعى من كل جانب فاذا أراد ان يخرج من الحد الذى ربطته فيه الأخيَّة جبذه الحبل فرده وهكذا المؤمن اذا ركبت الروح النفس والجسد وكان مركوبا بمعنى أنه حاكم له كان مقيدا تحت حكمه فاذا أرسله في المباحات سرح فاذا أشرف على الخروج جبذته الأخية فرجع الى حكمه وفي مثل هذا الفرس قال عليه السلام :

---

(١) ما بين القوسين بياض في ع

(٢) في خ : غارات العدو

(٣) اخرجه الترمذى بهذا اللفظ في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في اى الناس خير عن ابن عباس رقم الحديث ١٦٥٢ وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه

واخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجهاد حديث رقم ٤

(٤) اخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٣٨ وص ٥٥ عن ابى سعيد الخدرى وخرجه البنا بقوله : الحديث سنده جيد وأخرجه أيضا الضياء المقدسي في المختاره وحسنه الحافظ السيوطي .

انظر الفتح الربانى ج ١ ص ١١٣

(٥) هكذا وردت في جميع النسخ ولعله تصحيف عن الحبل وقد ذكر في تهذيب اللغة : قال : سمعت العرب تقول : للحبل الذى يدفن تحت الأرض مثنيا ويبرز طرفاه الآخران شبه حلقه وتشد به الدابه : أخِيَّة .

انظر تهذيب اللغه ج ٧ ص ٦٢٠ كلمة " أخى "

((من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل اللـــــه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنـه يبتغى القتل والموت مظانة .....)) الحديث (١) .

وكذلك في الأخبار :

((ان الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للانسان وفرس للشيطان)) (٢)

وورد أيضـا :

((الخيل ثلاثه لرجل أجر ولرجل ستر ولرجل (٣) وزر)) (٤)

وهكذا كلما ورد في الجهاد من (هذا) (٥) المعنى وهيئته ظاهـرا فله حقيقة في الجهاد الأكبر في مقام الايمان والاحسان ، وانما نبهتك على هذا لتتفطن لمعانيه الباقيه ان شاء اللـه .

ومن حقائق الجهاد في مقام الاحسان ما تحتمله الأرواح والعقول من الجهد وتجلى الحقيقة ومكابدة الفكر الذى ساعه منه خير من عبادة سنه وغير ذلك من الأحوال التى لا يطيقها الا الأفراد وفرعنها الجم الغفير في مكابـدة سلوك طريق الحق (٦) فافهم . وانما يصل الانسان الى هذه الدرجـة اذا فتح الله عليه قلبه عنوة كما فتح الله على محمد عليه السلام مكة ولا يصل

---

(١) اخرجه مسلم عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتاب الامارة باب فضل الجهاد رقم الحديث ١٨٨٩

(٢) اخرجه احمد في المسند جـ١ ص ٣٩٥ عن ابن مسعود عن النبى صلى اللـه عليه وسلم .

(٣) في ظ : وعلى رجل وزر

(٤) صحيح مسلم جـ ٢ كتاب الزكاه باب اسم مانع الزكاة ، وهو جزء من الحديث رقم ٩٨٧ وفي الموطأ كتاب الجهاد باب الترغيب في الجهاد حديث رقم ٣

(٥) كلمة " هذا " وردت في خ

(٦) في خ : الخبـــر "

الى هذه الدرجة الا بالهجرة وهي شعبة من شعب الايمان فان الانسان
لما خلق وربا على عادته وجبلاته وأخلاقه ومع شياطينه الموكلة به فكأن غـــرز
الجبلات فيه وأخلاق الجهل (١) والشياطين (٢) فيه مثلا لسكنى المشركين
بمكة فاذا ظهـــر وقت التكليف الشرعي فيه كان بمنزلة ظهور الشارع محمـــد
عليه السلام بمكة فيظهر الايمان شيئا شيئا ويظهر عليه صفات الجهل والأخلاق
والصفات والوساوس الشيطانية فلا يبريه منها الا الهجرة فيهجر الســـوء
ويفر الى مواطن الديانة التي هي بمنزلة المدينة التي هاجر اليها النبـــى
عليه السلام وأصحابه فيؤيده الله بصفات النصر والعون والقوة التي هـــى
في معنى الأنصار واسم المدينه يثرب والتثريب هو التحريج والتعبيـــــر
والتوبيخ فيفر العبد عن الركون (٣) الى من هاجر عنه من حزب الشيطان
الى مواطن الدين من جوارحه ولا يزال يهاجر اليه كل ناصر لله ويأوى كل
من هاجر اليه من خاطر أو صفة أو عمل ويثرب على نفســه وأخلاقه ويضيـــق
عليها بالجهاد والغارات مرة بعد مرة حتى يهلك الله صفة الجهل التـــى
هي في اعتبار أبي جهل ومن تابع الجهل من صفات الانسان الذين هـــم
مثل أتباع أبي جهل في مواطن (٤) المبادرة للجهاد الذى هو في اعتبار(٥)
بدر ثم لا يزال يقوى بجنود أنصار الله على من بقي حتى يدخل الشـــــرع
قلبه عنوة أى بالقهر والاستيلاء كما دخل الشارع مكه وحينئذ تتم الهجـــرة

---

(١) في ت : وأخلاق الضـــرر

(٢) من هنا سقط من ت الى قوله قبل نهاية الشعبة العاشرة :
ولم يواقصه .. (ففروا الى الله ...)

(٣) هكذا وردت في ظ خ وهو الصواب وفي ع بدل من الركون : الكون .

(٤) في خ : في موطن

(٥) في ظ : التي في اعتبار .

ويبقى الجهاد في نواحي البلاد كما قال عليه السلام :

((لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيـــه)) (١)

وان لم يصل الانسان الى هذه الدرجة في الدنيا بالجهاد والربـــاط والا بقي مستضعفا حتى يقاسي شدايد الأهوال في مواطن المال حـــتى يصفوا من كل خلق مذموم ولا يدخل الجنه الا وهو طاهر نقي من صفــات الشيطان والفجار والمنافقين : لا يدخل الجنة مثقال ذرة من كبر والفخر والخيلاء في النار وغير ذلك (٢) مما ورد في الأحاديث من صفات العجب . وأهل قبضة الشمال التي هي من حزب الشيطان لابد من زوالهـــــــــا وتطهيرها وقلعها اما بالمجاهدة في الحال واما بالجهد (٣) والمشقة في المآل .

ونسأل الله تعالى النصر العزيز من لدنه والتيسير لجميع أمورنا بمنه وفضله انه على ما يشاء قدير .

واعتبر الجهاد من (٤) نفسك وجميع شرائع الاسلام في جميع العالم تجد ذلك بينا واضحا ان شاء الله واقرأ : (٥)

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا وان الله لمع المحسنين) (٦)

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد باب لاهجرة بعد الفتح رقم الحديث ٣٠٧٧ ، ٣٠٨٠ ومسلم في كتاب الأمارة رقم الحديث ١٨٦٤

(٢) في ظ : الى غير ذلك

(٣) كلمة " الجهد " لم ترد في خ

(٤) في خ : في نفسك

(٥) في خ : وأقرأوا

(٦) سورة العنكبوت آية ٦٩

ذكر العاشرة من الشعب : وهي الهجرة (١) :

وقد تقدم الكلام عليها في الجهاد لأنها والجهاد مرتبطان لا ينفك أحدهما عن صاحبه فان الانسان لا يجاهد الا من هجره واذا أحبه ولم يهجره لم يجاهده واعلم أن الهجرة على ضربين : ظاهر وباطن والباطن منها على ضربين :

ضرب في مقام الايمان وضرب في مقام الاحسان .

فالظاهر منها هو الفرار بالجسد من مواطن الفتن لقول النبي عليه السلام :

((أنا بريء من أهل ملتين تترآى أثارهما)) (٢) .

فتبرىء النبي عليه السلام منهم لعدم هذه الشعبة فيهم وهي الهجرة فهي اذا من أعظم شعب الايمان . ولقول النبي عليه السلام وقد ذكر الفتن فقال :

((لا يسلم لذي دين دينه الا من فر من شاهق الى شاهق)) (٣)

---

(١) في ظ : ذكر الشعبه العاشرة وهي الهجرة .

(٢) لم أجده بهذا النص وفي الترمذي في كتاب السير باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين ورد حديث لعلة مراد المؤلف وفيه :
أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يارسول الله ولم ؟
قال : لا ترايا ناراهما .
رقم الحديث ١٦٠٤ ، ١٦٠٥

(٣) ذكره ابن تيميه في أحاديث القصاص بلفظ " يأتي على امتي زمان ما يسلم بدينه الا من يفر من شاهق الى شاهق " وقال : هذا اللفظ ليس معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم .
راجع احاديث القصاص ص ١٠٦ رقم الحديث ٥٧

وقال الله تعالى :

(ان الذين توفاهم الملئكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا الم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها .....) (١) الآية

وفى البخارى :

((والفرار من الفتن من الايمان)) (٢)

فما كان من الايمان فهو شعبة بلاشك

وقال الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) (٣)

وقال فى آية أخرى :

(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ...) (٤)

---

(١) سورة النساء آية ٩٧

(٢) يقصد المؤلف الباب الثانى عشر من كتاب الايمان . نصه : باب من الدين الفرار من الفتن .

(٣) لايوجد آية بهذا النص وانما خلط المؤلف بين آيتين هما :

١ ـ قوله تعالى فى سورة النساء آية ١٤٤ :

(يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين اتريدون ... الآية .

٢ ـ وقوله تعالى فى سورة آل عمران آيه ٢٨

(لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ... الآية .

(٤) سورة المائدة آية ٥١

فالفرار ظاهرا من بين ظهراني المشركين واجب على كل مسلم (١)
وكذلك كل موضع يخاف فيه الفتنة في الدين من ظهور بدعة أو ما يجر
الى كفر في أى بلد كان من بلاد المسلمين فالهجرة منه واجبة
الى أرض الله الواسعة والله أعلم بحكم من حبسته ضرورة في مواطن
الفتنة فهذه هجرة ظاهره بالأبدان في مقام الاسلام .

وأما باطنها في مقام الايمان فقد تقدم الكلام عليه في الباب الذى
قبل هذا في آخر الجهاد ومعناه الفرار مما تدعوا اليه النفس
الأمارة بالسوء والشيطان اذا كان الانسان مستضعفا مغلوبا بصفاته
وأعدائه وان لم يفر ويركن ويرضى ويتابع فقد اتخذ الشيطان وليا
فيخاف(عليه) (٢) التمادى حتى يخرج عن صفة عباد الله الذين
قال (فيهم) (٣) :

(أن عبادى ليس لك عليهم سلطان . . .) (٤)

وكما قيل : المعاصي بريد (٥) الكفر كما الطاعات بريد (٥) الايمان
وفي هذا المعنى قال النبي عليه السلام :

((المهاجر من هجر السوء)) (٦)

وحقيقة الهجرة في مقام الاحسان الذى هو مقام الروح : الفرار الى الله
من كل شيء كما قال الله :

((ففروا الى الله . . .)) (٧)

---

(١) في ظ ،خ : واجب على كل من أسلم
(٢) كلمه "عليه" . . . وردت في خ ،أ
(٣) في ع : قال لهم ، وفيهم أصح
(٤) سورة الحجر آية ٤٢ وسورة الاسراء ٦٥
(٥) في أ في الموضعين : تزيد
(٦) في البخارى كتاب الايمان باب "٤" رقم الحديث "١٠" وفيه :
(. . . والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) وذكر في فتح البارى في شرح
هذا الحديث ان ابن حبان اخرجه بلفظ : المهاجر من هجر السيئات وفي مسند
احمد حـ٢ ص٢١٥
(٧) سورة الذاريات من الآية (٥٠)

اى من الأزواج ومن رسوم النفوس وغير ذلك .

وروى عن أبى هند عن معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها))

ذكره أبو داود فى السنن (١)

فالهجرة (٢) التى كانت فى أول الاسلام كانت فرارا الى الله ورسوله وهى الآن كذلك، الى كتاب الله وسنة رسوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله على المعانى الثلاثة (ثم يدركه الموت) (٣) فقد وقع أجره على الله واذا نظرت الموجودات أيضا كلها أعنى العالم الكلى وجدته منافرا للقبيح كله وذلك حقيقة الهجرة .

لأن من هجر شيئا يفر (٤) منه ولم يواقعه (٥)

(ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين) (٦)

من الله علينا وعليكم بعصمته . ولا جعلنا ممن فتنه وعرضه للمحن (٧) برحمته وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) سنن أبى داود ج ٣ كتاب الجهاد رقم الحديث ٢٤٧٩

(٢) فى خ : والهجرة

(٣) عبارة " ثم يدركه الموت " وردت فى أ ظ

(٤) فى أ ظ خ : نفر

(٥) فى خ : ولم يوافقه

(٦) سورة الذاريات الآية (٥٠)

(٧) فى ظ : للفتن .

الشعبة الحادية عشرة : الاستقامة :

أما كونها من شعب الاسلام (١) فدليله قول النبي عليه السلام :

((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)) (٢)

وما كان ضلالا فهو ضد الهدى والهدى من الاسلام لقوله تعالى :

(.. ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم .) (٣)

وهي على ضربين ظاهر وباطن

والظاهر ترك ما خالف السنة وهي البدع في الأعمال والأقوال واستقامة اللسان والجوارح عن الميل الى الأعمال القبيحة المخالفة للسنة واتباع الدنيا المذمومة .

والباطن على ضربين ضرب في مقام الايمان للنفس (٤) وهو استقامة النفس عن الميل الى الأغراض الذميمة والمذاهب المعوجة غير المستقيمة وترك الاكباب على الدنيا ومنعها وكبحها عما ينكسها وينفرها من النجاة الاخراوية (٥)

---

(١) في ظ : الايمان

(٢) رواه أبو داود ج ٤ كتاب السنه رقم الحديث ٤٦٠٧ واحمد في المسند ١٢٦/٤ وابن ماجه في المقدمه رقم الحديث ٤٢ والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنه رقم الحديث ٢٦٧٦ وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٠١

(٤) كلمة " للنفس " لم ترد في خ .

(٥) في أ : وينفرها ويبعد من النجاة الاخراوية وفي خ : وينفرها عما يبعدها .

وضرب في مقام الاحسان للروح والعقل والقلب وبكمال استقامة القلب والروح والعقل في مقام الاحسان تكمل استقامة الجوارح في مقام الاسلام (وتكمل استقامة النفس في مقام الايمان) (١) فتقبل الجملة على الله تبارك وتعالى وتترك الميل الى سواه الا بأمره ولا يقدر عليه الا الروحانيون المقربون ، (فالاستقامة في الباطن ترك اعتقاد كل بدعة) (٢) وهذه المعاني كلها ظاهرا وباطنا موجودة (٣) في قوله تعالى :

(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ...) (٤)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تفسير قوله (.. ثم استقاموا ..) : اى لم يروغوا روغان (٥) الثعالب (٦) ، والثعلب بخبثه (٧) أنما يطلب بنيات الطرق فالاستقامة ترك بنيات الطرق (٨) ظاهرا وباطنا ومثلها في الاعتبار مثل من مشى في طريق مسلوك فعرض له يمينا وشمالا طريق غير مسلوك ؟ ولا واضح فأخذ عليه فأفضى به ذلك الطريق الى مخدع وذلك المخدع الى مخدع حتى يتلف ولا يجد مخرجا الى قصده الا ان يرجع الى الطريق الأول فحينئذ يصل الى مقصوده الذى خرج له فحقيقة

---

(١) ما بين القوسين سقط من خ .

(٢) ما بين القوسين نقص من ظ ، ت .

(٣) في خ : الجملة هكذا : وهذان المعنيان ظاهرا وباطنا موجودان .

(٤) سورة فصلت من آية ٣٠ والاحقاف من الآية ١٣

(٥) في أ ، خ ، روغان ، وفي ظ ت : كرغان . وفي تفسير الطبرى : عن الزهرى قال تلا عمر رضي الله عنه على المنبر (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب .

انظر جامع البيان للطبرى ج٢٤ ص ٧٣

(٦) في ت : الثعلب

(٧) في ظ خ : لخبثه

(٨) في ظ خ : الطريق

الاستقامة مأخوذة من قولك قومت الشيء اذا عدلته وهو زوال الاعوجاج والميل فمن لم يعوج ولم يمل ظاهرا في مقام الاسلام عن السنة ولا باطنا عن العقيدة ولا حقيقة عن الميل لغيرالله (١) فقد استقام ،ومن الاستقامة فريضة وفضيلة .

فأما الغرض منها في الظاهر فأن لا يدخل في مذاهب المبتدعين وهي مثال لبنيات الطرق (٢) .

والغرض منها في الباطن : الا يزيغ قلبه في مذاهب الزايغين وهم الذين عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه : قال معاوية :

الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال :

((الا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الملة (٣) ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة الى (٤)الجنة)) (٥)

فمثال الاستقامة بين (٦) تلك الفرق كلها مثل الحنيفية دين ابراهيم عليه

---

(١) في خ : الى غير الله

(٢) في ظ خ : الطريق

(٣) في خ : الأمة

(٤) في خ ت : في الجنة وهو الصواب كما ورد في سنن أبي داود .

(٥) رواه أبو داود عن معاوية في كتاب السنه رقم الحديث ٤٥٩٧ وأحمد في المسند ٤ / ١٠٤ ، واسناده صحيح . وانظر كتاب السنه لابن ابي عاصم تحقيق الألباني ج ١ ص ٣٢ باب فيما اخبره النبي عليه السلام ان امته ستفترق . . . . . الخ وانظر " الاعتصام " للشاطبي ج ٢ ص ١٩٠

(٦) في ظ : في تلك

السلام بين جميع الأديان الخارجة عن دين الاسلام فان الحنيف فى اللغة :

هو المستقيم والمايل من جانب الى جانب فابراهيم (١) عليه السلام مال عن جميع الأديان الى الطريق المستقيم واستقام عليه وكذلك تارك الأهواء اذا مال عن بنيات الطريق وركب المحجة البيضاء استقام وذلك ترك جميع البدع فى دين الاسلام قولا وعملا وترك عقود أهل الزيغ باطنا ومذاهبهم كثيرة والتفتيش عليها يطول بـه الكلام لكن يتبين لك ذلك بمعرفة الفرقة الواحدة اذا عرفتها والتزمتها عرفت ان ما سواها باطل معوج فهذا فرض الاستقامة .

وأما فضيلتها وحقيقتها فى المقامات الثلاثة فهو تقويم الظواهر وتهذيبها بآداب (٢) الشرع حتى تستقيم الجوارح واللسان فتميل عن المخالفات (٣) والعصيان وتقويم البواطن (٤) برياضة النفوس وحملها على الاستقامة بترك الميل الى هذا الخسيس الفانى والميل عنه الى الاقبال على الدائم الباقى وحينئذ يكون العبد كما وصفه الله تعالى :

(لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) (٥)

وانما يكون العبد فى صفة الانسانية التى فارق بها غيره من الحيوان والنبات والجمادات بارتقائه عن صفاتها الى صفات الملئكة الكرام فحينئذ ارتفعت همته الى العالم الرضوانى واشتاق الى الملأ الروحانى فكان ماشيا

---

(١) فى ت : فان ابراهيم

(٢) فى ع : باهواء الشرع ، وبقية النسخ : بأداب

(٣) فى ظ ، ت ، خ : عن المخالفة

(٤) فى ط ت خ : الباطن

(٥) سورة التين آية (٤)

على صراط مستقيم وقد أثنى الله على نبيه بحقيقة الاستقامة فقال :

(.. ما زاغ البصروما طغى .) (١)

اى ما مال الى النظر الى سواه وما طغى لم يجاوز حد الأدب في نظـــره

فاذا نظرت الموجودات كلها وجدتها مستقيمة جارية على ما حد لها غيـــر

زائغة لا تميـــل الى الاعوجاج الى غير الله هذا شامل لجميع أجزاء الموجودات

ليس منها شيء مال الى غير الله سوى الثقلين الجن والانس .

من الله علينا بما من به على أحبابه وأصفيائه آمين وصلى الله على محمد وآله

---

(١) سورة النجم آية (١٧)

الشعبة الثانية عشر وهي الجماعة (١) وهي الألفة :

فأما كونها من شعب الايمان فدليله قول النبي صلى الله عليه وسلم :

((من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه)) (٢)

فما يخلع ربقة الاسلام زواله فهو اذا من أعظم شعب الاسلام وقال الله تعالى في الكون مع الجماعة :

(ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسآت مصيرا) (٣)

وغير ذلك من الشواهد التي يطول ذكرها وانما غرضنا الاختصار .

فالجماعة هم الذين عنى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أوردناه في باب الاستقامة حيث قال :

(وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين (فرقة) (٤) اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الجماعة (٥) .

وسئل النبي عليه السلام عن تلك الواحدة الناجية فقال من كان على ماأنا عليه وأصحابي .

فالأمة افترقت على هذا العدد . وأصل هذا الافتراق ينحصر في أربع طوائف الطائفة الواحدة : القدرية وهم المعتزلة افترقوا على (٦) اعتزالهم على ثمان عشرة فرقة .

---

(١) في ط : الثانية عشرة : الجماعة . وهو أصح

(٢) تقدم تخريجه في أول الكتاب ص ١١٩ .

(٣) سورة النساء آية ١١٥

(٤) لم تذكر كلمة " فرقة " في ع وذكرت في بقية النسخ

(٥) تقدم تخريجه قريبا في الشعبة الحادية عشرة

(٦) في أ ظ : في اعتزالهم

والطائفة الثانية : المرجئية افترقوا فى ارجائهم "أيضا" (١) على ثمان عشرة فرقـه .

والطائفة الثالثة : الرافضة (٢) افترقوا على تشيعهم على ثمان عشرة فرقـة

والطائفة الرابعة : الخوارج : افترقوا فى خروجهم على ثمان عشرة فرقـة

فهذه اثنان وسبعون فرقة والثالثة وسبعون هم (٣) الناجية وهم أهـل السنة والعلم (٤) وهم الذين عنى الله عز وجـل بقولـه :

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . . .) (٥)

---

(١) كلمة "أيضا" لم ترد فى خ ت

(٢) فى ت : الروافض

(٣) فى بقية النسخ : هى الناجيـه

(٤) تعليق :

اختلف العلماء فى اصول هذه الفرق التى ذكرها الحديث وتعيينها على أقوال :

الاول : ان اصولها اربعة وكل فرقة تشعبت الى ثمان عشرة فرقه كما ذهب الى ذلك المؤلف هنا .

الثانى : انها ست فرق كما ذكره ابن الجوزى فى تلبيس ابليس فقال : وقد ظهر لنا من اصول الفرق : الحرورية والقدرية والجهمية والمرجئية والرافضة والجبرية ، وانقسمت كل فرقة منهـا الى اثنى عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقـة .
تلبيس ابليس لابى الفرج بن الجوزى ص ١٩

الثالث : انها ثمانية : المعتزلة والخوارج والمرجئة والنجاريـة والجبرية والمشبهة والشيعة والناجية ، وهذا تقسيـم عضد الدين الايجى فى المواقف علم الكلام ص ٤١٤ =

....

الرابع: أنها تسمة وزاد على الثمان السابقة : الصوفيه

ذكر ذلك فخر الدين الرازى فى كتاب : اعتقادات فرق المسلمين

حيث قال :

اعلم ان أكثر من قص فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ

... الخ ص ١١٥

الخامس: ان هذا التقسيم انما هو بحسب الظن والتكلف ليطابق

العدد الذى ورد فى الحديث فان مراد الرسول صلى الله

عليه وسلم فى الحديث يجوز أن يكون ذكر الفرق الكبار ،

ويجوز ان يكون مراده أن تكون الفرق ثلاث وسبعون فأكثر

ولا تكون أقل من ذلك ، ويجوز غير ذلك وقد ذكر الرازى انه

ربما وجد فى فرقة واحدة من فرق الروافض ثلاث وسبعون فرقة

انظر تلبيس ابليس ص ١٩ واعتقادات

فرق المسلمين للرازى ص ١١٧

والملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٦

والاعتصام للشاطبى جـ ٢ ص ٢٠٦

(٥) سورة آل عمران آية "١٠٣"

وحبل الله هو القرآن الذى هدى الله به رسوله عليه السلام وأصحابه ، والفرق المذكورة هم الذين عنى الله بقولـه :

(ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء ...) (١)

يعنى رسوله عليه السلام . ولما كان الصحابة رضوان الله عليهم مشاهدين للرسول ومتبعين له مقتدين به كانوا أيضا ليسوا من الفرق المتفرقة فى شىء (لأن الله تعالى قد قال فى نبيه :

(... لست منهم فى شىء) (٢))) (٣)

فلذلك قال عليه السلام فى تفسير الفرقة الناجية :

(من كان على ما أنا عليه وأصحابى) (٤)

ولذلك قال أيضا :

(أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) (٥)

فالجماعة هم النبى عليه السلام وأصحابه ومن تبعهم على منهاجهم وهم أهل السنة ولما كانت النجوم منها الكبير الجرم الكثير الضياء والصغير الجـرم القليل الضياء والوسط فيما بين ذلك وشبه أصحابه بالنجوم كان أصحابـه

---

(١) سورة الانعام آية ١٥٩

(٢) سورة الانعام آية ١٥٩

(٣) ما بين القوسين ورد فى بقية النسخ ولم يرد فى ع.

(٤) ذكر هذه الروايه ، الترمذى فى كتاب الايمان رقم الحديث ٢٦٤١ وقـد ضعف الألبانى هذه الرواية .

انظر شرح الطحاوية تحقيق الألبانى ص ٤٣٢

(٥) انظر تخريجه فى كتاب تخريج أحاديث مختصر المنهاج للحافظ العراقـى مطبوع ضمن مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى العدد الثانى عام ١٣٩٩هـ ص ٢٧٩ رقم الحديث ٥٥ وغاية التخريج أن هذا الحديث لا يصح .

أيضا (١) كذلك منهم القوى الكثير العلم مثل الخلفاء والعلماء منهم والذين ظهروا في الدين للاقتداء بهم (٢) ومنهم القليل الضياء والوسط ليكونوا كلهم أئمة يقتدى بهم في القوة والضعف وجميع الأحوال الا أنهم كانوا كلهم (٣) أهل علم كالنجوم (٤) كلها مضيئة وفي كلها اقتداء الا أن بعضها اقوى من بعض ، وكذلك أيضا تابعوهم الى يوم القيامة فمن عمل عملا صالحا (٥) ظاهرا أو باطنا أصله في كتاب الله او سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عمل الصحابه فهو من أهل السنة والجماعة .

فالجماعة ضدها الفرقة ولذلك افترقت الفرق على ثنتين وسبعين (٦) ولم تفترق الفرقة الواحدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فيها : وواحدة في الجنة فوصفها في قوله : وواحدة في الجنة بالوحدة وهي الألفة على مذهب واحد وبالاقتداء بنبي واحد (يسوقهم الى ملك واحد) (٧)

واختلاف أهل السنة في الفتوى والمذاهب انما هو بمعنى الاتساع وترك الضيق والحرج لا بمعنى الاختلاف الذى هو الشتات والفرقة فان النبي عليه السلام هو امام الصحابة وأخذ الكل منهم علمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا في الأمصار في حياته وبعد وفاته وأخذ الناس منهم في جميع الأقطار وأخذ الخلف عن السلف الى ان انتشرت المذاهب والفتاوى في الأمصار فالكل منهم على صواب لأن الامام واحد واليه يرجع

---

(١) نقصت كلمة " أيضا " من خ

(٢) نقصت كلمة " بهم " من خ ، ت

(٣) نقصت كلمة " كلهم " من خ

(٤) في ظ ، ت ، خ : كا النجوم

(٥) كلمة " صالحا " لم ترد في خ ، ت

(٦) في ظ : على اثنين

(٧) جملة ما بين القوسين لم ترد في ظ .

الكل وقد رأيت في حديث غريب في كتاب فيه ذكر فضايل الصحابه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((انا مدينه التقوى وأبو بكر بابها وأنا مدينة الايمان وعمر بابها وأنا مدينة الحياء وعثمان بابها ، وانا مدينة العلم وعلى بابها وأنا مدينة الحلم ومعاوية بابها)) (١)

وهذا الخبر وان لم يرد في الصحاح فان الحال تصدقه وتعضده فانه عليه السلام المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلها ولا بد للمدينة من أبواب وعلى كل باب طريق ولو كلف الكل أن يدخلوا من باب واحد لكان الحرج والضيق بل هو عليه السلام مدينة جميع الخيرات والصحابة أبوابها والطرق منفصلة من الأبواب فمن أخذ طريقهم دخل مدينة الدين ومن خالف طريقهم فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فان المذاهب كلها التي فارقت الجماعة اذا اعتبرتها ونظرتها لم تجد لها عند الصحابة ولا حديث الرسول ولا كتاب الله أصلا فلذلك سموا فرقا لانهم فارقوا الاجماع ، مثال (٢) ذلك :

ان القدرى الذى يقول ان أفعاله يخلقها هو بزعمه او الذى يقول منهم : الخير من الله خلقه والشر من العباد خلقهم .

والرافضى الذى يسب أبا بكر وعمر أو عائشة أو عليا أو عثمان أو أحدا من الصحابة .

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله عن هذا الحديث : هذا الحديث ضعيف بل موضوع عند أهل العلم بالحديث ولكن قد رواه الترمذى وغيره ورفع هذا وهو كذب .

انظر : مجموعة فتاوى ابن تيميه ج ١٨ ص ١٢٣ — ١٢٤

وانظر كتاب : أبو زرعة الرازى وجهوده في السنه النبوية تحقيق د / سعدى الهاشمى ج ٢ ص ٩١٥ فقد استوفى المحقق الكلام فيما ذكر عن هذا الحديث وذكر مراجع وكلام العلماء فيه .

وانظر ايضا فضائل الصحابة للامام احمد بن حنبل رقم الحديث ١٠٨١ مع تخريجه .

(٢) في خ : ومثال ذلك .

والخارجي الذى يقول بمذهب الخوارج أو المرجي الذى يقول بمذهب الارجاء والذى يقول ان العالم قديم وأن الله لا يعلم بأفعال العباد أو يرى من الأراء الذى لا يعتقده ولا يعمل به أهل السنة لا تجد له أصلا في كتاب الله ولا في حديث رسول الله ولا في أقوال الصحابة (رضى الله عنهم) ولو كان لنقل كما نقلت أمور الديانات كلها ولما لم يكن ذلك منقولا لم يبق الا أنهم أحدثوا تلك المذاهب بآرائهم أو أخذوها من رأى من خالف الأنبياء قبل مبعث النبي عليه السلام فمثلهم في ذلك ما رواه مالك رضى الله عنه عن عبد الله قال :

((خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذه سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم (١) قرأ :

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . . .) (٢)

فتلك الطرق هي طرق أهل الفرق وسبيل الله هو طريق أهل السنة لانهم تابعون لمحمد عليه السلام وهو يهدى الى صراط مستقيم .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٤٣٥ عن عبد الله بن مسعود
وذكره ابن جرير الطبرى في التفسير ج ٨ ص ٦٥
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه عاصم بن بهدله وهو ثقة وفيه ضعف ٧ / ٢٢
وانظر الفتح الرباني ج ١٨ ص ١٤١

(٢) سورة الانعام آية (١٥٣)

فالتمسك على ذلك الطريق هو الجماعة وهو التآلف مع السالكين عليه والاعوجاج عن ذلك الطريق هو الخروج والافتراق عن الجماعة فلذلك كانت هذه الشعبة التي هي الاجماع(١) والشعبة التي هي الاستقامة مرتبطتان كشيء واحد فان الاستقامة هي ترك الاعوجاج ظاهرا وباطنا في الأعمال والعقود كما تقدم ، والجماعة هي التمسك والتآلف على السنة التي هي الطريق ظاهرا في الأعمال وباطنا في القلوب .

والاجماع أيضا على نوعين ظاهر وباطن والباطن على ضربين .

ضرب في مقام الايمان والنفس وهو ما أجمعوا عليه في العقود واصول الديانات فهو فرض على القلوب اعتقاده

وضرب في مقام الاحسان وهو مشاهدة الروح والعقل اجماع (٢) الخليقة كلها مما حوى العرش كله من المخلوقات على التعبد لملك واحد واتئلاف الكل على ايثارة والوهيته ما خلى المخالفين من الجن والانس فيفر السر من الفرقه الى الاجتماع(٣) على توحيد الله (٤) سبحانه وتعالى ،

---

(١) في خ : هي الاجتماع
(٢) في ظ ،خ ،ت :اجتماع
(٣) في ظ : الى الاجماع
(٤) في ظ ،خ :توحيد الواحد سبحانه

والظاهر ما أجمعوا عليه فى الأعمال ونوازل الأحكام فهو فرض على الأجساد القول به والعمل وما أجمعوا عليه واستحسنوه فى كل زمان فهو اجماع أعنى أهل السنة (واصنافهم) (١) لأن النبى عليه السلام قال :

((امتى (٢) لاتجتمع على ضلالة)) (٣)

وانما عنى أهل السنة ،وأصنافهم بحمد الله معلومة فى كل زمان وهم :
أهل الحديث (وأهل) (٤) الفقه والمتصوفة ، كمالك وأشياخه وأتباعه
(وأبى حنيفة وشيوخه وأتباعه
والشافعى وأشياخه وأتباعه) (٥)
وأحمد بن حنبل والبخارى وسفيان والأوزاعى وشيوخهم وأتباعهم وابراهيم ابن أدهم وسهل ، والعارفين بالله وأشياخهم وأتباعهم والعامة فى العقود أيضا لأنهم تابعون لاهل العلم .

---

(١) كلمة "وأصنافهم" وردت فى ظ ،ت
(٢) فى ظ ،ت ،خ : ان امتى
(٣) اخرجه ابن ماجه فى كتاب الفتن ح ٢ رقم الحديث ٣٩٥٠ وقد جاء بطريق انظر الترمذى كتاب الفتن رقم الحديث ٢١٦٧ ومسند احمد ج ٥ ص ١٤٥
(٤) كلمة (وأهل) وردت فى ظ خ ت
(٥) ما بين القوسين سقط من ت

ومن سوى هؤلاء ممن ليس على طريقهم (١) زايـــع

فالجماعة : هي التألف على طاعة الله كما أمر وذلك دين الموجودات كلهـــا

فانك اذا نظرت الوجود كله وجدته متآلفا بعضه مع بعض كجسد واحد (٢)

جمع أعضاء كثيرة تعاونت كلها (بعضها مع بعض) (٣) على طاعة المؤلف

فاذا الجماعة عام من فارقها خالف جميع الموجودات وأحدث دينا مبتدعـــا

بنفسه .

ونسأل الله الثبات في دين الله في العقود (والأعمال) (٤) والأفعـــال

والموت على ما يرضاه الله ورسوله والمؤمنون انه على كل شيء قديـــــــر

(وصلى الله على محمد واله) (٥)

---

(١) في خ : على طريقهم

(٢) كلمة "كجسد واحد" نقصت من ت

(٣) الزيادة من ظ

(٤) الزيادة من ظ

(٥) الزيادة من ظ

الشعبة الثالثة عشرة : النصيحـــة :

فأما كونها من شعب الايمان فبين واضح فى الأحاديث المشهورة عن جرير وتميم الدارى وأبى هريره :

قال جرير : ((أتيت النبى صلى الله عليه وسلم قلت اتيت أبايعك علـــى الاسلام فشرط على : والنصح لكل مسلم.)) (١)

فما يشترط لصحة الاسلام فهو منــه .

وروى تميم الدارى وأبو هريره ان النبى صلى الله عليه وسلم قـال :

((الدين النصيحة الدين النصيحة ثلاثا)) (٢)

وفى حديث أبى هريرة قالوا لمن يارسول الله قال : للــه ولرسوله ولكتابــه ولأئمة المسلمين وعامتهم)) (٣)

فوصف النصيحة بأنها معظم الدين كما يقال :

((الحــج عرفـــة)) (٤)

أى معظم أركانه عرفه لا أنه ليس للحج ركن غير عرفة ، وكذلك النصيحـــة ليس معنى الحديث أن الدين كله هو النصيحة وانما (معناه : معظـــم شعب الدين النصيحة وانما) (٥) وصفها بوصف العموم فعمت معانـــى

---

(١) اخرجه البخارى وغيره انظر فتح البارى ج ١ كتاب الايمان رقم الحديث ٥٨ وصحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان رقم الحديث ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الايمان رقم الحديث ٥٥ والنسائى ١٥٦/٧

(٣) رواه النسائى ١٥٧/٧ كتاب البيعة ، النصيحة للامام والترمذى فى كتــاب البر والصله باب ما جاء فى النصيحة رقم الحديث ١٩٢٦ وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٤) حديث رواه النسائى ٢٦٤/٥ والترمذى فى كتاب الحج باب ما جاء فيــن أدرك الامام بجمع رقم الحديث ٨٨٩

(٥) ما بين القوسين سقط من ع وذكرته بقية النسخ .

الديانات كلها لأنه قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فعظم قدر النصيحة لذلك ومعنى النصيحة افراغ الجهد بتصحيح (١) النيات والأقوال والأعمال والنصح يتبين بضده وهو الغش والتدليس وستر العيب وكتمان الحق ومعناها مأخوذ من النصاح وهو الخيط لأنه لا يتعلق به شيء فكذلك النصح في العقود والأقوال والأعمال لا يتعلق بها شيء من الغش والتدليس بل تكون صحيحة بنية سليمة (٢) مما يفسدها ويعيبها ودليله ان النبي عليه السلام : مر برجل يبيع الطعام فاوحي اليه ان ادخل يدك فيه فاذا هو مبلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ليس منا من غشى)) (٣)

فالنصيحة عامة في كل شيء ومتعبد بها الأنبياء والأملاك فمن دونهم قال الله تعالى في جبريل :

(وما هو على الغيب بضنين) (٤)

أى بمتهم بالغش والدلسة في التبليغ ، وقال عليه السلام في نفسه :

(ليس منا من غش) (٥)

وقال الأنبياء صلوات الله عليهم :

---

(١) في ظ ،ت : وتصحيح وفي خ : في تصحيح وهو أصح

(٢) في أ ،ظ ،ت : نقية سليمة وفي :خ : صحيحة نصيحة نقية سليمة

(٣) اخرجه مسلم في الايمان باب قول النبي (ص) (من غشنا فليس منا) رقم الحديث العام ١٠١ ،وابو داود ٣٤٥٢ باب في النهي عن الغش وابن ماجه في التجارات باب النهي عن الغش ٢٢٢٤

(٤) سورة التكوير آية ٢٤

(٥) تقدم قريبا

(... وانا لكم ناصح أمين) (١)

(... وانصح لكم ...) (٢)

(... ونصحت لكم ...) (٣)

أى نصحوا لله ، ونصحوا أنفسهم ، ونصحوا العباد ، فالنصيحة لها مراتب كما ذكر فى الحديث ، لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم ، فقد عمت المقامات الثلاثة مقام الاسلام والايمان والاحسان ،

فأما النصيحة لله جل وعز : فأن لاتدخل فى صفات ما ليس منها أو تنسب اليه ماليس له برايك فتعتقده على غير ما هو عليه فان ذلك غش كما قال تبارك وتعالى فيما رواه أبو هريره عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : ((كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى ، وأما شتمه اياى فقوله : اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم الد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد) (٤) فهذا رمى له بالكذب لأن الله قد أخبر باعادته والكذاب غاش مدلس فى القول لانه مبس . ورماه أيضا بالعجز فى قدرته وقوته اذ نفى القدرة عنه فى اعادته وكذلك رماه بالفقر الى اتخاذ الصاحبة والولد وهو الغنى فأدخل فى صفاته ما ليس منها وذلك غش وتلبيس يعود ضرره على معتقده وقائله والله برىء عن ذلك، فكل من اعتقد الله على ما وصف به نفسه وشاهده على ما هو

---

(١) سورة الأعراف من آية ٦٨

(٢) سورة الاعراف من آية ٦٢

(٣) سورة الأعراف من الآيتين ٧٩ ، ٩٣

(٤) أخرجه البخارى انظر فتح البارى جـ٨ كتاب التفسير تفسير سورة قل هو الله أحد رقم الحديث ٤٩٧٤

عليه ونزهه عما لا يليق به وبلغ ذلك، غيره من عباد الله ليعتقدوه على ما هـو عليه فقد نصح الله ونصح (لله في) (١) نفسه وفي عباده وهذا مقـام الروح والعقل في مقام الاحسان وكل من وصف الله بغير (٢) ما وصـف به نفسـه ونسب اليه ما لم ينسب لنفسه وأمر بذلك، غيره او لم يأمر فقد ترك النصيحة لله ولم ينصح ربه ولا نفسه ولا عباد الله وبهذا الوصف أخبر اللـه عن ابليس حيث قال لآدم عليه السلام :

(.. ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين .) (٣)

فرمى الله بالغش والكذب عليه لعنة الله ، وكذلك، هو مع ذرية آدم من أول الدنيا الى آخرها يوسوس اليهم بالغش وزخرف القول ليعتقدوا الله علـى غير ما هو عليه ليس يفتر طرفة عين هو وجنوده عن رمي الله بالبهتان ووصفـه بما لا يليق به ليضل عباد الله ،

وعلى وصفه هم أتباعه من الانس الضالون المضلون وان (٤) اظهروا الاسـلام او لم يظهروه وبضدهم الناصحون . من الله علينا بالنصيحة وجعلنا مـن أهلها برحمته آمين .

والذي يجمع هذه المعاني في حق الباري ومخلوقاته : ان الأشياء كلها خلاف الباري تعالى لانها محدثة وهو قديم وجاهلة وهو عالم (٥) وعاجزه وهو قدير

---

(١) ما بين القوسين ورد في جميع النسخ عدا " ع "

(٢) في ظ خ ت : بغير ما هو عليه بدل من : بغير ما وصف به نفسه

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠

(٤) كلمة : (وان) لم ترد في بقية النسخ

(٥) في ت خ : وهو عليـم

وعبيد وهو رب وفقراء (١) وهو غني ومحتاجه الى مكان وهو غير محتاج اليه
وهكذا لو استقريت أنت وجميع المخلوقات صفات الموجودات كلها أبد
الآبدين ودهر الداهرين لما انقضى وصفها لمعاني الحدث أبدا كما أنه
لو وصف الباري جميع العالمين بما يليق به من الكمال لما وصفوا عشر معشار
ذرة مما هو عليه من الكمال والجلال فكل من أضاف الى الباري شيئا من
أوصاف المخلوقات أو شبهه بشيء منها فقد أدخل الغش في صفاته ولم ينصح
لله وكل من أضاف الى المخلوقات شيئا مما هو (الله) عليه فقد أدخل
الغش في المخلوقات ولم ينصحها وهي تتبرأ منه ومن غشه وهذا أصل
جامع كاف في هذا المعنى ان شاء الله لأن الله برأ نفسه أن يكون فيه
شيء من سمات المحدثات وبرأ مخلوقاته ان يكون فيها شيء من معاني
أوصافه وذلك فخرها وعزها لأن المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور لانه
مدلس حين تشبع بما ليس له .

وأما النصيحة للانسان في نفسه فانها عامة في كل شيء بطن في مقام الاحسان
والايمان وظهر في مقام الاسلام لأن العبد مأمور بان ينصح نفسه وغيره
فيكون من أفضل أهل مقام الاسلام على قدر طاقته (وأمران ينصح نفسه في
مقام الايمان وعالم الآخرة) (٢) (٣) على قدر طاقته وأمران ينصح نفسه
في مقام الاحسان والروح فيكون من أفضل أهل الايثار لله عز وجل والاقبال
عليه والفكر فيه ولا يغش نفسه في شيء على قدر طاقته فقد عمت النصيحة كل
المقامات .

---

(١) في أ ، ظ ، ت خ : وفقيره وهو أصح
(٢) جملة ما بين القوسين سقط من : ت
(٣) في ظ : وعالم الآخرة فيكون من أفضل أهل الآخرة على قدر طاقته

وأما النصيحة لرسوله عليه السلام: فهي على ضربين ضرب فى حق الحاضرين معه فى وقت مبعثه (١) وهم الصحابة وضرب فى حق الغائبين عن وقتـــه وهم الذين أتوا بعده .

فأما الحاضرون معه فى وقته فالنصيحة فى حقهم أن لا يرمون بالكـــــذب ولا يقذفوه بالبهتان فيقولون هو ساحر أو مجنون أو مسيطر او طالب ملـــك فيدخلوا فى وصفه ما لم يجعله الله له ولو كان كذلك، كان عاشا بـــــل يصفون (٢) بالصدق والعفاف والنصح والرحمة والصيانة والخلق الذى وصفه الله به ثم يؤازروه ويعاونوه وينصروه (٣) حتى يبلغ مرغوبه ومأموله من التبليغ ولا يدخروا (٤) من أنفسهم شيئا فى نصرته ومؤازرته ولو كانوا مدخريـــن عنه شيئا لكانوا غاشين له وحاشا صحابته من ذلك، فانهم لحظوه بعيـــن الصدق والكرامة وأفرغوا جهدهم وطاقتهم فى نصرته وعونه فلذلك كانوا أفضل الناس وبضدهم (٥) من النصيحة كان كفرة زمانهم ومنافقوهم فانهم رموه بالغش والكذب وأضافوا اليه وادخلوا فى وصفه بالقول (٦) ما لم يجعله الله فيه والمنافقون منهم خذلوه فى مواطن النصرة وخادعوه بقلوبهم فى مواطن الغيبة ثم لما توفى عليه السلام انتدبوا النصيحة فاظهروا أمره وبلغوا سنته وقاتلــوا من رام هدم طريقته فكانوا فى الغيبة والحضور سواء رضى الله عنهم (٧) ونفعنا

---

(١) فى أ ،ت : بعثه

(٢) فى ظ ،ت : بل يصفونه

(٣) فى ت : يعاونونه وينصرونه

(٤) فى ت : ولا يدخرون

(٥) فى ظ : وبضد ذلك، من النصيحة

(٦) فى ظ : بالقـــول

(٧) فى ظ رضى الله عن جميعهم

ببركتهم فى الدنيا والآخرة .

وأما الغائبون عنه فالنصيحة فى حقهم أن يكون حالهم معه ومع طريقته كحال الصحابه بعد وفاة نبيهم فيأخذوا بسنته وينصروه فيها غايبا ويبلغوها غيرهم كما بلّغوها (١) من غيرهم من غير أن يدخلوا فيها تحريفا او كذبا فيغشوه بل كما قال (صلى الله عليه وسلم) :

((رحم الله من سمع منى مقاله فبلغها كما سمعها)) (٢)

وينفون عنها تحريف الغالين وانتحال الجاهلين وتأويل المبطلين هكذا خلف عن سلف الى يوم القيامة فان كذبوا عليه وأدخلوا فى شريعته ما ليس منها فقد غشوه وقال عليه السلام :

((من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) (٣)

فالناصحون له : أن ينصحوه (٤) فى اظهار أقواله وأعماله وان لا يحدثوا فيها شيئا بآرائهم وان لا يعملوا عملا الا بسنته وعلى طريقته .

---

(١) فى خ كما تلقوها

(٢) رواه ابن ماجه فى سننه فى المقدمه باب من بلغ علما . الأحاديث ٢٣٦/٢٣٠
وأحمد فى مسنده ٤ / ٨٠ ، وقال ابن حجر عنه : حديث مشهور خرج فى السنن أو بعضها من حديث ابن مسعود وزيد بن ثابت وجبير بن مطعم وصححه ابن حبان والحاكم .
انظر فيض القدير ج ٦ ص ٢٨٤

(٣) صحيح البخارى كتاب العلم واثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم رقم الحديث ١٠٧ ، ١١٠
صحيح مسلم المقدمه باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم الحديث ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٤) فى خ ، ت أن يناصحوه

وأما النصيحة لكتابه فنفى ما رماه به المبطلون حيث قالوا عنه :

(... افك مفترى ..) (١) ، و (.. سحر يؤثر) (٢) و (ان هذا الا اساطير الأولين) (٣) (ان هذا الا قول البشر) (٤) وغير ذلك مما يتنزه عنه كتاب الله جل جلاله بل يصفه بما وصفه به منزله : بالكرم والبيان والتعظيم كما قال :

(انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون) (٥) (يس والقرآن الحكيم) (٦) (حم والكتاب المبين) (٧) (ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) (٨) الى غير ذلك من أوصاف القرآن ثم يقرأه بقراءة حسنة وصوت حسن كما قال النبى عليه السلام :

((زينوا القرآن باصواتكم)) ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) (٩)

---

(١) سورة سبأ من الآية ٤٣

(٢) سورة المدثر من الآية ٢٤

(٣) سورة الانعام من الآية ٢٥ وسورة الانفال من الآية ٣١ .

(٤) سورة المدثر آية ٢٥

(٥) سورة الواقعه الآية ٧٧ ، ٧٨

(٦) سورة يس آية ١ — ٢

(٧) أول سورتي الزخرف والدخان

(٨) سورة الحجر آية ٨٧

(٩) اورد المؤلف هذا النص فيظن القارئ أنه حديث واحد ولم أجده كذلك بل جملة (زينوا القرآن بأصواتكم) ذكرها النسائي فى سننه ج ٢ ص ٧٦ وابن ماجه فى كتاب اقامة الصلاة باب فى حسن الصوت بالقرآن وكذا ورد فى البخارى . انظر فتح البارى ج ١٣ كتاب التوحيد ص ٥١٩ والجملة الثانية فى ابن ماجه الباب السابق رقم الحديث ١٣٣٧ وبوب بها البخارى فى كتاب فضائل القرآن باب ١٩ وفى الفتح : أنها لفظ حديث أورده المصنف ج ٩ ص ٦٨ .

فان تزيينه من النصح له حتى يتحبب لقلب التالى له ولقلب كل سامع لـــه فيقع من القلوب مواقعه ولا يسلك به مسلك أغانى الشعر فان ذلــك من الغش للقرآن حيث سلك به غير مسلكـه :

(وما علمناه الشعر وما ينبغى لـه ...) (١)

بل بخشية وحزن صادق كما قال النبى عليه السلام :

((أحسن الناس صوتا بالقرآن من اذا قرأ رأيت انه يخشى الله)) (٢)

وان لا يقصد بحسن صوته الرياء فان ذلك يبطل ثمرة القرآن وهو غـش فى حق القرآن ثم العمل به فان ترك العمل به تضييع له وتضييعه ليس مـن النصح والتماس بركة الفهم فيه واخراج الحكم والعبر منه وتحليل حلالـه وتحريم حرامـه والوقوف عند متشابهه وتعليمه لغيره اذا سأله ولا يقل فيـه بتأويل يخرج عن طريق الحق الى الرأى المذموم الذى نهى عن تفسيـر القرآن به وذلك كله من الغش وترك النصح فمن نصح للقرآن اهتدى وهـدى غيره ومن غشه ضل وأضل غيره كما قال تعالى :

(... يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ...) (٣)

(وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) (٤)

---

(١) سورة يس آية ٦٩

(٢) اخرجه ابن ماجه فى كتاب اقامة الصلاة باب فى حسن الصوت بالقرآن رقـم الحديث ١٣٣٩ وقال مخرجه : فى الزوائد اسناده ضعيف .. واخرجـه ابن المبارك فى كتاب الزهد باب ما جاء فى فضل العباده رقم الحديث ١١٤ وانظر المصابح تحقيق الالبانى ج ١ ص ٦٧٦ رقم الحديث ٢٢٠٩ وقد قال الالبانى : حديث صحيح لطرقـه .

(٣) سورة البقرة من آية ٢٦

(٤) سورة الاسراء آية ٨٢

ومن أعظم الغش في القرآن وترك النصح له تأويل معانيه على اهواء الزنادقة وابطال معانيه الظاهره كما فعل كثير من الفلاسفة الضالين والطبيعيين حتى وصل من افترائهم انهم يقولون بالاستغناء عن القرآن وعن الرسول ومع ذلك انهم يزعمون (١) انهم أهل العلم والفهم للرسالة والوحي والمعرفة وهذا الغش بعينه والتدليس وهو أعظم ممن كفر به جهارا فان النبي عليه السلام يقول :

((من ابتغى الهدى في غيره أضله الله)) (٢)

فكيف يكونون مهتدين في أمور الأخرة والديانات والنبي عليه السلام قد شهد لهم بالضلال .

جعلنا الله واياكم من الناصحين لانفسنا ولكل من أمرنا بالنصح له أمين وصلى الله على محمد وآله .

وأما النصيحة لائمة المسلمين وعامتهم : فمن النصيحة للأئمة الا يخرج عليهم بالسيف ولا ينكث لهم بالعهد فيما بويعوا عليه وأن يدعا لهم بالصلاح اذا كان الامام ممن يجوز فيه (٣) الامامة وتلزم بيعته ويطيعوه في المكيال والميزان وفيما أمر به من طاعة الله وهذا حق العامة في نصحه .

وأما العاطون له والداخلون (عليه) (٤) فحقهم أن ينصحوه ونصحهم له ان يبينوا له أمور العامه على ما هي عليه ولا يدلسوا ويقولوا خلاف ماشاهدوه (٥)

---

(١) في ظ خ ت : ومع ذلك " يدعون "

(٢) ورد في حديث رواه الترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن رقم الحديث ٢٩٠٦ وقال الترمذي : هذا حديث لانعرفه الا من هذا الوجه واسناده مجهول وانظر جامع الاصول ج ٨ ص ٤٦٢ .

(٣) في خ : ممن يجوز له

(٤) كذا ورد في ظ ، ت وهو الصواب وفي بقية النسخ " عليهم "

(٥) في خ ت : شهدوه

وعلموه من صلاح أو فساد ونصحهم للعامة أن يكونوا واسطة خير بين الأمير والرعية فيقومون بالنصيحة فى جميع العامة بالارشاد الى كل خير ورفـــق .
ونصيحة الأمير لرعيته أن لا يـغفلها . ويحوطها كما امر الله ورسوله ومتـــى لم يفعل احد منهم من أمير أو عامل أو عامى ذلك فهو غاش .

ثم نصيحة الناس بعضهم لبعض فى المعاملات والصناعات اظهار (١) العيوب وترك التدليس وأن يريد كل واحد لاخيه كما يريد هو لنفسه هذا هـــــو الاختصار فيه وهو معيار حـق وذلك أن يعرض الانسان نفسه فى كل مـــا يعامل به غيره فيقول : ان كنت أريد هذا الأمر الذى اعامل به غيرى فـــى غاية الصلاح والاتقان اذا عاملنى به غيرى فكذلك يجب على ان أريـــــده أيضا لغيرى اذا عاملته به ، ولا يريه (٢) احسن الوجهين ويستر أرداهمـا والنصيحة داخلة فى كل (٣) شيء وبالقليل يستدل على الكثير وقد قيل .

(لا خير فى قوم ليسو بناصحين ولا فى قوم لا يحبون الناصحين) (٤)

لانها ارشاد الى أحسن الوجوه فى أمور الدين والدنيا الجامعين لكل خير وعلم وعمل .

ومن فضايل النصيحة أن لا يرضى الانسان لنفسه بالدون من المنزلة عند الله فذلك من قلة نصح الانسان لنفسه بل أن قدر أن لا يكون مغبونا فى شـــىء فى يوم التغابن فقد نصح نفسه ولم يغبنها ولا غشها (وذلك انما يكون لمـن

---

(١) فى ظ : باظهار

(٢) فى أ : اذا عاملته به يريه أحسن الوجهين . . " وهو خطأ

(٣) فى ت : فى كل وجـه

(٤) نسبه الحارث المحاسبى فى رسالة المسترشدين الى عمر بن الخطاب رضـــى الله عنه ص ٧١ ط ٢